



٢٢٢

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فرع الأدب

السعر العربي في غزدي فريقا عند الله شغائر الاستغال ونبجريا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب

١٤٠٠

اعداد
الطالب / عبد الصمد عبد الله محمد

اشراف

الدكتور / عبد البصير عبد الله حسين



الإهداء

إلى والديَّ العزيزين اللذين وقفاً في على دراسة العلوم

الإسلامية لأهم بدوري في رفع راية التوحيد في ربوع

غزني أفريقيا .

وإلى كل من تهمه رفعة الإسلام والمسلمين ،

أهدي هذا العمل .

عبد الصمد عبد الله محمد

شکر و تقدر
بیست

شكر و تقدير

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى المنعم المتفضل ، والصلاة والسلام
على الهادي البشير نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجهم
الى يوم الدين . وبعد :

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لا يشكر الناس لا يشكر
الله " ، وعليه فاني أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الجليل
الدكتور عبد البصير عبد الله حسين ، الذي تعلمت منه حرية الرأي والاستقلال
في التفكير قبل أن آخذ من علمه الغزير وملاحظاته الدقيقة وتوجيهاته الصائبة
الكثير الكثير ، وقد استفدت من علمه أيما استفادة فاليه أقدم خالص شكرى
ووافر امتناني ، وإلى الله أضرع أن ينسأ في عمره ويكسيه حلال الصحة
والعافية .

وأتقدم بجزيل الشكر والعرفان بالجميل الى معالي مدير جامعة
أم القرى ، تلك الجامعة الفتية التي هيأت لطلابها سبل التحصيل العلمي ،
كما أتقدم بالشكر والتقدير الى ادارة كلية اللغة العربية متعثة في عيدها
السابق الدكتور عليان بن محمد الحازمي وخلفه الدكتور محمد بن مرسى
الحارثي ووكيل الكلية الدكتور صالح جمال بدوي ورئيس قسم الدراسات
العليا العربية الدكتور حسن بن محمد باجودة ، الذين لا يألون جهدا في
توفير كل التسهيلات الممكنة لطلبة الكلية .

كما أشكر المشرفين على معهد البحوث العلمية واهياء التراث الاسلامي
بالجامعة ومنسوبي المكتبة المركزية .

كما لا أنسى ذوى الفضل عليّ في كل من السنغال ونيجيريا الذين
سهلوا لي سبل الحصول على المخطوطات النادرة التي سهلت لي متابعة
بحثي واخراجه الى حيز الوجود .

فالى هؤلاء جميعا وإلى كل من قدم إليّ يد العون أو المشورة
أقدم شكرى وتقديرى وأسأل الله العليّ القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء
والحمد لله رب العالمين ،،،

الحمد لله
عبد

ثم آن للغراس أن يثمر .. ففاضت قرائحهم في شتى مناحي الثقافة العربية الاسلامية ، وكان الحصاد وافرا غزيرا ، منه ما يتصل بحقل العقيدة والفقه ، ومنه ما يتصل بحقل علوم العربية من نحو وصرف و بلاغة وعروض ، ومنه ما يتصل بحقل المعارف الانسانية من تاريخ وتراجم وسير ، ومنه ما يتصل بحقل فنون الادب من شعرونثر .. وظل الخالفون منهم يضيفون الى تراث السالفين .. في مختلف المناحي الروحية والعقلية والفنية لا يفترقون .. ولكن بعد ديارهم عن المصدر الثقافي الأم في الشرق ، ضرب حصار العزلة على حصاد معارفهم ، حتى ما يعرف عنها في بقاع الاسلام في الشرق بخاصة الا أقل القليل .. ثم ساعد على ذلك مؤامرات المستعمرين من أهل الغرب الذين يحرصون أشد الحرص على قطع ما أمر الله به أن يوصل بين أهل الاسلام .. وامعانا منهم فسي الكيد نقلوا أمهات المخطوطات التي تمثل النشاط العقلي والادبي الى مكتباتهم في أوروبا .. ثم قاموا بترجمة ما يهمهم منه الى لغاتهم ، ليكونوا على معرفة تامة بمزاج القوم ونفسياتهم ، حتى يسهل عليهم تسييسهم واحكام تخريبهم تحت ستار مسدل في ظلمات الاستعمار .

وهكذا تم حجب الثقافة العربية الاسلامية في منطقة غربي أفريقيا تحت ثقل عاطلين شديدي الوطأة : أحدهما بعد الشقة عن الثقافة الأم في الشرق العربي الاسلامي ، والثاني مؤامرات المستعمرين الخبيثة التي ترتبط مصالحهم بحجب هذه الثقافة ..

ولما كنت متشرفا بانتسابي الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة التي هي السويداء من قلب العالم العربي الاسلامي .. ومن ثم التحقت بكلية اللغة العربية من هذه الجامعة الفتية ، ثم تخصصت

يقسم الأُدب من هذه الكلية ، منطلقا منه الى قسم الدراسات العربية العليا بتوفيق من الله ، ثم آن لي أن أختار موضوعا أبحثه لنيل درجة الماجستير ، فكانت كل الظروف الموضوعية تحتم علي أن يكون بحثي في حقل الثقافة العربية الأفريقية في هذه المنطقة النائية التي ضرب حصار العزلة حوله تراثها ..

من أجل ذلك كله كان موضوع دراستي : " الشعر العربي في غرب أفريقيا منذ الاستعمار " ، وقد وقفته على السنغال ونيجيريا فحسب ، حتى تأخذ الدراسة حقها من الشمول والعمق بعون من الله وتوفيقه تاركا بقية المنطقة لفرصة تالية اذا أذن الله تبارك وتعالى ..

ولا بد من الإشارة الى أن هنالك ثلاثة باحثين قد كان لهم فضل السبق الى العناية بهذا الموضوع ، أولهم الدكتور علي أبوبكر بأطروحة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان " الثقافة العربية في نيجيريا " . وقد لاحظت أن رسالته جنحت الى الاجمال فيما يخص الثقافة العربية بصفة عامة والشعر العربي بصفة خاصة .

ثم تلاه الدكتور أحمد سعيد غلانت بأطروحة أخرى بعنوان : " حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا " .

وقد لاحظت أنه قد طغى الحس التاريخي على الجانب الفني في رسالته ، مهما الرجوع الى كنوز من المخطوطات التي تضمنت نماذج فنية من الشعر البالغ الأهمية .

ثم تلاهما الباحث سركي ابراهيم فدرس " فن الرثاء عند شعراء ولاية كانوفي القرن العشرين " .. في أطروحة لنيل درجة الماجستير ..

وكانت دراسته أكثر تخصصا من سابقه وأبعد تعمقا ، وقد ساعده على ذلك اقتصار الدراسة على فن واحد من فنون الشعر وفي بيئة واحدة من بيئات نيجيريا المتباينة . . هذا فيما يخص نيجيريا .

أما في السنغال ، فقد كان للدكتور عامر صهب فضل سبق في جمع بعض التراث الشعري العربي للسنغال بعنوان " الأدب السنغالي العربي " .

غير أن جمعه للنصوص كان مبتورا شديدا ، النقص ، فقد غابت عنه كثرة كثيرة من النصوص التي حجبها عنه المخطوطات التي لم تصل إليه يد . فضلا من أنه لم يعن بتحقيق النصوص ودراستها فنيا ، وكيفيه فضل السبق . . ويعلم الله وحده كم بذلت من جهد في سبيل الحصول على المخطوطات التي قصرت دون الحصول عليها إلاخوة الفضلاء من الباحثين السابقين .

هذا . . وقد واجهت صعوبات وعقبات في سبيل انجاز هذا البحث . . منها أن مادة الدراسة لهذا الموضوع لا يزال أغلبها مخطوطات متناثرة بين مكتبات أوروبا وجامعات غربي أفريقيا وعلماؤها المتناثرين في مدنها وقراها كما سبق أن أشرت . . فكان لزاما علي أن أجمع المواد من مظانها ، فكابدت في سبيل ذلك ثلوج أوروبا في فصل الشتاء مثلة في بريطانيا وفرنسا ، كما عانيت نصب السفر بين قرى نيجيريا والسنغال من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال . . وكان حتما علي تحقيق النصوص أولا ثم دراستها ثانيا ، فكنت في هـذـه الدراسة محققا ودارسا في آن واحد . وقد استعنت بالله رغم وعورة الطريق فكان لي في ذلك جهد المقل مع بذل المستطاع .

وقد اقتضت طبيعة البحث الذي تسير فيه الدراسة في اتجاهين أحدهما تاريخي والآخر فني تحليلي للشعر ، أن أقسم الرسالة السمي تمهيد وبابين رئيسيين وخاتمة .

أما التمهيد : فيتناول الجانب التاريخي عن " فجر الاسلام في غربي أفريقيا " ، ويرصد البحث فيه القضايا الآتية :

- أ - الاشارة الأولى للدين الحنيف على هذه المنطقة .
- ب - مدى انتشار اللغة العربية في هذه البلاد في ظل الاسلام .
- ج - تشرف المسلمين من أهل المنطقة بدعوة المالك الوثنية المجاورة الى الاسلام .
- د - جهاد المعاندين منهم .
- هـ - كفاح المستعمرين .

وأما الباب الأول : فيتناول " حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا " .

وانقسم هذا الباب الى ثلاثة فصول :
يتناول الفصل الأول منه " نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا " معالجا القضايا الآتية :

- أ - المناخ الثقافي الذي نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .
- ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .
- ج - أهم المؤلفات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .
- د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم .
- هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة .

ويتناول الفصل الثاني منه " الجذور الفنية للشعر العربي فسي

غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :



٢٢٢

- أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .
- ب - أثر شعراء الخضرمة والاسلام .
- ج - أثر شعراء بني أمية .
- د - أثر المحدثين .
- هـ - أثر شعراء الدول المتتابعة .
- و - أثر شعراء العصر الحديث .

ويتناول الفصل الثالث منه " فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا "

معالجا القضايا الآتية :

- أ - الشعر الغنائي بأغراضه التقليدية من مدح ورثاء ووصف وفخر وهجاء وغزل بالإضافة الى الشعر الاسلامي مثالا في جهاد الوثنيين والشعر الوطني مثالا في كفاح المستعمرين .
- ب - الشعر التعليمي بما يشمل من زهد ووعظ وارشاد ومنظومات علمية .

أما الباب الثاني : فموضوعه " شعراء غربي أفريقيا "

ويقع هذا الباب في ثلاثة فصول كذلك :

يتناول الفصل الأول منه " شعراء السنغال " مترجما لابرز

شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثاني منه " شعراء نيجيريا " مترجما لابرز

شعرائهم مع ذكر مختارات من أشعارهم .

ويتناول الفصل الثالث منه * الملامح المميزة للشعر العربي في

غربي أفريقيا معالجا القضايا الآتية :

- أ - أثر الروح الدينية على أشعارهم.
 - ب - الآفاق التي يستوحيون منها صورهم وأخيلتهم.
 - ج - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم.
 - د - حظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي .
 - هـ - موسيقى أوزان الشعر الاثيرة في أشعارهم.
 - و - ملامح البيئة الافريقية في هذا الشعر.
 - ز - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة .
- ثم ينتهي البحث بخاتمة أسجل فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .
- والحمد لله في الأولى والآخرة ...

تعميد

((فجر الاسلام في غربي أفريقيا))

أطلقت كلمة أفريقيا * AFRICA * قديما على الاقليم الذى يقابل الشمال الشرقي من الجمهورية التونسية حاليا . وكان معروفا باسم * ولاية أفريكا القنصلية لروما * وهو الذى عرب فيما بعد إلى * أفريقية * ، أطلقه العرب في بداية الأمر على كل ما يلي اقليم طرابلس غربا ، فتحدد مدلول هذا اللفظ * أفريقية * مقتصرا على ما يلي طرابلس غربا حتى بجاية .

ثم أصبح يعني اقليم تونس (١) . وكان اللاتينيون في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد قد أطلقوا اسم * أفريكا * على القسم الذى خضع لنفوذ الفنيقيين من تونس الشمالية . وهو الجزء الذى كانت تقطنه قبائل * أفري * ، والمقصود به الجزء الذى جعلته روما ولاية لها بعد تدمير قرطاجنة سنة ١٤٦ ق م (٢) . ويرجع بعض الباحثين كلمة * أفريكا * إلى أصل يوناني وأن * أفريكوس * مشتقة من اللفظ اليوناني * أفريكا * وهي جملة مكونة من حرف * T * ويفيد النفسي وكلمة * فريكا * وتعنى * البرد * أى البلاد التي لا برد فيها أو البلاد الحارة ، (٣) ثم أصبحت التسمية تشمل بقية القارة المعروفة الآن بالقارة الأفريقية .

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشا للقلقشندي ج ٩ ص ٩٩-١٠٩ ،
الموسسة المصرية العامة ، وكذا- Encyclopedia International
al p. 114

Encyclopedia Britanica p.128 and
Every man's encyclopedia p.118 (٢)

Short Etymological dictionary & modern English (٣)
origin p.8 , and : A latin dictionary p.69.

أما غربي أفريقيا الذي هو هدفنا في هذه الدراسة ، فهو جزء مما كان يعرف قديما عند المؤرخين المسلمين ببلاد السودان ، اذ أطلقوه على بلاد جنوبي الصحراء الكبرى ، كما أطلقوا على منطقة شمالي أفريقيا والصحراء " بلاد البيضان " وكانوا يقصدون ببلاد السودان المنطقة العريضة جنوبي الصحراء الممتدة من المحيط الأطلسي في الغرب الى هضبة الحبشة في الشرق ، ومن الصحراء في الشمال الى الغابات الاستوائية في الجنوب .

والعرب أول من أطلق على هذه البلاد " بلاد السودان " مستوحية في ذلك لون بشرة السكان .

وقد قسم بعض الباحثين هذه البلاد الى ثلاثة أقسام رئيسية :

(١) الأول : السودان الغربي ويشمل حوض السنغال وجمبيا وبركينا فاسو والنيجر الأوسط .

الثاني : السودان الأوسط ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد أى أنه يمتد شرقي نهر نيجر حتى الحدود الغربية للسودان الشرقي .

الثالث : السودان الشرقي ، وهو المعروف الآن بسودان وادي النيل ، ويشمل مناطق النيل وروافده جنوبي بلاد النوبة . . وكان يعرف هذا القسم عند العرب بين القرن التاسع والثاني عشر الميلادي باسم " بلاد الزنج " وهي التسمية الغالبة عليه في تلك الفترة الا أن كلمة السودان كانت تشملها أيضا . (٢)

(١) فولتا العليا سابقا .

(٢) مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ص ١٥ ، عبد القادر زبادية ،

طبعة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

أما غربي أفريقيا ، فيشمل السودان الغربي والوسط ، أي المنطقة الواقعة بين بحيرة تشاد شرقا والمحيط الأطلسي غربا ، وتحدها من الجنوب المناطق الاستوائية ، ومن الشمال المناطق الجنوبية للصحراء وتقع بين خطي عرض ٩° و ١٧° درجة شمال خط الاستواء .

وقد كانت تربط بين شمالي أفريقيا وغربيها علاقات قديمة تشهد لها أحداث التاريخ . . فقد وجدت عدة طرق للقوافل التجارية بين شمالي أفريقيا الى غربيها عبر الصحراء الكبرى ، كانت بعض هذه الطرق من مراكش وتلمسان وتونس وطرابلس ومصر متجهة الى الجنوب فتجتاز الصحراء الكبرى وتصل الى المراكز التجارية الرئيسية في غربي أفريقيا مثل " غانة " القديمة وتبكتو ولايات الهوسا وكانم وبرنسو وغيرها . . وقد تتصل بالصحراء ثم تتفرع وتتجه الى جهات مختلفة .

فالقافلة التي تبدأ من القاهرة تتجه أولا صوب المغرب ^{الطريق} الى أوجلة ومرزوق وهناك تتصل بقافلة أخرى من طرابلس فيتجه بعضها نحو الجنوب الى كانم " بواسطة بلما ، في حين أن بعض القوافل تستمر الى ولايات الهوسا عن طريق أهير . (١)

وهناك ثلاثة طرق رئيسية تسرب منها الاسلام الى غربي أفريقيا:

الأول : يبدأ من طرابلس مارا بغزان وكوار وينتهي في برنو داخل نيجيريا .

الثاني : يبدأ من تونس وينتهي في كانو .

الثالث : يبدأ من تافللت في المغرب ويتفرع فرعين أحدهما يمر

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٢ د/أحمد شيخو
غلا دنشبي ، رسالة دكتوراه .

بسجلماسة وتغازة ، والآ خر بتوات وأودغست . فيجتمعان في تبككتو
ومنها شرقا الى " كانو " .

وهذه الطرق تدل على العلاقات التجارية القديمة التي كانت تربط
بين شمال أفريقيا وغربيها ، تلك العلاقات التي وصفها الرحالة " بارت "
بأنها أقدم ما يتصور (١) . ويذكر بوفيل أربعة طرق أخرى رئيسة
كانت تربط بين الشمال والجنوب :

الأول : من سجلماسة الى ولّات ثم الى بلاد السنغال وأغالي نهر
النيجر حيث الذهب .

الثاني : من غدامس الى بلاد الهوسا الغنية عن طريق غايط وأهير .

الثالث : من طرابلس الى برنو ونهر تشاد مارة بفزان وكوار .

الرابع : من قورينه (Cyrenica) الى وداى عن طريق
كفره (٢) .

وقد تحدث مرفين هسكيت عن هذه العلاقات التجارية القديمة

بين الشمال والجنوب مرجعا تاريخها التقريبي الى سنة ١٠٠٠ ق م

ان وجدت منذ تلك الفترة عدة طرق تجارية كانت تصل المغرب والصحراء
الغربي .

أما الطريق الأول فيستد من المغرب الى الصحراء الغربي عبر
موريطانيا الحالية الى نهر السنغال ، والفرع الشرقي لهذا الطريق

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢ ، د / على أبوبكر ، طبعة مؤسسة

عبد الحفيظ البساط - بيروت .

(٢) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ٣٠ .

يوهـى الى " كومي صالح " عاصمة امبراطورية " غانه القديمة " ويرجح أن يكون هو الطريق الذى استعمل في الغزوات العربية " الفتوحات الاسلامية " التي بدأت من جنوبي المغرب في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادى متوطة في الصحراء وراجعة بكية كبيرة من الذهب ، وأن هذا الطريق قل استعماله ذات يوم ثم أعيد الى الحركة التامة في القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى عندما أنشأ البرتغاليون محطتهم التجارية في ودان .. وظل هذا الطريق مستعملا حتى نهاية القرن العاشر الهجرى السادس عشر الميلادى ، وعندما فتح المسلمون شمالي أفريقية وربما في العهد الرومانى بها كان الطريق الثانى من طرابلس الى " فزان " ، قد امتد من جنوبي غربي فزان الى " تدمماكت " ، ويمكن أن يكون قد امتد حتى منحنى النيجر .. وكانت وسائل التنقلات المعتمدة في ذلك الوقت الثور والخيول قبل دخول الجمل بلاد الصحراء في القرن الثاني الميلادى . هذا ما يوهـى كده معظم المؤرخين في شأن امتداد هذا الطريق حتى داخل الصحراء .

أما الطريق الثالث للصحراء المار " بغاؤ " وجنوب غربي أهر الى واحات خرجة ، فقد كان مستعملا قبل دخول الاسلام في شمالي أفريقية ، وان كانت معرفة المدى الطويل له قبل الاسلام غير موثقة .. وكان مهجورا خلال القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى لخطورته .

ومهما يكن من أمر ، فان اتصالات شمالي أفريقية وغربيها قد أعيدت من القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " .. ويبدو أن الذهاب الى الشمال " فزان " أصبح ضروريا قبل اللحاق

بالطريق المؤدى الى مصر . . وفي القرن الحادى عشر الهجرى * السابع عشر الميلادى * فتح الطريق المسمى بـ " الطريق السودانى " — من وادى النيل الاعلى عبر فنج ودافور ووداى وامتد حتى برنو، كما وجد طريق قديم آخر فى الشرق من طرابلس الى كانم عبر فزان وواحات كوار . . ويؤكّد " مرتين " أن هذا الطريق كان مستعملا خلال العهد القرطاجنى فى القرن الثالث قبل الميلادى ، وقد يكون قد امتد الى بحيرة تشاد فى وقت ما قبل القرن السابع الميلادى * الاول الهجرى، ويمكن أيضا أن يكون مغلّقا لفترة مؤقتة خلال الغزو العربى لشمال أفريقيا (الفتح الاسلامى) فى القرن الاول الهجرى (السابع الميلادى) غير أنه سرعان ما فتح من جديد واستمر فى الاستعمال مع توقّعات آمنة حتى القرن الرابع عشر الهجرى (العشرين الميلادى) . (١)

ومن مجموع ما سبق ، يتجلى مدى قدم العلاقات التجارية بين شمالي أفريقيا وغربيها ، ومنها نتعرف على الخطوات الاولى لدخول الاسلام فى غربى أفريقيا الذى هو هدفنا فى هذا التمهيد . .

لقد كان قيام حركة المرابطين ثم توّظهم فى الصحراء تحت قيادة أبى بكر عمر اللمتونى (٢) ، حدثا شديدا لاهمية جعل الاسلام تحت الاضواء فى تاريخ غربى أفريقيا ، إذ لم يكن المرابطون أول من بشر بالاسلام فى هذه البلاد ، فقد سبقهم الى ذلك عدة محاولات هيأت

(١) M. Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.322.

(٢) هو أبو بكر بن عمر اللمتونى أحد زعماء المرابطين توفي سنة ١٠٨٧ هـ .

للاسلام أن يدلف بخطى بطيئة في غربي هذه القارة في مدة لا تقل
عن مائتي عام.

أما متى تسرب الاسلام الى غربي أفريقيا فتلك قضية ظلت مجهولة
حتى ألقى عليها بعض الضوء الفلكي العربي الفزاري ^(١) في القرن
الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ^(٢) ، فقد كان يعرف الدولة
السودانية " غانه " كمصدر للذهب وما دام عاش فترة ما بين
١٣٢ - ١٨٢ هـ / ٧٥٠ - ٧٩٩ م ، فان ذلك يشير الى أن التجار
المسلمين كانوا ضمن أولئك الذين كانوا على اتصال مبكر بداخل السودان
في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) أو بعيد ذلك ..
ويعتبر الفزاري أول كاتب عربي مسلم أشار الى ذهب السودان كما ألقى
الضوء على هذه الحقيقة الجغرافي العربي المسلم ابن الفقيه المتوفى
سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م ^(٢) ، حيث تحدث عن طرق القوافل التجارية
عبر الصحراء من غانة الى مصر عن طريق " غاو " مدينة القوافل في منحنى
النيجر .. وقد ظل هذا الطريق مهجورا من القرن الثالث الهجري
(التاسع الميلادي) ولكنه كان مستعملا لمدة طويلة قبل هذا الهجران ،

(١) هو ابراهيم بن حبيب بن سمرة أبو عبد الله الفزاري وهو الذى يقول
فيه جعفر بن يحيى : لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو
والاصمعي في الشعر والفزاري في النجوم " معجم الادباء " لياقوت
ج ١٧ ص ١١٩-١٢٠ .

(٢) هو أحمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمداني ويعرف بابن الفقيه
" أبو عبد الله " أديب عالم بتقويم البلدان ومن تصانيفه " كتاب
البلدان " معجم المؤلفين ج ٢ ص ٨٠ .

وربما قبل فتح المسلمين لمصر ، فمن الجائز اذن أن يكون ثمة تأثير اسلامي قادم من مصر الى السودان الغربي منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) ، والذي ينبغي أن نلاحظه هنا أنه ليس هنالك دليل قاطع على أن هذا التأثير في القرن الاول الهجري كان ثابتا . ولكن هناك احتمالات لحصوله في هذا الوقت المبكر . فمعلومات الجغرافيين المسلم المهلبى ^(١) المتوفى سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ، التي تشير الى أنه كان لمدينة " غاو " ملك مسلم وكان فيها مسجد في عهده . تؤكد هذا الاحتمال ان لا يعقل أن هذا كله قد تم في ليلة واحدة ، وكذلك ما ذكره البكري ^(٢) من وجود حي اسلامي في " غاو " وأن ملك هذه المدينة كان مسلما ^(٣) . . . وتلك حقيقة أكدها المؤرخ الأفريقي السوداني أحمد بابا التيمكتي ، فقد ذكر أنه كان يوجد اثنا عشر مسجدا في مدينة " غانة " كومي صالح " حوالي عام ٦٠ هـ - ٦٢٩ م ، وأن امبراطورية أودغست الاسلامية وهي التي كونها " السوننك " إحدى فروع " الماندنغو " قامت بدور كبير في نشر الاسلام منذ القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، كما ذكر ابن حوقل ^(٤) أن ملك

(١) هو حسين بن أحمد المهلبى له كتاب " المسالك والممالك "

المشهور بالعزيزي ألفه للعزيز بالله الفاطمي صاحب مصر ونسبه الى اسمه " معجم المؤلفين ج ٣ ص ٣١٣ .

(٢) هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري ولد سنة ٤٣٢ هـ وتوفي سنة ٤٨٧ هـ ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) هو محمد بن علي بن حوقل النصيبي البغدادي الموصلية " أبو القاسم " رحالة جغرافي . توفي بعد سنة ٣٦٧ هـ ومن آثاره " المسالك والممالك " معجم المؤلفين ج ١١ ص ٥ .

أودغست يتبوتان ، كان شديد الحساس في نشر الاسلام بين قومه وبين
الزنج المجاورين من ناحية الجنوب .^(١)

وكان للفتح الاسلامي لبلاد المغرب أثره الكبير في دفع المسلمين
شمالا حتى الاندلس وفرنسا . وجنوبا حتى بلاد السودان . ورووا
أن حملة اسلامية وصلت في عام ١٠٢ هـ - ٧٢٠ م الى السنغال وعادت
بكميات كبيرة من الذهب ، وكانت أصلا موجهة لمطاردة البربر .^(٢)

كما ينقل مرفين هسكيت عن ابن عبد الحكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ
٨٧١ م ، أن حملة قد نفذت في القرن الاول الهجري " السابع
الميلادي " من جنوبي المغرب الى داخل السودان وقد قدر لها النصر
المظفر ، وأخذت كمية كبيرة من الذهب ويبدو أنه خلال هذه الحملة أسر
المغبيرون جواري من زناتة ، اللواتي رجعوا بهم الى بلادهم .^(٣)
ويروي ابن خلدون حملة عقبة بن عامر بن عبد القيس الى السودان قائلا :
(فقد فتح عقبة بن عامر بن عبد القيس باسم عمرو بن العاص مدينة
غدامس التي كانت بوابة النيجر الشرقية سنة ٦٣ هـ - ٦٦٣ م ، وفي السنة
الموالية افتتح ودان وكوار في السودان وأثنى في تلك النواحي ، وكان
له جهاد وفتح " .^(٤)

(١) دولة مالي الاسلامية ص ٤٧ ، د / ابراهيم علي طرخان ،
طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨ .

(٣) M.Hiskett. The Development of Islam in West Africa, p.19

(٤) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ ، محمد

السفري ، طبعة مؤسسة الخليج للطباعة والنشر بالكويت .

ويذكر ابن عذارى المراكشي^(١) أن عقبة انحدر في حملته الثانية الى السودان من بلاد المغرب ووصل الى غانة عن طريق ودان ومنى مساجد فيها .^(٢)

واعتمادا على مقارنة بين المصادر يتبين أن عقبة قام بحملتين الى السودان احدهما من تونس ، والثانية من المغرب ، ولا نعلم في أى مصدر على أخبار قتال أو حصار في الحملتين معا مما يدل على استجابة الأفرقة لدعوة الدين الجديد عن طواعية واقتناع ، وهو ما علل له بعض الباحثين بقوله : ونحن نرجح أن وجود قبائل بربرية وفيرة ومتنفذة في الصحراء والسودان بالإضافة الى خصائص الدين الجديد وروحته التحريرية ، خلقا جوا مناسباً للوصول الفاتح العربي الى أهدافه الروحية . والثابت أن حملة عقبة هدت أغلب قبائل البربر وبعض قبائل غانة الى الدين الجديد بالقدر الذى فتحت أعين حكام شطل أفريقيا على امكانيات السودان^(٣) ، كما يذكر في معرض حديثه عن المدن ذات الأهمية التجارية في امبراطورية غانة مدينة " هنيشين " التي ضمت جاليسه عربية هي بقايا الجنود الذين سبق لخلفاء بني أمية في الأندلس أن وجهوهم للسودان فتخلفوا وتزوجوا سودانيات^(٤) . غير أنه لا يذكر مصدره القديم في هذه الرواية وهي لا تتفق ورواية البكري التي يقول فيها :

(١)

(٢) البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ،

ج ١ ص ٢٢ تحقيق كولا وبروفينصال .

(٣) بداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٣٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .

"وببلاد غانة قوم يسمون بالهمنهين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الاسلام وهم على دين أهل غانة الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض حسان الوجوه" (١) .

ويتضح لنا اختلاف الروایتين القديمة والحديثة ففي حين تنفي الرواية القديمة المصاهرة والمناسبة بينهم وبين السودانيين وان تحولوا الى دينهم يثبت الباحث الحديث المصاهرة ويتوقف عن أحوالهم الدينية، ونحسن لا نستطيع أن نرجح رأي الدارس الحديث وان كانت قرينة من العقل لأنه لم يزودنا بمصدر قديم نعتمد عليه . وعلى أي حال ، فان كثيرا من المراجع الغربية تتحدث أيضا عن توغل جيش عقبة بن نافع أفريقية الغربية واحتلاله بلاد التكرور وغانة وان أبدى بعضهم تحفظه وعدم ارتياحه ازاى الروايات الناطقة بذلك . (٢)

ويصف لنا البكري غانة قائلا :

"ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، احدهما المدينة الاسلامية ، التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا احداها يجمعون فيه ولها الاثمة والموءننون وفيها فقهاء وحلة علم ، وحواليها آبار عذبة وعليها يعتلون الخضروات" (٣) .. كما ذكر القلقشندي اسلام أهل غانة بقوله "وكان أهلها قد أسلموا في أول الفتح" . (٤)

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٧٩ للبكري -

دى سلان - الجزائر .

(٢) مثل الرحالة الانجليزي بارت في كتابه Travels in Central Africa Vol. IV p. 580

(٣) المغرب للبكري ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ وهو أحمد بن عمر .

ومجمل القول أن الأدلة على دخول الاسلام وانتشاره في السودان

الغربي خلال هذه الفترة المبكرة أى من سنة ٢٦ هـ - ٦٤٧ م وحتى سنة ٤٦٩ هـ - ١٠٧٦ م التي كانت نقطة تحول اسلامي وأصبحت واضحة للعيان . . كانت هذه الأدلة تعتمد أولا على الروايات الشفوية المتواترة عن التجار المسلمين والرحل الذين كانوا يجهون تلك المناطق للتجارة أو الاطلاع ، الأمر الذي لا يترك مجالا للشك أمام الباحث للاعتقاد بأن التأثير الاسلامي في السودان الغربي قد بدأ بعيد انتصار المسلمين واستيلائهم على مصر . . وان كان لا يمكن تقدير مدى هذا التأثير .

وفي وصف البكري لمدينة غانة والمساجد الموجودة فيها وكذا تأكيد مؤرخ بلاط صنغاي أحمد بابا التبهكتي ما يشرح هذه الحقيقة من أن الاسلام دخل هذه المنطقة منذ فجر تاريخه اذ لا يعقل أن تكون تلك المدينة الاسلامية التي تضم اثني عشر مسجدا في تلك الفترة المبكرة قد ظهرت الى الوجود وقامت على ذلك الشكل المتطور وازدهرت بتلك المساجد الاثني عشر بين عشية وضحاها ، أضف الى ذلك أنها كانت ابان تلك الفترة المبكرة موطن لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم . كما كانت في الوقت نفسه كمية علم يقصدها طلبة العلم وينسلون اليها من كل حدب وصوب . . على أن الفضل في ازدياد انتشار الاسلام في السودان الغربي يرجع الى الجهود المضنية التي بذلتها الدول والممالك الاسلامية التي قامت في تلك المنطقة ، ولعل أول ملكة اسلامية يسجل التاريخ مساهمتها في هذا المضمار هي ملكة صنهاجة الجنوب أو اللثام . . فقد اتحدت هذه القبيلة مع قبائل لتونة وجدالة

في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) للعمل على تنظيم تجارة القوافل عبر الصحراء* فيما بين أقصى الشمال حيث تنزل قبيلة ولاته ، وأقصى الجنوب حيث تقع مملكة غانة .. الا أن هذا التحالف لم يدم طويلا ان وهنت أواصره فتفرقت كلمة القبائل البربرية في حين كانت الفرصة مهيأة أمام مملكة غانة القديمة للازدهار والسيطرة على بعض أجزاء الصحراء* التي توه بها قوافل العرب والبربر .. فلما دخلت صنهاجة في نعمة الاسلام في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تسرب الدين الحنيف عبر الصحراء* وعم المراكز التجارية الموجودة هناك واتسمت مدينة *أودغست* التي كانت المركز الأممي لتجارة غانة على حافتها الشمالية - بالطابع الاسلامي - وتحتلوا* هذا الدين الذي يدعو الى الاعتصام بحبل الله استطاعت قبائل صنهاجة أن تكون تحالفا جديدا تزعمته لمتونة بفضل الجهود التي بذلها الزعيم اللمتوني* تبولتان بن تكلان* الذي شرح الله صدره للاسلام .. وكان الهدف من هذا التحالف هذه المرة هو الجهاد في سبيل الله ونشر الاسلام في السودان الغربي (١) ولاهمية مملكة غانة السياسية والاقتصادية والعسكرية رأى الحلف أن يوجه سهامه اليها وخاصة أنها كانت أقرب مملكة وثنية اليهم ، أضف الى ذلك أن الضعف بدأ يبدب في عظام هذه المملكة السودانية الفتية بعد بلوغها أوج عزها وقوتها الاقتصادية والعسكرية ، وبالقضاء على هذه المملكة العظيمة (٢) - التي وصفها ابن خلدون بقوله : * كانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك* -

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ١٩٠ .

(٢) المبرج ص ٦٤ ، ابن خلدون طبعة دار الكتاب اللبناني .

يصبح الطريق ممهدا لفتح الممالك السودانية الأخرى ليسرى الاسلام بين قبائلها الوثنيين .. فجهزت صنهاجة جيشا جرارا لغزو المملكة فتوجه الجيش صوب مدينة "أودغست" عاصمة غانة ، وما أن سمع ملك غانسة خبر الجيش الصنهاجي حتى جهز جيشا ماثلا لقتاله دافعا عن مدينته الحيوية تجاريا والتي تمثل مصدرا اقتصاديا هاما لا يمكن للمملكة الاستغناء عنه .. فتقابل الجيشان في معركة أسفرت عن انتصار الجيش الصنهاجي .. ولم يكن لينتصر على غانة مستوليا على مدينة أودغست لولا ما وقع لغانه من سوء حظ ، إذ أغار عليه شعب " صومو " الذي تقع دياره الى الجنوب من ديار " غانة " ، فطعننها من الخلف طعنة غير متوقعة فكان على المملكة أن تحارب عدوين شرسين في آن واحد .. فقد أغار عليها صوصو من الجنوب في الوقت الذي أغار عليها المثلثون من الشمال ^(١) ، فسقطت مدينة أودغست أمام المثلثين بفضل ما قام به شعب " صوصو " من دعم لهم اما ميلا الى الاسلام أو كراهية لغانة لسيطرتها على الممالك السودانية الأخرى أو على مدينة أودغست التي تمثل مركزا تجاريا هاما تربطه صادرات أفريقيا الغربية و وارداتها عبر الصحراء الكبرى .. واتخذت صنهاجة مدينة أودغست عاصمة لمملكتهم ، ومنها أخذوا ينشرون الاسلام في المنطقة الواقعة شمالي نهر النيجر .. ووصف ابن خلدون هذه المملكة بأنها كانت مسيرة شهرين في مثلها . كما وصف ملكها " تبولتان " بأنه كان يركب في مائة ألف نجيب . ^(٢)

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٠ .

(٢) العبر ج ٦ ص ٣٧٢ .

وبعد وفاة الزعيم اللمتوني استمر الطك في اعقابه حتى عام ٣٠٦ هـ حين تبدد شمل الحلف وتفرقت قبائل البربر (١) وانتهزت غانه فرصة هذا التفرق لبسط نفوذها من جديد على أودغست ، الا أنها لم تقدر على استرداد جميع أملاكها السابقة ، بعد أن استقر قبائل الملثمين فيها فاكثفت بالسيطرة على المدينة التجارية الهامة ، ولا شك أن ذلك يكفل لها التحكم في طريق التجارة بين المغرب والسودان وهو ما يدر عليها أرباحا طائلة وذلك هو المبتغى .

ولم يدم عامل الفرقة بين الملثمين طويلا ، فقد استطاعت لمتونة بفضل جهود الأمير بروتان وبسنو* أن تلم شعث الملثمين مرة أخرى للهجوم على أودغست لتتصق عنها سلطة غانة وتحولها الى عاصمة لها مرة أخرى ، وتم لها ذلك عام ٣٥٠ هـ .

غير أن لهيب الصراع ظل يتطاول شرره بين غانة وبين الملثمين فما كانت غانة لتهدأ ثائرتها ما لم تسترد مدينة أودغست التي تعتبر قضيتها قضية حياة أو موت ، وما لبثت أن استردت المدينة مرة أخرى وتفرقت قبائل الملثمين ..

وهكذا ظلت مدينة أودغست تحت سيطرة غانة حتى استولى عليها المرابطون في القرن الخامس الهجرى * الحادى عشر الميلادى * فردوها الى الملثمين ..

فقد قدر ليحيى بن ابراهيم شيخ قبيلة جدالة أن يؤدى فريضة الحج مع بعض الصنهاجيين عام ٤٥٦ هـ / ١٠٣٥ م اثر رحلته تلك التي أراد من ورائها أن يستنير ويستزيد من تحصيل العلم بعد أن ضساق

(١) العبر ج ٦ ص ٣٧٢ .

ذرعا بما تعثر فيه قومه من الجهالة وسوء الفهم لبأدى* الاسلام، فعهد
بأمر القبيلة الى ابنه وأخذ يتجول في بلاد المغرب طلبا للمعرفة حيث
وقف على أصول الاسلام القويمة فمقد العزم على أن يذيعها بين
الملثمين . وبعد عودته من رحلة الحج أدرك أنه لا يستطيع مباشرة
هذه المهمة الشاقة بفرده لانشغاله بأمور القبيلة .

ومن هنا رأى ضرورة البحث عن فقيه يعلم قومه الاسلام
ليخلصهم من الاعتقادات الخاطئة ، فتوجه صوب القيروان المركز
الاسلامي العام . حيث أحس باليون الشاسع بين البيهتين بيئة المغرب
الأقصى الزاخرة بالحياة العقلية الرفيعة وبيئة الصحراء التي ترتضخ
في الجهل فاتصل بشيخ المالكية في القيروان أبو عمران الفاسي ملتصا
منه انتداب تلميذه يرجعون اليه في نوازلهم وقضاياهم الدينية ..
وحرصا من الشيخ على إيصال الخير المهم وجههم الى تلميذه " وجاج بن
زلو اللمطي " وانتدب لهم هذا الأخير تلميذه الفقيه الورع المجاهد
المقدام " عبدالله بن ياسين بن مكو الجزولي " فاستجاب لهذه الدعوة
وكرس جهده لهداية هؤلاء الناس يعلمهم القرآن وقيم لهم الدين ..
الا أن طابع التشديد الذي انطبع به منهج عبدالله بن ياسين قد نغز
القوم عنه فقرر أن يهجرهم الى جزيرة على ضفاف نهر السنغال بقصد
الانقطاع لله والسياسة مستصحا يحيى بن ابراهيم وسبعة من رجال
جدالة " (٢) .. غير أن البربر الذين أعرضوا عنه لعنفه قد

(١) المعبر ج ٦ ص ٣٧٤

(٢) تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ص ٢٢٧-٢٢٨ ، للوزير
الغرناطي ، لسان الدين بن الخطيب ، طبعة دار الكتاب .

شعروا بوخزة الضمير فجاءوا اليه يلتمسون منه العفو مهددين استعدادهم التام لتلقي تعاليمه الدينية وتنفيذ أوامره ومن ثم اجتمع حول عبدالله ابن ياسين في رباطه الذي اتخذ في تلك الجزيرة زهاء ألف شخص ساهم المرابطين^(١) وبعد أن اكتمل له هذا العدد الضخم من الرجال الاقوياء بايمانهم قال لهم عبدالله بن ياسين : " ان الفالان تغلب عن قلة وقد تعين علينا القيام بالحق والدعاء اليه وحمل الكافة عليه فاخرجوا بنا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبائل لتونة وكدالة وسوفة حتى أنابوا الى الحق .. وأذن لهم في أخـذ الصدقات من أموال المسلمين وسماهم المرابطين^(٢).

ولعل أهم ما قام به المرابطون خدمة للاسلام في السودان الغربي هو هجومهم على مدينة أودغست التي كانت غانة " قد استردتها من الملثمين . فقد استطاع المرابطون أن ينتصروا على " غانة " بعد معركة استيسل فيها الفريقان واستشهد فيها قائد المرابطين " يحيى بن عمر " وانتهت باستيلاء المرابطين على " أودغست " وكان ذلك سنة ٤٤٧ هـ . ١٠٢٦ م ، وقد علل بعض المؤرخين هزيمة غانة بأن ملك التكرور الذي شرح الله صدره للاسلام قد حالف المرابطين وخاض غمار الحرب الى جانبهم^(٣) . أما " غانة " فمن المعروف أنها كانت أكبر إمبراطورية أفريقية قامت بغربي أفريقيا ، وكان أول سلطانها هو " تيمغ " و ان سلطة غانة قامت قبل البعثة المحمدية بزمان طويل ، تلك في أثناءه اثنا وعشرون ملكا ثم تملك بعدها اثنا وعشرون آخرون^(٤) .

(١) تاريخ الدول الاسلامية السودانية بأفريقيا الغربية ، ص ٣٢ ، د /

عبد الرحمن زكي ، المؤسسه العربية الحديثه .

(٢) العبر ج ٦ ، ص ٣١٨ .

(٣) راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٢٥ .

(٤) راجع تاريخ الغتاش ص ٤١ تحقيق هوداس وونوا - باريس ١٩٦٤ م .

وكان حكامها الاوائل بيضاناً في الاصل^(١)، وان كانت الاصول التي يرجعون اليها لا زالت لغزاً أعيا الباحثين حله ولا يزالون مختلفين .

واشتهرت هذه الامبراطورية بمعظمة قوتها العسكرية والاقتصادية مرفاهة ملوكها وثرائهم هذخهم .

على أن دولة ملوكها البيض سقطت في نهاية القرن الثاني الهجرى (الثامن الميلادى) حيث قامت أسرة " السونك " بثورة ضدها وتأسست دولتهم على أنقاضها .

وفي زوال دولة الحكام البيض يقول أحد المؤرخين :

" ثم أفنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم .. وقتلوا جميع أولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نساءهم ويخرجوا الالة و يقتلونهم " .^(٢)

وبعد أن تبدد شمل الحكام البيض اتجه بعض فلولهم مع أنصارهم الى بلاد " التكرور " فاختلفوا هناك بالتكررة فلم يعودوا بيضاً كما كانوا بل أصبحوا أشبه بالزنوج منهم بالبيض .

ويروى أنهم نجحوا في التحكم السياسى في منطقة " تكرور " فظلوا هناك أصحاب النفوذ حتى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) عندما ثارت ثورة التكررة " فسحبوا بساط الحكم من تحتهم وطردها هو " لا " المغتصبين الدخلاء .

(١) تاريخ السودان للسعدى ص ٩ نشر هوداس - باريس ١٨٩٨ م .

(٢) تاريخ الفتاش ص ٤٢ .

ويذكر أن هو " لا " البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم
" الفلانيين " . وقد حكم خلفهم من الأسرة السوننكية امبراطورية
" غانة " حتى مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)
باستثناء الفترة التي استولى خلالها المرابطون على عاصمة " غانة " من
عام ٤٩٧ - ٤٩٩ هـ / ١٠٧٦ - ١٠٧٨ م . وفي عهد هذه الأسرة
بلغت الامبراطورية أوج قمتها وذروة مجدها وازدهرت اقتصاديا
وعسكريا . (١)

وقد اشتملت هذه الامبراطورية على منطقة واسعة من الحسدود
المتاخمة لجنوبي الصحراء الكبرى شمالا وامتدت جنوبا الى مناجم
الذهب في " بيبوك " ومن نهر النيجر في الشرق الى المحيط الاطلنطي
غربا .

هذه المنطقة تشكل حاليا جزءا من جمهورية موريتانيا ، وكلا من
جمهورية السنغال ومالي . (٢)

وقد دان لهذه الامبراطورية بالولاة عدد كبير من ملوك السودان
الغربي ابان عزها وقوة سلطانها ، ولا نبلغ حشد الشطط اذا قلنا
ان غالبية ^{ملوك} هذه المنطقة كانوا يدينون لها بالولاة التام ، ويؤيد ذلك
قول ابن خلدون : " كانوا أعظم أمة وأضخم ملك " . (٣)

(١) امبراطورية غانا الاسلامية ص ٢٧ .

(٢) P.B. Clarke, West Africa and Islam p.37.

(٣) العبر ج ٦ ص ١٤٩ .

ورغم المعارك العديدة التي خاضتها " غانة " مع دولة صنهاجة اللثام ودولة المرابطين الا أن هاتين الدولتين لم تستطعا أن تحملا ملوك " غانة " على الاسلام عنوة . والسبب في ذلك يرجع الى أنه لم تقدر أية واحدة منهما على سحق قوة " غانة " العسكرية والاستيلاء على جميع أراضيها ، وقد رأينا فيما سلف عن الدولتين الصنهاجية والمرابطية كيف أن كل واحدة منهما لم تزد على الاستيلاء على مدينة " أودغست " عاصمة " غانة " وكيف أن " غانة " لا تلبث أن تستردها وان كانت الدلائل تشير الى أن " غانة " لم تستطع أن تسترد عاصمتها الحيوية بعد استيلاء المرابطين عليها عام ٤٨٨ هـ / ١٠٦٢ م .

وهاهو ذا البكري يصف غانة وملوكها في العصر الذهبي ،

فيقول :

" ان اسم ملك " غانة " في سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٣٩ م " تكامين " الذي ولي سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٣٤ م ، وكان اسم الملك قبله " بسبي " الذي ولي وهو ابن خمس وثمانين سنة ، وكان محمود السمرة محبا للعدل مرثدا للمسلمين (١) .

أما عن عاصمتها ، وهي مدينة " أوكار " التي تحول اليها الملك بعد سقوط " أودغست " فيقول فيها " ومدينة " غانة " مدينتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا ، أحدها يجمعون فيه . ولها الأئمة والمؤذنون والرايون ، وفيها فقهاء وحملات علم . . ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة والساكن بينها متصلة ببيانهم بالحجارة وخشب السنط (٢)

(١) المغرب ص ١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه .

ورغم وثنية الملك إلا أنه كان يحترم المسلمين ويكرمهم ويتخذ منهم بعض خاصته ، وآية ذلك ابتناؤه مسجدًا في مدينته صلى فيه من يفد عليه من المسلمين ، يقول البكري :

" وفي مدينة الملك مسجد صلى فيه من يفد عليه من المسلمين على مقربة من مجلس الحكم " .

وفي تصوير البكري للحياة الاجتماعية ما لا يبقى مجالًا للشك في أن الإسلام قد انتشر في ربوع الإمبراطورية رغم تسك الملك نفسه بالوثنية . وليس أدل على ذلك من كون " ترجمة الملك من المسلمين وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزراءه " .

وبصور البكري الميزة التي كان يتمتع بها المسلمون تحت ملكته دون غيرهم . وتلك الميزة في التقاليد المرعية في السلام على الملك فيقول : " فإذا دنا أهل دينه جثوا على ركبهم ونشروا التراب على رؤسهم فتلك تحيتهم له ، وأما المسلمون فأنما سلامهم عليه تصفيق باليدين " . (١)

وهنا يجدر بنا الرد على المؤرخ الغربي في زعمه الكاذب بأن ملوك " غانة " قد حطوا على الإسلام عنوة عند استيلاء المرابطين على " أودغست " . (٢)

وهو زعم يفتقر إلى دليل ويستند على أساس واه . . . إذ أنه لو كان

(١) مراجع كتاب المغرب ص ١٦ .

(٢) Hoben : The Mohammadan Emirates p.29 .

خروج "أودغست" من أيديهم يحملهم على اعتناق الاسلام لاعتنقوه من القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، حين استولى الزعيم اللمتوني "تبولتان بن تىكلان" على المدينة للمرة الأولى ، ولكنهم لم يسلّموا بسل حولوا عاصمتهم الى "أوكار" التي تقع على مسافة خمسة عشر يوما في الجنوب ، فاذا كان المرابطون لم يزيّدوا على الاستيلاء على "أودغست" فليس هنالك ما يحمل ملوك "غانة" على اعتناق الاسلام لأنهم لم يفقدوا الا جزءا صغيرا من مملكتهم .. وان كان حيويا جدا من الناحية الاقتصادية للدولة ^(١) . ومن الصعوبة بمكان تحديد الوقت الذي اسلم فيه ملوك "غانة" وذلك لعدم تحديده في المراجع التي بأيدينا .

فالزهري الذي كان كتابه بعد كتاب البكرى يذكر أن ملوك "غانة" كانوا مسلمين في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ^(٢)

والادريسي الذي كتب بعد أن أسلموا تحدث عن كونهم مسلمين فقط ولم يشر الى الوقت الذي أسلموا فيه . ^(٣)

وقد بدأ الضعف يسرى في أوامر مملكة "غانة" منذ هزيمتها على أيدي المرابطين ومنذ انفلتت من يدها زمام مدينة "أودغست" ذات الحيوية الاقتصادية ، والتي تربها صادرات وواردات السودان الغربي من ذهب وقطن وجلود وصمغ وعاج وعسل وذرة الى أقطار شمالي أفريقية .

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٠ .

(٢) نقلا عن كتاب : P.B. Clark West Africa and Islam p.18 .

(٣) الشريفة الادريسي : المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس

ص ٦ (ليدن ١٨٩٤) .

وبفقد هذه المدينة فقدت " غانة " أكبر مورد من مواردها .. متضاؤل
اقتصاديات الدولة أخذ الضعف يدب في عظامها شيئا فشيئا حتى أنهى
بها الحال إلى سقوطها عام ٦٦١ هـ / ١٢٤٠ م على يد ملك صوصو الذى
أغار عليها عدة مرات وأخيرا تم له الاستيلاء على العاصمة " أوكار " .

ومع أن هذا الملك لم يستطع أن ينشئ " ملكة كبيرة بتحطيم
ملكه " غانة " فانه سهد الطريق لقيام دولة " مالي " التي قامت
بدور بارز في نشر الاسلام في السودان . (١)

وهنا يتحتم علينا أن نؤكد حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل ، وهي
أن أهمية هذه المملكة تتركز في أمرين اثنين ساعدا على انتشار الاسلام
في كثير من بلاد أفريقيا الغربية وهما :

أولا : عدم صد هذه المملكة رعاياها عن اعتناق الاسلام وترك الحرية
الكاملة لهم لممارسة شعائهم الدينية ومنح المسلمين بعض الامتيازات
التي لا يتمتع بها الوثنيون الذين هم على دين الملك .

ثانيا : ما يذهب اليه عدد كبير من المؤرخين من أن حكام هذه المملكة
هم الأصل للشعب الفولاني الذى قام بدور كبير في نشر الاسلام والثقافة
العربية في كثير من بلاد أفريقيا الغربية . (٢)

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٢ .

(٢) المصدر نفسه .

أما " مالي " أو " ملّ " كما تسمى أحيانا ، فهو الاسم
الذى أطلق على المملكة التي أسسها قبائل " السوننك " أو " المالنك "
في منحى النيجر .

وكانت قديما تحت حكم أسرة " كيتا " .

ويحيط الغموض تاريخ نشأتها لخلو المصادر المعتمدة في تاريخ
السودان الغربي منه .

وكانت ذات يوم جزءا من امبراطورية " غانة " ، وان كانت تتمتع
باستقلال ذاتي (١) .

وكان من بين ملوكها ، ملك أسلم على يد شيخ طيب اثرمحنة
كادت تغنى البلاد والعباد . . ولكنها انجلت بفضل دعاة هذا الشيخ
المسلم . . ولنترك المجال للبكرى كي يحدثنا عن هذا الحدث الجليل :
" عرف ملك " مالي " بالمسلماني لأن بلاده أجديت عام بعد
عام ، فاستسقوا بقرابينهم من البقر كادوا يفنونها ، وكان عندهم ضيف من
المسلمين يقرء القرآن ويعلم السنة . فشكا اليه الملك ما دهمهم من ذلك ،
فقال لهم :

أيها الملك ، لو آمنت بالله تعالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد
عليه الصلاة والسلام وأقررت برسالته واعتقدت شرائع الاسلام كلها ، لرجوت
لك الفرج مما أنت فيه وحل بك . وأن تعم الرحمة أهل بلدك وأن
يحسدك على ذلك من عاداك وناوأك .

فلم يزل به حتى أسلم وأخلص نيته ، وأقرأه من كتاب الله ما تيسر عليه . وعلمه من الفرائض والسنن ما لا يسع جهله ثم أمهله الى ليلة الجمعة ، فأمره فتطهر فيها طهرا سابغا وألبسه ثوب قطن عنده ، وحرزا الى ربوة من الأرض ، فقام يصلى والملك عن يمينه يأتى به . فصليا من الليل ما شاء الله ٤ و " الشيخ " يدعو والملك يوم من ، فما انفجر الصباح الا والله قد أعمهم بالسقي . فأمر الملك بكسر الدكاكير " أى الأصنام " وأخرج السحرة من بلاده . وضح اسلامه واسلام عقيقه (١) وخاصته ، وأهل مملكته مشركون فوسدوا ملكهم منذ ذلك الوقت بالمسلماني .

تلك هي قصة اسلام أول من أسلم من ملوك " مالي " .

ومع أن البكرى لم يذكر لنا اسم هذا الملك ولا اسم العالم المسلم الذى كان له الفضل بعد الله في اسلام الملك ، الا أن وجود داعية مسلم ينهض بأعباء الدعوة الى الله ببلاد هذا الملك يومئذ لنا أن الاسلام لم يكن غريبا في " مالي " أثناء هذا الحدث .

ولكن القلقشندى يذكر اسم أول من أسلم من ملوك " مالي " ،

فيقول :

" وكان ملوك " مالي " قد دخلوا في الاسلام منذ زمن قديم وأول من أسلم منهم ملك اسمه " برمندانه " وحج بعد اسلامه فاقترف به في الحج من جاء بعده من الملوك " . (٢)

(١) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص ١٢٨ .

(٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ١٩٣ .

أما المقرئ فيقول : " ويقال ان أول من أسلم منهم ملك
اسمه " سرمندان " ويقال " برمندان " (١)

وتميز ابن خلدون بالدقة القصوى عندما تحدث عن اسلام
أهل " مالي " وملكها فقال : " .. ودخلوا في دين الاسلام منذ
حين من السنين و حج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم " برمندان "
وسمعت في ضبطه " برمندان " (٢)

اذ لا يعني بالضرورة أن يكون أول من حج من ملوكها أول من
أسلم منهم . وخاصة أن هناك رواية شفهية مؤداها أن مؤسس أسرة
الترويين في حكم " مالي " واسمه " منسا نون تراورا " قد اعتنق
الاسلام . . وربما كان هذا الملك أو غيره من سبقه أو من جاء بعده هو
المعني في عبارة البكري (٣)

ومهما يكن من أمر ، فان الاسلام في هذه المملكة قديم قدم تاريخ
دخوله في السودان الغربي . وتعد ملكة " مالي " أقوى وأغنى الممالك
السودانية التي ظهرت في السودان الغربي ، ويميزها عن غيرها ذلك
الدور الرائد الذي نهضت به من أجل توحيد القبائل الزنجية داخل
ولايات ، وكذا الدور البارز الذي اضطلعت به من أجل نشر الاسلام
والدعوة له في جميع بلاد المنطقة . (٤)

(١) الذهب المسبوك ص ١١٠ للمقرئ مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر .

(٢) العبرج ص ٤١٣ .

(٣) راجع دولة " مالي " ص ٥٢ .

(٤) دولة " مالي " ص ٢٥ و The Development of Islam in
West Africa, p.29.

وقد مرت هذه المملكة بمراحل متعددة بين مد وجزر ولكن تاريخها الذهبي يبدأ بتاريخ مؤسسها الحقيقي "سندياتا" أو "مارى جاطه" سنة ٦٥١ - ٦٧٦ هـ / ١٢٣٠ - ١٢٥٥ م . ومن جاء بعد هذا الملك "منسا موسى" ويعتبر موسى أعظم ملوكها ، وفي عهده بلغت المملكة أوج مجدها وعزها وامتدت حدودها من بلاد "التكرور" غربا ، الى "دندى" شرقا ، ومن "ولته" شمالا ، الى مرتفعات "فوتاجالون" جنوبا ، و"ولته" أو "ايولاتن" هو الاسم الذى أصبح يطلق على ما كان يعرف "بغانه" (١) .

وكان أسلاف منسا موسى يحجون البيت الحرام كل عام ولكن زيارة منسا موسى للأراضي المقدسة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٢٤ م كانت فريدة من نوعها من حيث الأبهة ..

وكتب التاريخ طليعة بذكر أحداث هذه الرحلة التي كانت من نتائجها أن انخفض سعر الذهب في أسواق القاهرة بسبب اغراقها بذهب السودان . وتسبب كثرة الذهب في أيدي الناس . ولم يرتفع سعر الذهب بعد ذلك لمدة سنوات طويلة . (٢)

ومن خلال هذه الرحلة اشترى السلطان موسى كتباً عديدة في الفقه على مذهب الامام مالك في مصر واستصحب معه كثيراً من العلماء والفقهاء الى بلاده ومن ضمنهم المهندس الاندلسي الشاعر أبو اسحاق الساحلي . (٣)

وقد شهد له المذكور عمائر ومساجد أضفت على بلاده طابعاً

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٥ .

(٢) دولة مالي ص ٨٤ .

(٣) العبر ج ٦ ص ٤١٥ .

اسلاميا متميزا في مجال فن العمارة .

ومن خلف هذا الملك " منسا سليمان " الذي ولى لمدة أربع وعشرين سنة ، وفي عهده زار ابن بطوطة ملكة " مالي " .

وقد بنى " منسا سليمان " المساجد والمدارس وجلب الى بلاده الفقهاء من مذهب الامام مالك (١) .

ولندع المجال لابن بطوطة كي يحدثنا عن " مالي " في تلك الحقبة وخاصة حياتها الدينية والاجتماعية فيقول :

" فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم فهم أبعد الناس عنه ، وسلطانهم لا يسامح أحدا في شيء منه ، ومنها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر اليها ولا المقيم فيها سارقا أو غاصبا " (٢) .

وعن محافظتهم على الصلوات وعنايتهم بتحفيظ القرآن يقول :

" ومنها مواظبتهم على الصلوات وملازمتهم لها في الجماعات ، وضربهم أولادهم عليها . وان كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد أين يولي لكثرة الزحام . ومن عاداتهم أن يبعث كل انسان غلامه بسجادة ، فيبسطها له بموضع يستحقه حتى يذهب الى المسجد . . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ، فلا يفك عنهم حتى يحفظوه . (٣) "

(١) تاريخ الدولة السودانية بأفريقية العربية ص ١١٣ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ص ٦٩٠ طبعة دار صادر ودار بيروت .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٠١ .

والجدير بالذكر أن دولة " مالي " لم تكتف باعتناق الاسلام والحرص على مظاهره وعلومه فحسب ، وانما أخذت تدعو له بين الوثنيين حتى ان الدور الذى قامت به في نشر الاسلام يعد من أهم مراحلها في افريقيا جنوبي الصحراء ، فقد اقترنت جميع فتوحاتها الحربية بالدعوة الاسلامية والى ذلك أشار العمري بقوله :

وطك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان . (١)
وتسميزت الدعوة الاسلامية في " مالي " باتجاهين :

الأول : انتشار الدعوة في الامبراطورية نفسها ، ويوضح ذلك في الوجود الاسلامي المتمثل في الدعاة والعلماء والفقهاء والتجار المسلمين والحكام ، وان كانت الأغلبية على الوثنية . وكان هذا الوجود قديما كما أشار اليه القلقشندي وابن خلدون فيما سبق . .

كما كان لهذا الوجود طابعه المميز الراقى والذي يجذب اليه أنظار خاصة القوم فضلا عن عامتهم ما يدعو الى تقليده / عن امتزاجه بالشعب بالمصاهرة والاختلاط وذوبانه في المجتمع بسلوك متميز كان له تأثيره المبكر وخاصة في الطبقة العليا . ما اقتضى اسلام أول من أسلم من الملوك فيها على يد داعية من هؤلاء فيما رواه البكري آنفا .

ومن مظاهر هذا الانتشار عناية الملوك بابتناء المساجد في أرجاء الامبراطورية وبالمختلطين في عمارتها ما أعطى للامبراطورية طابعا حضاريا وثقافيا .

وقد قيل ان السلطان " منسا موسى " كان يبني مسجدا في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها .

(١) دولة مالي نقلا عن مسالك الأبطال .

(٢) تاريخ السودان ص ٧٠ .

ومن مظاهر الانتشار هذه كثرة المدارس في " مالي " ملحقة بالمساجد ومستقلة عنها ، وانتشرت بانتشارها لغة القرآن وعلومه وازداد الاقبال والاهتمام بحفظه ودراسته وقد مريبك وصف ابن بطوطة لهذه الظاهرة قبلا .

أما الاتجاه الثاني ، فقد تمثل في قيام " مالي " بنشر الدعوة الاسلامية فيما جاورها من الأمم الأفريقية السودانية بأسلوبين :

الأول : حركات جهاد في الوثنيين حولها ممثلة في انتشار حاميات " مالي " العسكرية بين ساحل المحيط الأطلسي غربا الى " كانوا " في أرض الهوسا شرقا والى قلب الأذغال في الجنوب . وأوغلت شمالا في الصحراء وأصبحت " مالي " أقوى دولة في السودان الغربي لها بأس شديد وسيادة ونظم ورسالة هي رسالة الاسلام تنشرها ، والى ذلك يشير العمري بقوله :

" ملك " مالي " في جهاد دائم وغزو ملازم لمن جاوره من كفار السودان " . (١)

وتمثل الأسلوب الثاني في الحركة السلمية بايغاد العلماء والدعاة للدعوة الى الله . ومن تلك الوفود ، الوفد الذي وصل الى " كانوا " وكان يضم أربعين رجلا من " الماندنغو " بقصد الدعوة الى الله وذلك في فترة منتصف القرن الثامن الهجري ونهايته . (٢)

(١) الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الفلافي ص ١٠٤ د / حسن عيسى عبد الظاهر طبعة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية .

(٢) لمزيد من التفصيل راجع الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ .

وبدأت أمور الدولة تضطرب وانتهت " مالي " كإمبراطورية اسلامية - سنة الله في خلقه - وكان العامل القوي في التعجيل بتقويضها ووراثتها دولة " صنغاي " التي كانت تحت حكمها واستقلت عنها وحاربتها فملكها ووسعت رقعتها. (١)

وعلى الرغم من سقوط مملكة " مالي " فان جهود أفراد شعبها في نشر الاسلام لم تتعثر ولم تتأثر بانهايار الدولة .

وفي عهد ملك " كانو " يعقوب الذي تولى الملك سنة ٨٧٣هـ / ١٤٥٢م الى سنة ٨٨٣هـ / ١٤٦٢م تقريبا ، وصل وفد آخر من " مالي " الى " كانو " ولكن هذا الوفد كان يختطف عن الاول ، حيث كان يتألف من " الفلانيين " .

وقد أحضروا معهم كتب التوحيد واللغة العربية ، وكانت الكتب الدينية المعروفة قبل ذلك غير القرآن هي كتب الفقه والحديث .

ولم يقم هذا الوفد في " كانو " كسابقه وانما واصل سفره شرقا الى " برنو " تاركا وراءه أفرادا منه في أرض الهوسا . (٢)

ثم قامت مملكة " صنغاي " على أنقاض " مالي " بعد أن كانت خاضعة لها . وكان أول من أسلم من ملوكها " زاكسي " وذلك في سنة (٤٠٠هـ) / القرن الحادى عشر الميلادى ، ويقال له " مسلم دم " ومعناه الذى أسلم طوعا . (٣)

(١) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١١ .

(٢) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٩ و The Kano Chronicles in Palmer Sudanese Memoirs Vo. III p. 104-5

(٣) تاريخ السودان .

وقد مرت هذه المملكة بمراحل عديدة بين مد وجزر الى أن حكمها "الحاج أسكيا محمد" وكان عهده مفترق الطريق في تاريخ "صنغاي".
فقد اتجه بها وجهة أخرى أقامت لها وجهها الاسلامي ، وكان يدين بعقائد المذهب السني .

وتقلد حكم البلاد واستخدم طائفة من الموظفين الأكفاء ونظم الجيش واستغل ثروة سلفه في النهوض بالشئون الاسلامية ، واستردت "تيكتو" في عهده مكانتها كمركز للدراسات الاسلامية^(١).

وكان هذا السلطان قد انتزع الملك من آل "سن علي" بعد أن كان قائدا من قواد هذه الأسرة المالكة .

غير أنه لم يكن في ذلك بالخارج الباغي أو الطامع للسلطان ، وإنما تحمس طريقه الى ذلك على ضوء كلمة الاسلام وحالة المجتمع في عصره وما كان عليه "سن علي" من البغي والظفیان .

وشهادة ذلك تلك الأسئلة التي وجهها الى الامام "المغيلي التلمساني" يطلب فيها حكم الاسلام في كثير من القضايا ومن بينها قضية انحراف المجتمع وحكامه .^(٢)

وكان له جهاد كبير في نشر الاسلام بين الوثنيين من جيرانه "الماندنجو" و"الفلاني" في الغرب ، والطوارق البربر في الشمال ، واليهوسا في الجنوب ، وكذا بلاد "الموشى" الوثنية.^(٣)

(١) الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ص ٦٢ - ٢٠ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص ١١٢-١١٣ .

(٣) المصدر السابق .

ثم قام برحلة الى الحج سنة ٩١٦ هـ / ١٤٩٥ م فافت ما عرف
عن " منسا موسى " في الأبهة والفكر ، التقى خلالها بالخليفة العباسي
فطلب منه أن يجعله نائبا عنه في " صنغاي " ، فأجابه الخليفة الى
ذلك وجعل على رأسه قلنسوة وعمامة .

كما التقى في رحلته تلك بكثير من العلماء الصالحين ، منهم الامام
جلال الدين السيوطي . وما يسجل له ، أنه كان أول من عين القضاة
للفصل بين الناس وفق الشريعة الاسلامية .

وجاء " الأساكي " بعده يشجعون العلم ، وكان لبعضهم
مكتبات كبيرة يشتري لها دائما المخطوطات والكتب الجديدة التي تصل
الى السودان من مصر والمغرب . وشاعت هناك كتب للامام السيوطي ، وكان
لاتصاله برجال الدين البارزين في القاهرة كجلال الدين السيوطي وغيره
وما قدموه له من نصائح وارشادات دور بارز في تطوير التعليم في
السودان الغربي . (١)

ثم كانت نهاية هذه المملكة الاسلامية العظيمة على يد الجيش المغربي
الغازي الذي أرسله الملك " أحمد المنصور الذهبي " أواخر القرن العاشر
الهجري / السادس عشر الميلادي فقتل عليها ، وبذهابها لم يبق بعدها
قوة ذات خطر في السودان الغربي .

واستقبلت المنطقة بقدوم الغزاة عهدا جديدا من حكم القواد
الغزاة والباشوات ، ظل حوالي قرنين أصيب فيهما البلاد بالفتك والانحلال

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٥ .

والخمول ، فكثرت الحروب الأهلية وتحطمت الامارات الاسلامية الا ما كان من نشاط " الباجرمي " و " الوداي " في حوض تشاد فسي منتصف القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي .

ووجدت الدعوة الاسلامية نفسها أمام حالات من الاختناق والتعويق مثلة في انحرافات كثيرة من حلة الاسلام لبعدهم عن مفاهيمه الدقيقة وحقائقه الوضيئة ، وانقسام سلوكهم عن تعاليمه الناجعة ، ولم يجد من يقوم بتصحيح سيرته لدى الناس ومد رواقه على الحياة واشاعته نوره في المجتمع . .

وهكذا ترك المغاربة مرارة وحسرة في صدور أهل السودان الغربي ما كان له أسوأ الأثر خلال الأعوام التالية . .

وبذلك أسدل الستار على أقصى ما تعرض له السودان الغربي من الغزو الذي جاء من الشمال .

ثم استعد لغزو أجنبي آخر ، قدم هذه المرة من سواحل المحيط الأطلسي ومن الجنوب . . هو الغزو الأوربي الذي كانت فيه الضربة القاضية على تقاليد هذه الشعوب وقسمها وعلى ثقافتهم العربية الاسلامية . (١)

وبعد حين من الزمان ، قامت عدة حركات اصلاحية لنشر الاسلام وثقافته بين الوثنيين وتصحيح مفاهيمه لدى المسلمين المنحرفين . . وقامت هذه الحركات بالجهاد في سبيل ذلك بالسيف واللسان والقلم .

(١) لمزيد من التفصيل يراجع " تاريخ انتشار الاسلام في غرب أفريقيا " ص ٦١ - ٧٣ د / عبد الرحمن زكي ، دار الاتحاد العربي .

ومن أكبر هذه الحركات ، حركة الشيخ عثمان بن فودي في ممالك
الهوسا الوثنية في نيجيريا .

وقد انتصر عليهم وأقام دولة اسلامية قوامها نشر العدل بين
الناس واعادتهم الى العقيدة الصحيحة النابعة من كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم .

وكان لهذه الحركة الجهادية أثر كبير في تقدم أحوال الاسلام
والمسلمين ليس في نيجيريا فحسب ، ولكن في غربي أفريقيا كلها .

كما كانت الحركة اعلاء للثقافة العربية الاسلامية في تلك البلاد ،
اذ لم تكن دعوة الى الدين منحصرة في التصوف وانما كانت موجهة على
حركة علمية وعلى دراسة أصيلة ذات أهداف مرسومة غير مرتجلة .

وآية ذلك ما صدر من المؤلفات العلمية القيمة في تلك الفترة
المبكرة من حركته ، وأولها مؤلفات الزعيم المجدد " عثمان بن فودي "
نفسه ، فقد ألف ما يربو على ثلاثين كتابا وبحثا في الفقه والسياسة
والجهاد .

وكان شقيقه " عبدالله بن فودي " فقيها مؤرخا ولغويا نحويا
وشاعرا أديبا ، له في كل هذه الميادين كل طريف رائع . . عرف من
مؤلفاته أكثر من ثلاثة وعشرين كتابا بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها
ترجم ونشر في اللغات الأجنبية . . وكذا ابن الزعيم ، " محمد بلوين
عثمان " ، فقد كان أديبا وشاعرا ومؤلفا بارعا ، له أكثر من ستة مؤلفات
بين مخطوط ومطبوع .

والى جانب هؤلاء علماء آخرون حملوا رسالة الفكر وشعلة الحضارة
الاسلامية . (١)

(١) مراجع " الثقافة العربية في نيجيريا " ص ٢٤٦ - ٢٩٧ .

وقد أدرك علماء الغرب من بريطانيين وفرنسيين منذ وطسوا
الاستعمار الأوربي غربي أفريقيا قيمة وأهمية المخطوطات العربية
التي ألفها علماء السودان الغربي فنقلوا أكثرها إلى مكتبات بلادهم .
ودأبوا على بحثها ثم ترجمتها ونشرها بواسطة المعاهد العلمية
عندهم .

ومع ذلك فلا تزال هناك إلى اليوم مئات المخطوطات العربية
في ميادين العلوم والمعارف المختلفة في مدن نيجيريا الشمالية ، وفي
السندغال وبريطانيا وفرنسا لم تصل إليها يد التحقيق ، ومن هنا ندعو
الباحثين المسلمين إلى تكاتف الجهود - في العالم الإسلامي عامة والعالم
العربي على وجه الخصوص - على تحقيق هذا التراث الإسلامي السوداني الهام
ونشره لخدمة الدين والعلم ، وهو تراث يمثل عظمة الإسلام وتأثيره الإيجابي
الرائع فيمن اعتنقوه من الشعوب غير العربية ، كما يمثل إسهامات علماء
السودان الغربي في إثراء مكتبة التراث العربي الإسلامي . . وهي
جهود لا تقل عن مستوى جهود علماء المشرق والمغرب العربيين في
تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي . .

ولا شك أن الوقت قد حان للقيام بهذه الرسالة الجليلة ، والله
مع العاملين .

الباب الأول

حياة الشعر العربي في غرب إفريقيا

ويشتمل على لفصول الثمانية :

- الفصل الأول : نشأة الشعر العربي في غرب إفريقيا .
- الفصل الثاني : الجذور القوية للشعر العربي في غرب إفريقيا .
- الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غرب إفريقيا .

الفصل الأول :

نشأة السفر العربي في غرب إفريقيا .

من مقتضيات الحديث عن نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا
الحديث عن حركة اللغة العربية ، ومدى انتشارها في ربوع المنطقة
قبل الاستعمار . فقد امتدت الثقافة العربية الاسلامية في المغرب الى
السودان الغربي ...

وكانت لهذه الثقافة منافذ أطلت منها على ربوع المنطقة ..

ونحن على ذكر بما كتبه المؤرخون عن طرق القوافل التجارية
التي كانت تصل السودان الغربي ومصر من جهة ، والتي تربط بينها
وبين شمالي أفريقية " تونس " من جهة أخرى ، ثم التي تربط بينهما
وبين الغرب الأقصى من جهة ثالثة . كانت هذه العلاقة تجارية
في بدايتها ، ويظهر الاسلام ودخوله في السودان الغربي أصبحت
علاقة دينية ثقافية في الدرجة الأولى .

وجاءت هذه العلاقة الدينية لتجعل هذه الشعوب أمة واحدة .
تلتصق نظم حياتها وقيمها الأخلاقية من مصدر واحد هو الاسلام بجوانبه
الشاملة للحياة .

وكان من الطبيعي ان أن يهرع أهل السودان الغربي الى

تعلم هذا الدين الذى وجدوا فيه صلاح أمسورهم ، وأن ينشطوا السى
تعلم لغته ليتمكنوا من أداء شعائره على أتم وجه .

وبتعلم اللغة العربية أصبح مسلمو السودان الغربي يمثلون
الطبقة المفكرة الراقية فى تلك المنطقة حتى أن خبراء الإدارة والتخطيط
فى الممالك الوثنية لم تجد بدا من الاستعانة بهم فى أمور الدولة .

وقد مر فيما سبق كيف احتل المسلمون مناصب الترجمة والإدارة
فى إمبراطورية " غانه " الوثنية قبل أن تصبح إمبراطورية مسلمة .

واستمر الحال على هذا الوضع حتى بعد إسلام الإمبراطورية
وسقوطها وقيام دولة " مالي " المسلمة على أنقاضها . . وقد مر بنا وصف
البكرى لهذه الإمبراطورية الإسلامية ومدى حرص أهلها حكومة وشعبا على
تعليم أولادهم الدين واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم . .

ونحن على ذكر بالزيارة التى قام بها " أسكيا محمد " إلى القاهرة
فى طريقه للحج ، فقد كان من نتائج النصائح والإرشادات التى أسداها
إليه رجال الدين البارزون فى القاهرة ، مثل جلال الدين السيوطي وغيره -
أثر كبير على تطوير التعليم فى المنطقة . . . فقد تطور التعليم فى جامع
" سنكورى " وأصبحت قبلة للطلبة فى السودان الغربي ، وكانت العلوم
التي تدرس فيها هي :

الفقه المالكي واللغة والنحو والبلاغة والصرف والمنطق والتاريخ
والجغرافيا والفلك والحساب ، وليس من قبيل المبالغة أو الشطط القول بأن
المراكز الإسلامية فى السودان الغربي أصبحت صورة مصغرة للثقافة
الإسلامية فى مصر والمغرب بفضل هذه الزيارة المشرفة التى قام بها

* أسكيا محمد * الى القاهرة (١).

وكان على رأس حركة * أسكيا محمد * الاسلامية النشطة العالم
الجليل * الامام المغيلي * الذى كان له دور بارز في نشر الاسلام وتدعيم
مفاهيمه والدعوة اليها وتوجيه الحكام للعمل بها في طبع المجتمع
بطابع اسلامي (٢).

أما مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي في السودان الغربي فتتمثل
في التالي :

أ - تمبكتو :

وهي مدينة اسلامية منذ نشأتها * وما دنستها عبادة الاوثان
ولا سجد على أديسها لغير الرحمن * (٣).

وكانت في بداية أمرها مركزا يقصدها الطوارق للانتجاع بمواشيهم
في فصل الجفاف . . . وقد حفروا فيها بئرا ثم توالى الابار فيما بعد
وأصبحت ملتقى للتجار يقيمون حولها للراحة . .

وبمرور الزمن أصبحت سوقا للتبادل التجارى بين تجار الشمال
والجنوب ، فبنيت فيها المساجد وقصدها كثير من العلماء وتحلق حولها
العديد من طلاب العلم فأصبحت * تمبكتو * مركزا ثقافيا الى جانب
كونها مركزا تجاريا هاما (٤) وكان لسان سكانها فيها لغة سنغاي . .

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٤٦ .

(٢) الدعوة الاسلامية في غربي افريقيا وقيام دولة الفلاني ص

(٣) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

(٤) ملكة سنغاي في عهد الاسفنين ص ١٠٠ .

أما العربية فكانت لغة الثقافة والإدارة معا ، كما تحدث بها الناس
كلغة شائع استعمالها. (١)

واشتهرت " تمبكتو " بحركتها الثقافية على النمط الإسلامي
في السودان الغربي كنه طيلة أيام " مالي " و " سنغاي " ..
وقد خلفت لنا كثيرا من العلماء النجباء النحارير ، وكان من أشهرهم
أحمد بابا التمبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج ..
والسعدى ، صاحب " تاريخ السودان " ، والقاضي " أفع محمود كمت " .
صاحب " تاريخ الفتاش " .

ب - جنس :

وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد " تمبكتو " وكان بها
كثير من العلماء وطلاب العلم ، ولذا كانت أهميتها تجبر " الأساكي " .
على احترامها ، فكلما مر جيشهم بها فانهم يلاقون قاضيها ويقدمون له
الهدايا أو يساعده على بناء مأوى لطلاب العلم أو بناء مسجد من
المساجد .. ونعرف من علمائها الشهيرين أيام " الأساكي " " موري
جانا " الذي كان يباشر التعليم بمساجدها في القرن التاسع الهجري
/ الخامس عشر الميلادي ، ثم القاضي " سانو " وكذلك " العباس
كبي " و " محمد بارها يورو " . (٢)

(١) ليون الأفريقي ص ١٠٩ .

(٢) ملكة سنغاي ص ١٠٨ .

ومن هذه المراكز أيضا " غاو " و " ولات " و " كانو " و " كاتسنا " ..

وتلك هي مراكز الاشعاع الثقافي الاسلامي الكبرى في السودان الغربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة الاسلامي ، والى جانبها مصادر أخرى للاشعاع منها :

المساجد ، والمدارس ، والعرائش الصنية في ربوع المنطقة ، والمدارس الأخرى التي تأخذ مكانها تحت الأشجار ، ودهاليز العلماء وغيرها كالأفنية التي تتخذ للكتابات والخلوات والزوايا ..

وهكذا أخذ التعليم العربي الاسلامي يخطو خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار الى أن وصل الى أوج قمته وازدهاره في ملكة " صغاي " أيام " الأساكي " .

ولعل أكبر دليل على ما وصلت اليه اللغة العربية من النضج والازدهار في تلك الوقت الأسئلة السبعة التي كان قد بحث بها الحاج " أسكيا محمد " الأول الى الامام المغيلي حوالي سنة ٩٢٣هـ / ١٥٠٢م ، فكل سؤال منها يحتوى على أكثر من سطرين . أما عباراتها فشديدة القوة والتماسك ، ولاشك أن كاتبها من نوع الكتاب البارعين (١) .

وقد أثنى الباحثون على أسلوب أحد كتاب هذه الفترة وهو (أحمد بابا التيبكتي " ووصفه بأنه أسلوب امتاز بالجزالة والموضوعية

(١) دولة صغاي في عهد الأسفين ص ١٥٦ .

العلمية والتمكن من المفردات ، وكتابة الجمل متناسقة وقصيرة ^(١) شأن
المتكمن من اللغة .

أما المتانة فنلسمها في أن الرجل أُلغظه على قدر معانيه ، أما
عباراته فهي شديدة الدلالة على ما يقصد . .

نعم ان القبائل التي دخلت الاسلام قد اتخذت اللغة العربية
لغة حياة كاملة ، ومن ثمّ فإنها تذوقت قسماً هاماً من الثقافة العربية
وانتجت فيه . .

أما نتائجها الفكرية فقد طغت عليه الصبغة الاسلامية ، وطبيعي
أن يكون الأمر كذلك ، فالذين كانوا ينتجون في هذا الميدان انما كانت
تمثلهم النخبة التي تمكنت من الدين الاسلامي بواسطة اللغة العربية .

واضطربت حركة الفكر بصبغة جديدة هي التي كان يمثلها الانسجام
الكلي مع الاسلام ، فنحن نجد في المدن الكبيرة التي كانت تتركز حولها
مراكز النشاط الانتاجي والتعامل التجاري مثل " تمبكتو " و " ولات " و
" كانو " و " كاتنجا " . . وغيرها علماء ومفكرين وقضاة ، قد تمكنوا
من دراسة اللغة العربية والفكر الاسلامي ، حتى أصبحوا ينتجون في
مراكزها مختلف مؤلفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية واللغوية
على النمط الذي كان عند العرب في المشرق والمغرب على السواء ^(٢) .

وهكذا ازدهرت اللغة العربية وتمكن منها السودانيون وأنتجوا
فيها طرائف رائعة الى أن بدأ الجيش المغربي الغازي في اقتلاع

(١) دولة سنغاي ص ١٥٦ مع تصرف .

(٢) دولة سنغاي ص ١٥٦ .

جذورها ، فبدأت تذبل شيئا فشيئا حتى وصف بعض المؤرخين
نتاج تلك الفترة الراكدة بأنه يتسم بالركاكة لبعده عن العناية والجزالة ،
ولكثرة الحشو واستعمال تعابير غير فصيحة . (١)

ومهما يكن من أمر فإن الكتابات التي وصلت إلينا من ذلك الوقت
هي كتابات قليلة ولكنها باللغة العربية ، ومن الاطلاع على مجموعها يستطيع
الدارس أن ينتهي الى القول بأن الكتابة العربية قد بلغت مستوى
مقبولا لدى كتاب تلك الفترة من السودانيين .

وبعد فترة الركود هذه ، انتعشت الثقافة العربية الاسلامية
مرة أخرى في دولة " الشيخ عثمان بن فودي " المصلح المجدد ، وذلك
في كتاباته وكتابات أخيه الوزير عبدالله بن فودي وابنه " محمد بلو " ،
وغيرهم من كتاب تلك الفترة . أضف الى ذلك أن الشيخ المجدد قد
وضع لدولته نظاما اداريا دقيقا خاضعا للنظم الاسلامية وجعل اللغة
العربية اللغة الرسمية والثقافية فيها ، وتشهد الرسائل التي تبودلت
بين الشيخ المجدد والشيخ " الكاشي " على ما وصلت اليه اللغة
العربية من ازدهار وتطور في تلك الفترة .

على أنه يجدر بنا الاشارة هنا الى الكتب التي أثرت في الثقافة
العربية الاسلامية لهذه المنطقة لنتمكن من الحكم على الشعراء الذين
سندرسهم في الفصول القادمة على ضوء الظروف والامكانات الابداعية
المتاحة لهم ..

(١) دولة سنغاي ص ١٥٢ .

ومن المستحسن أن نسرد هذه الكتب حسب فنونها وهي كالتالي :

الفقه وأصوله :

- ١ - المدونة الكبرى .
- ٢ - مختصر خليل .
- ٣ - المنتقى للهاجسي .
- ٤ - تحفة الأحكام لابن عاصم .
- ٥ - جامع معيار الوشريسي .
- ٦ - جمع الجوامع للسبكي .
- ٧ - التوضيح .
- ٨ - رسالة ابن أبي زيد القيرواني .
- ٩ - الأخرية .
- ١٠ - العشماوية .
- ١١ - العزيرة .
- ١٢ - منظومة القرطبي .
- ١٣ - ابن رشد .
- ١٤ - ابن عاشر .
- ١٥ - الورقات لامام الحرمين .
- ١٦ - أصول السبكي .
- ١٧ - القرافي .
- ١٨ - الكوكب الساطع .

الحديث وعلومه :

- ١ - كتب الصحاح الستة.
- ٢ - الموطأ للإمام مالك.
- ٣ - ألفية العراقي .

السيرة النبوية :

- ١ - ألفية العراقي في الشئال النبوية.
- ٢ - الشفا للقاضي عياض .
- ٣ - سيرة ابن هشام .

القراءات :

- ١ - منظومة ابن البرى .
- ٢ - القصيدة الشاطبية .

التوحيد :

- ١ - السنوسية وشرحها .

التتجيم :

- ١ - الهاشمية في التتجيم .

المنطق :

- ١ - رجز المغطلي .
- ٢ - مقدمة التاجورى .

النحو :

- ١ - الأجر وميسة .
- ٢ - ملحمة الاعراب للحريري .
- ٣ - قطر الندى لابن هشام .
- ٤ - شذور الذهب .
- ٥ - بلوغ الأرب .
- ٦ - خلاصة ابن مالك .
- ٧ - البهجة المرضية للسيوطي .
- ٨ - المنهج السالك للأشعري .
- ٩ - شرح قطر الندى للمارديني .
- ١٠ - الفريدة للسيوطي .
- ١١ - التحفة الوردية وشرحها .
- ١٢ - مختصر ابن الحاجب .
- ١٣ - تسهيل ابن مالك .
- ١٤ - فرعا ابن الحاجب .

اللغة والأدب :

- ١ - العشرينات .
- ٢ - الوتریات .
- ٣ - الشعراء الستة .
- ٤ - مقصورة ابن دريد .
- ٥ - المقامات للحريري .
- ٦ - الحكم العطائية .

العروض والقوافي :

- ١ - الرامزة .
- ٢ - الدرر اللوامع .
- ٣ - الخزرجية .

البلاغة :

- ١ - تلخيص المعاني .
- ٣ - ألفية المعاني .
- ٣ - الجوهر المكنون .
- ٤ - شرح النقاية للسيوطي .
- ٥ - تلخيص المفتاح .
- ٦ - مختصر السعدى .
- ٧ - صغرى السنوسى .
- ٨ - نظم ابن مقرة .
- ٩ - شرح الجزائرية . (١)

تلك هي الكتب المتداولة في هذه المنطقة... وجدير بالذكر
الإشارة إلى أن كتاب الشعراء الستة الجاهليين من أقدم النصوص التي
كانت متداولة في هذه المنطقة... وعليه ، وعلى الاستشهادات الشعرية
المبثوثة في كتب البلاغة والنحو والتاريخ وغيرها اعتمدوا في تكوين ملكاتهم
الفنية بعامة والشعرية بخاصة .

(١) - ايداع النسخ ص ٦٠٣ .

في هذه التربة الثقافية ، نشأ الشعر العربي في غربي أفريقيا ..

ولكن متى حدث ذلك ؟ ..

ليس من السهل على الباحث أن يهتدى الى تاريخ صحيح لنشأة

الشعر العربي في هذه البلاد أو أوليته ..

ذلك أن الشعر السابق للقرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

يحيط به شيء من الغموض والضبابية مما يصعب معه الاهتداء الى أشعار

تلك الحقبة .. علو أن هناك حقائق تاريخية تشير الى وجود شعر

عربي اللسان في المنطقة في تلك الفترة التاريخية .

فالمؤرخ الأفريقي السعدي يشير في كتابه الى نبوغ شعراء

سودانيين والأغراض التي تناولوها ^(١) ، غير أنه لا يسعفنا بذكر نماذج من

تلك الأشعار .

ولعل آثار تلك العهود وأشعارها قد انطوت عليها حجب الزمان

وأسدلت عليها أستار النسيان ، فلم يصل إلينا منها شيء ، ولم نهتد

فيها الا على خبر .

ونخلص من ذلك كله الى أن الشعر العربي بغربي أفريقيا قد

تهذبت حواشيه في زمن لا نعرفه ولا يمكن أن نهتدى اليه .

ومن هنا فإن الجزم بأولية الشعر أو تحديد الزمن الذي هذبت

فيه حواشيه وأطيلت قصائده يصبح ضربا من المستحيل .

(١) تاريخ السودان ص ٢١٨ .

فواأسفا منهم وحزني عليهم —

(١)
فيا رب فارحمهم بواسع رحمتي

ويبدو في هذا الشعرلين وضعف في النظم مما لا يخفى على
أحد درس أبسط القواعد العروضية ، فالبيت الثالث من المقطوعة منكسر
وكذا الشطر الثاني من البيت الخامس ، والبيتان من الطويل . .

وللطالب بن محمد بن الطالب بن نـفى المتوفى ١١٦٥ هـ
مقطوعة في زجر النفس ، يقول فيها :

مالي على اللهو واللذات واللعب
عكفت ويحيى فما يكون منقلبى
ولى الشباب وأقبل المشيب ولم
أفنى ولست بذى علم ولا أدب
قد ينقضي اليوم ثم اليوم يتبعه
شهر وعام بل أعوام ولم أتعب
مرغى العنان بروضة الهوى ولقد
سودت في نيلها وقرا من الكتب
أظل خلف الأمانى والهوى حكى

(٢)
وللمحال من الأيام في الطلب

(١) بسداية الحكم المغربي في السودان الغربي ص ٥٤٤ .

ومملكة سنغاي ص ١٥٨ .

(٢) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ص ١٢٩ دار الغرب

الاسلامي ، بيروت .

والأبيات من البسيط غير أنها تتسم برباعية النظم ، فالشطر
الثاني من البيت الأول مكسور والبيت الثاني كله كذلك ، وكذا الشطر
الأول من البيت الرابع .

وواضح أن هذه الأبيات تمثل المرحلة البدائية في النظم ،
وتلمح إلى غيره من الشعر المفقود . .

أما الشيخ " التاديسي " فله رثاء جميل في أحد العلماء
المدرسين في زمانه وهو محمد سميدع يقول فيه :

أطلاب علم الفقه تدرّون ما الذى
يشير هموم القلب من كل وافد
يشير هموم القلب فقر سميدع
فقيه حليم حامل للفرائد
محسن تعليم مقرب فهمه
وفتاق تهذيب بحسن القواعد
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى
رباطا صبارا أمره فى التزايد
فيا عجبا هل بعده من ميسر

(١) ويا عريا هل بعده من مجالد

والأبيات السابقة سليمة من حيث نظمها وجيدة من حيث معانيها . .

وقد ذكر صاحب كتاب فتح الشكور مساجلة شعرية بين الفقيه " أميئنا مينخن "

(١) تاريخ السودان ص ٤٩ .

ومين عبدالله بن محمد القاضي العلوي ، يمازحه الأخير في برذونة له
قائلا :

لسيدنا مينخن ، برذونة اذا
خطت أخطأت سير المراضى الأمالج
تباشر الأعراف منها ذوابة
على نافع ابن التونسي بن صالح
فأجابه مينخن :

لئن كان عبدالله قد عاب عرفها
وأخطأها سير المراضى الأمالج
فقد زانها تبليغها واصطلاؤها
اذا ارتكبت يوما أمام الملا لـج
عليها فتى لا ينثنى لكرهية
(١) وليس بذى سيف وليس برامح

وقد تمت هذه المساجلة في حدود سنة الأربعين بعد المائة
والألف من الهجرة ...

والنماذج السابقة لا تعدو أن تكون محاولات من فقهاء وعلماء
كبار لم يهرعوا في قصائد هم براعتهم في علومهم ، ان يغلب على

(١) فتح الشكوك ص ٦٣ .

أشعارهم شي* من الضعف والركسة ، وتخلوا من الخيال والتصوير ،
وتتجاوز في كثير من الأحيان أبسط قواعد العروض وعمود القصيد ..
على أنها تمثل المرحلة التي تسبق الأشعار التي سنتناولها
بالدراسة وهي المرحلة التي يؤرخ لها بما بين القرن الثالث
عشر الهجري إلى القرن الخامس عشر .

الفصل الثاني :

المجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا .

لعل ما يشير الدهشة للوهلة الأولى قراءة هذا العنوان :
" الشعر العربي في غربي أفريقيا " ، وتزداد الدهشة عندما يظهر أن هذا
الشعر قد جادت به قرائح أبناء هذه المنطقة وهم أبعد ما يكونون عن جزيرة
العرب ، فكيف تأتي لهم قرض الشعر بلسان عربي مبین . . ؟
ولكن لا تلبث الدهشة أن تزول شيئا فشيئا عندما يظهر أن هؤلاء
الشعراء الذين نطلق عليهم " شعراء العربية بغربي أفريقيا " كانوا من
المسلمين .

وغني عن البيان أن الاسلام هو الذي أسلمهم الى هذا الاتصال
الوطيد باللغة العربية . . كيف لا . . ؟ وقد كانت معجزته الخالدة
هي القرآن المجيد الذي شرف الله لغة العرب أن يكون بلسانها .

وبهذا اللسان تتأتى للمسلم اقامة شعائر دينه في كل مكان .
ومن هنا كان التعريب غالبا ما يواكب الاسلام في خطواته جنبا الى
جنب في كل شبر تطأ فيه أقدام المسلمين في أرجاء المعمورة .

وكان شعراء العربية في غربي أفريقيا ممن أقبلوا على العربية
رغبة في معرفة شرائع الاسلام وآدابه أولا ، ومن ثم بشها في بني جلدتهم .

ومن خلال تحقيق هذه الرغبة الملحة تآقت نفوسهم الى معرفة وجوه اعجاز القرآن البيانية وتذوق جمال أساليبه .. فآقتضت هذه الرغبة الأكيدة منهم الانكباب على العربية شعرها ونثرها وعلى دراسة علومها، نحوا وصرفا وبلاغة وفقه لغة كما سبق أن أشرنا .

وهكذا استطاعوا أن يتذوقوا من خلال النصوص الأديبة الرائعة التي أدمنوا الانكباب عليها الجمال الفني والبيان الساحر لهذه اللغة الثرية الخالدة ، فألفوا أنفسهم مدفوعين الى الاحتذاء على هذا البيان الخلاب ، فراحوا ينسجون على منواله ويطبعون على غراره ، فاتجهوا أول ما اتجهوا الى الأصول الفنية الأولى التي تمثل التقاليد العربية (الكلاسيكية) للشعر العربي متمثلا في التراث الجاهلي بمطولاته ومعلقاته ومذاهباته .

وقد تتلمذوا أول ما تتلمذوا على امرئ القيس والناطقة وزهير وطرفة والأعشى وعمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وعبيد ولبيد وأضرابهم ممن رسخوا التقاليد الفنية للشعر العربي القديم .. ثم تتلمذوا على المخضرمين والاسلاميين ممن ساروا على عمود الشعر العربي وأكدوا طرقه ومذاهبه ، ووسعوا مجالاته ومقاصده ، من أمثال كعب بن زهير والخنساء وحسان وأضرابهم ..

ثم استوعبوا الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أمثال أبي نواس وأبي تمام والمتنبي وطبقتهم .. بل انهم ليستوعبون الأصدا الفنية لشعراء الدول المتتابعة من أمثال التهامي والبيها زهير وأضرابهم .. ولا يجدون حرجا من ترديد بعض الأصدا الفنية في عصور الضعف .. شعورا منهم بأن عليهم أن يتمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه

وقواله حتى يؤكّدوا في فنهم الشعري عملية الانتماء تأكيداً لا يلحقه ريب ..

وهكذا نجد ملامح الشعر الجاهلي تتراعى قسماته واضحة خلال أشعارهم كما نلاحظها مثلاً في هذه القصيدة التي يمدح بها الشاعر "محمد بن بلو" بعض شيوخه فيقول :

يا دار سلمى بقو أوبخيف منى
أقوت كأن لم تكن صارت لها وطناً
خطت بها شعبها عن جمع أقتنها (١)
يبغون داراً بذى قار لها أقننا
خلت كأن بها خيط النعام ضحى
(٢) كوم تروت وآتت في الضحى عطناً
و حين لم ألف الفافي معاهدها
(٣) سليت نفسي بصعب ان جرى أرناً
فحل سبيل أنيق عو هن ثقف
(٤) كأنه قارب أمواجه السفننا
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغى أتننا

(١) الأقتنة : الحفرة في الأرض - ومن بيوت العرب : أقتنة من حجر والجمع " أقن " .

(٢) العطن : مأوى الابل ومراحها وقد غلب على مبركها حول الحوض . والكوم : الطعة من الابل .

(٣) أرن : نشط .

(٤) السبيل : البعير الضخم .

مسجج فارع ستأنس وحسد

(١) ما تعاورة الكلاب في ضجننا

فأفردوه فأضحى لا يوالقـــــــــــــــــه

(٢) عين ولا مسحل البهسي لذا مزنا

وواضح أن شاعرنا يستلهم النابغة في مطلع معلقته :

يا دار مية بالعليا فالسندى

(٣) أقوت وصال عليها سالف الأمد

ولكنه لم يقف في ذلك عند أبي أمامة فحسب ، بل انه يستلهم النهج الجاهلي صوما من حيث المعجم اللفظي والقالب الفني ، فهو يذكر الديار والأماكن التي ذكرها شعراء الجاهلية ووقفوا عليها مثل " قو " " وحيف منى " وذى قار وذى ضال وأقب ... وما الى ذلك .

أما محبوبته التي يقف على ديارها " فسلمى " التي طالما تغنى بحبها الشاعر العربي القديم ويظهر المعجم اللفظي للشعر الجاهلي في مثل " أقوت " أقتتها ، غيظ النعام ، عطنا ، معاهدها ، بصعب ، أرنا وفحل سبحل عوهن تقف ، أتنا ، مسجج ، فارع ، ضجنا مسحل البهسي ... الى آخر هذه الكلمات الغريبة الجزلة .

-
- (١) مسجج : معضض مكدم ، فارع : المستغل ، الضجن : جبل .
(٢) المسحل : الحمار الوحشي ، البهسي : نبت ، مزن : ذهب لوجهه .
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٢١ الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
طبعة الشركة التونسية للتوزيع .

مأخوذا حرفيا من أبي أمامة في قوله " فلم يك نولكم أن تقذعوني " لولا أن
الشاعر بدل كلمة " تشتمونا " بـ " تقذعوني " التي تحمل نفس المدلول .
ويضرب شاعرنا أيضا على أوتار النابغة في وصف المتجردة حيث
يقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا به
ان كان تفريق الأُحبة في غد
جاء الرحيل ولم تودع مهـدا
والصبح والامساء منها موعـدى
في اثر غانية رمتك بسهمـها
فأصاب قلبك غير أن لم تقصـدى
.. القصيدة (١)

فينسحب شاعرنا على أذياله متحسرا على فراق العلماء النحارير
الكرام الذين أرسوا قواعد الاسلام بربوع البلاد ، فهو يصفهم ويتألم
على فراقهم فيستعير في ذلك / مطلع قصيدة النابغة المذكورة شطره الأول
فيقول :

لا مرحبا بغد ولا أهلا به
ان كان بعد غد يكون بعدا
والبين موت للقلوب فيالـه
موتا وان بقيت به الاجساد ..

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ ص ٢٢٩ للأعلام الشنترى ،
طبعة دار الفكر .

ويمضرب عبدالله بن فودي الوزير على قيثارة أبي أمانة أيضا
سئلها بائيت في مدح عمرو بن الحارث الأصغر . فيقول شاكيا حال أهل
زمانه الذين انحرفوا عن الجادة ولم يستقيموا على الطريقة بل استبدلوا الذي
هو أدنى بالذي هو خير ، فعز على نفسه الابنية أن يرى بني جلدته في
هذه الارتكاسة الأخلاقية ولا يملك لهم سوى التحسر والهجران ، وهو موقف
جد حزين كان صداه هذه القصيدة ذات اللحن الداع :

فلما مضى صبحي وضاعت مآرسي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب
يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
وليس لهم علم ولا يسألونـه
وأعجب كلا رأيه في المذاهب
وقطع أرحاما وأزرى معارفا
وآثر عن قرياء جمع الاشائب
وما همهم أمر المساجد بسبل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائب
وهمتهم ملك البلاد وأهلها
لتحصيل لذات ونيل المراتب
بمعدات كفار وأسماء ملكهم
وتولية الجهال أعلى المناصب
وأكل هدايا الجاه والفقء والرشا
وعود ومزمار وضرب الدببادب

وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصحاح الاجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويسا
سنين بها شوقا وليس بآيب
صرفت عناني عنهم متوجهسا
الى خير خلق الله معطي الرغائب
وكم ليلة بتنا بها نابغيسا
ولا نار الا نارنا في السباب
وسمارنا جيراننا اقرباؤنا
بمعرض وحيات وجمع العقارب
أوانسنا أقواسنا وحبايننا
رماح وأسيف رفاق المضارب
.. القصيدة (١)

أما قصيدة أبي أمامة فهي التي يقول فيها :
كفيني لهم يا أمية ناصب
وليل أقاسيه بطي الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقص
وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب هم
تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) تزيين الأوراق ص ٤٦ مخطوط .

.. علي لعمر و نعمة بعد نعمة
لوالده ليست بذات عقارب
وللحارث الجلني سيد قومـه
ليلتمن بالجيش دار المحارب
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غدت
كتائب من غسان غير أشائب
بنوعـه دنيا وعروبـن عامـر
أولئك قوم بأسهم غير كـاذب
تراهن خلف القوم خـزرا عيونها
جلوس الشيوخ في ثياب المراتب
فهم يتساقون المنية بينهم
بأيديهم بيض رفاق المضارب
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من فزع الكتائب
رقاق النعال طيب حـجزاتهم
يحيون بالريحان يوم الساسب
.. المعلقة (١)

ولعل في وصفه ليلته بأنها نابغية اشارة الى ليلة النابغة الذبياني
وليس الى مجرد وصفها بالطول ومرارة التسهيد ، وخاصة أننا نلاحظ في قصيدة
عبدالله بن فودي تأثرا واضحا بالبائية النابغية ..

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٠ - ٤٨ .

وتظهر ملامح هذا التأثير في وصفه الأسياف برقعة المضرب وهو
وصف مأخوذ من شطربيت النابغة الذي يقول فيه : " بأيديهم بيض رقاق
المضارب " .

كما نلاحظ أخذه كلمات من المعجم اللفظي لأبي أمامة ، ويظهر ذلك
في الكلمات : " الأكاذب " ، " المذاهب " ، " الأشائب " ، " الكتائب " ، " المراتب " ،
" المحارب " ، " بأيب " ، " السباسب " ، " العقارب " ، " المضارب " ..
وهذا الصنيع إلى التأثير أقرب منه إلى توارد الخواطر . فشاعرنا قد تيم
بفن النابغة في هذه القصيدة فنظر إليها نظرة اجلال واكبار ، ومن ثم
نسج على منواله معجما وقالبا ، وإن كان قد استطاع أن يتسلل مسن
ال قالب الفني والمعجم اللفظي الجاهليين ، ليضمن قصيدته روحا اسلامية
تعمق بمعاناة رجل الدين الذي يرى المجتمع حوله قد ارتكس في حماة
المعاصي وشتى الانحرافات الأخلاقية التي يأبأها الدين ، فينصح لهم
فلا يجد منهم اصفاء لأنهم لا يحبون الناصحين . ويلقى نفسه كالذى
ينفخ في الرماد فلا يملك سوى الهجران فرارا بدينه ..

وما دام الحديث يدور في فلك أبي أمامة ومن استلهموه من شعراء
العربية في غربي أفريقيا ، فمن الحق علينا أن نذكر الشاعر الأندلسي الوزير
الجنيد إذ استلهم بهائية النابغة المذكورة سلفا ، فقال :

تطاول ليلى واستمرت وساوسى

وفاضت على صدرى بحسور المدامع

وبت أراعى النجم في غيب الدجا

أشير اليه تارة بالأصابع

.. القصيدة (١)

فان ليلته التي بات يراعي فيها النجوم ويتقلب فيها على الجمر
هي نفس ليلة النابغة التي بات هو الآخر يراعي فيها النجوم ويقاسى
مرارة التشهيد . .

وقد تأثر الوزير الجنيد أيضا في احدى قصائده بمعلقة امرئ
القيس المشهورة . فيضرب الجنيد على أوتار الملك الضليل قائلا :

ألا أبلغن عني " لا قدس " ^(١) تحية

تفوح بعرف المسك أوعرف صندل
ولغ لا هليها سلا ما مباركسا

يعم شذاه من تحيت ومن علل
وفيحاهها حيث الظباء ترود في

خمائل تأتي من جنوب وشمال
وأحسن بهاتيك الظلال فانها

سارح جاد الغيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة

منازه عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسمعات تزينت

" بتاجام " ^(٢) دوم والنخيل المكلل
ومنها جبال شامخات يزينها

طرائق من آثار حاف ومنعل

(١) مدينة .

(٢) موضع .

أعد ذكر يوم في "تقارك" (١) قضيت
تجول به بين الأراك المظلل
وليل بواديها تهب به الصبا
على شاطئ وسط الكشيب العقنقل
وركضك في وعت الكشيب بخيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وكم ذكرتني بيت شعر خيامها
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطربني منها غناء حمامها
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معسول
فسليت عنها ثم قلت تأسيها
فسلي ثيابي من ثيابك تتسل
سلام على تلك البقاع وأهلها
نسيم الصبا جاءت بر يا القرنفل
.. القصيدة (٢)

وواضح في هذه القصيدة اقتفاء شاعرنا خطى امرئ القيس في
معلقته المشهورة ..

(١) موضع •

(٢) ديوان الوزير الجنيدي ص ٢٨

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضع فالمقرة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
ترى بعرا الارام في عرصاتها
وقيعتها كأنها حب فلفل
وقوافيها صبي علي مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتجمل
وان شغائي عبرة مهراقصة
فهل عند رسم دارس من معول
اذا قامتا توضع المسك منهما
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
وان تك قد ساءت منى خليفة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتهي
بنا بطن جنب ذى قفاف عقنقل
.. المعلقة (١)

فشاعرنا يستعير تعبيرات امرى* القيس ، ويستعمل بعض أشطار
أبياته ومعجمه اللفظي مثل : من عل ، جنوب وشمال ، المكل ، الكشيب ،
العنقل ، ساحة ومنزل ، فكل هذه الكلمات من معجم مطولة امرى* القيس ..

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ١٩ - ٢٩ لابي بكر محمد بن القاسم
الانباري طبعة دار المعارف بمصر .

أما استعماله بعض أشطار أبيات الملك الضليل فوضوحه في القصيدة
يفني عن ذكره ..

ومن ضربوا على ألحان الملك الضليل الشاعر محمد بللو وهو
مستلي* بلغة الجاهليين بعامة .

ويظهر ذلك في قصيدته التي أنشأها في الرد على الشيخ محمد
الأمين الكاسبي في اتهامه لحركة والده الجهادية ضد الوثنيين
والمبتدعة في ختام رسالته :

الاعم صباحا واحضر الذهن انني

حريص على من يقبل القول بالفهم ..

فلا يكاد المرء ينتهي من قراءة المقطوعة حتى تذكره ألفاظها بلغسة
الجاهليين عموما وبمطولة امرئ القيس التي يقول فيها :

ألا عم صباحا أيها الطفل البالي

وهل يعمن من كان في العصر الخالي

.. القصيدة (١)

ويقول شاعرنا أيضا مخاطبا الكاسبي في جواب آخر :

ألا من مبلغ عني الأمين

رسالة ناصح يبدي اليقين

أتعلم أننا مرامين

به برآء فاوف العذر فينا

(١) شرح ديوان امرئ القيس ص ١٣٩ دار صادر ودار بيروت.

وأنا ما تغلبنا عليهم
علوا أفسادا قاصديننا
ولكن حين أخرجنا اعتدنا
وبغيا صاح قمنا دافعيننا
تبين أمرنا هذا أخانا
(١)
وفتشه ولا تعجل علينا..
وهو هنا مستلي* الخاطر بواحدة عمرو بن كثوم في بحرها وقافيتها
وبعض ألفاظها في مثل قول عمرو :
أبا هند فلا تعجل علينا
وأنظرنا نخبرك اليقيننا
إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن نقر الذل فينا
.. المعلقة (٢)
فشاعرنا يستعير تعبيرات عمرو في مثل قوله : " فلا تعجل علينا"
نخبرك اليقيننا ، ونأهيك في أن كذا القصيدتين من بحر الوافرو من قافية
النون المطلقة .

-
- (١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ١٨٨ .
(٢) مختار الشعر الجاهلي ص ٣٦٤ ج ٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي
وأولاده بمصر .

وقد تغنى شاعرنا هذا بألحان زهير بن أبي سلمى في رثاء سناء
ابن أبي حارثة وقيل حصن بن حذيفة الغزاري حيث يقول :

ان الرزية لا رزية مثلها

ما تبتغي غطفان يوم أضللت
.. القصيدة (١)

فيقول شاعرنا راثيا أستاذه وعمه عبدالله بن فودي مستعيرا
مطلع زهير أو شطر مطلعته :

ان الرزية لا رزية مثلها

رزء غدا الاسلام مثلما بهما

وهي قصيدة طويلة ضمنها شاعرنا روحا اسلامية جيدة ، ولنا معها
وقفة متأملة عندما نتناول المراثي في الفصول القادمة .. على أن شاعرنا
هذا شديد النشبت بأنغام الجاهليين ، فها هو ذا هذه المرة يضرب
قيثارته على أنغام عنتره في احدى حربياته مستعيرا مطلعته في يوم
عراعر (٢) حيث يقول :

ألا هل أتاها أن يوم عراعر

شقى سقما لو كانت النفس تشتفى
.. القصيدة (٣)

(١) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ١ ص ٢٤١ .

(٢) عراعر: ماء لكب أو موضع في ديارها .

(٣) ديوان عنتره ص ٢٢٨ تحقيق محمد سعيد مولوى طبعة المكتب
الاسلامي .

فيقول شاعرنا في انتصار جيش المسلمين في موقعة " فافرا " (١) :

ألا هل أتاها أن غزوة " فافرا "

شغى سقما في القلب من حين أخبرا

.. القصيدة (٢)

فهو يستعير تعبيرات عنبرة مع تصرف طفيف في بعض الألفاظ

المؤدية لنفس المعنى الذى قصده عنبرة أو ما يقاربه ، فعنبرة يقول :

شغى سقما في النفس ، ويقول شاعرنا شغى سقما في القلب ، وفي قصيدة

شاعرنا استعملات أخرى لمعجم عنبرة اللفظي كقوله : " فغادرن

سعودا " وقول شاعرنا : فغادر خيل الله للنصر هامهم .. ورغم

أن شاعرنا حاول أن يقلد عنبرة في حماسيته واستعمل بعض تعبيراته ،

فإن الأصاله الفنية لم تخالفه في ذلك ، حيث أنه قد استطاع أن يضمن

قالبه الجاهلي القديم محتوى اسلاميا أضفى على قصيدته رونقا وبهاء

وأكد لها طابعها الاسلامي المميز ، وسنقف طويلا عند هذه القصيدة

عندما نتناول شعر الجهاد في الفصول القادمة ..

ولنتجاوز محمد بللو لنميط اللثام عن عمه الوزير الشاعر عبدالله

ابن فودي لنكشف القناع عن مدى تمثل شعره للتقاليد الفنية للشعر

القديم ، وهو الذى كان خير مثال على من حذوا حذو الشعراء الجاهليين

(١) فافرا : موضع بشمال نيجيريا .

(٢) اتفاق المصور ص ١٤١ .

في المعجم والقالب . وها هو ذا يتفنن على أوتار حائية عنتره فيقول :

طربت فأشجاني الطيور الكوالج

وفرحني منها الفيث الروائج

وخوفني منها ذياب بـــــــــواح

وأمّني منها الظباء السوانج

لقول النبي لا تزال جماعـــــــــة

(١)

على الحق منا أو تجي المقارح ..

وشاعرنا في هذه القصيدة يستعير بعض تعبيراته من حائية عنتره

التي يقول فيها :

طربك وهاجتك الظباء السوانج

غداة غدت منها سنيح وبارح

فمالت بك الالهواء حتى كأنما

بزندين في جوفي من الوجد قاح

(٢) .. القصيدة

ف فكرة التشاؤم والتفاؤل من الطيور أو الظباء السائمة والبارحة

مأخوذة من الشعر الجاهلي بعامة وإن ظهر تأثره هنا بقصيدة عنتره.

(١) تزيين الورقات ص ١٨٠

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ج ٢ ص ١٥٨

ولم يتوقف أخذ شاعرنا من عنثرة عند فكرة التشاؤم والتفاؤل
فحسب ، وإنما تجاوزها الى البحر والقافية وبعض الألفاظ مثل
"الظباء السوانج" و"سنيح وبارح" "طربت" منها .. ومع ذلك
فقد نجح شاعرنا في الاتجاه بقصيدته وجهة اسلامية رائعة برغم أنه
استلهمها بفكرة أقرب ما تكون الى الجاهلية منها الى الاسلام .. ومن
بواعث الاستغراب أن تكون هذه القصيدة التي بدأت بفكرة غريبة عن
منطق الاسلام نداءً اسلامياً وجهه صاحبها الى قومه "الفلانيين" (١)
يدعوهم الى الانضمام الى سلك المجاهدين تحت قيادة أخيه المجدد الشيخ
عثمان بن فودي .

وقد فعلت القصيدة فعلها في القوم فأقبلوا اليه رجالاً وركباً
حتى قال أحد الباحثين ان هذه القصيدة قد ألهمت الفلانيين عن كل
شيء كما ألهمت بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة عمرو بن كلثوم .. وللحديث
بقية عن هذه القصيدة فيما سنتناول من الجهاديات في الفصول القادمة ..

على أن شاعرنا قد نسج تراكيبها من معجم عنثرة اللفظي وطبعها
على قالبه الفني وان كان مضمونها اسلامي المعاني والمقاصد ..

وقد استلهم شعراء غربي أفريقيا أيضاً تراث المخضرمين الشعري :
فهذه خنساء نيجيريا "أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي" تتأثر بتماضر بنت
عمرو بن الشريد في بكائياتها ، وخاصة مرثاتها لأخيها صخر التي تقول
فيها :

(١) قبيلة اشتهرت بالرعي في غربي أفريقيا ولها تاريخ مجيد في نشر
الاسلام بالمنطقة .

أعيني جوداً ولا تجمدا
(١) ألا تكيان لصخر الندى ..

فتدفع أسماء في رثاء بعض صديقاتها قائلة :

أعيني جوداً وابكيا لي حبيبتي
وسلوة أحزاني وأنسا لوحشتي
على أنها لم تتأثر بتماضر إلا في كلمة " أعيني جوداً " وكأنها
تريد أن توجه إلى السامع بأنها تنطلق في فنّها من أساس متين ، وأن
نسبها الفني في الرثاء تتصل حلقاته لتصل إلى ربة هذا الفن في
الشعر العربي ، وهذا نذيراً بأصالتها الفنية ..

ومن عاشوا في جوار الخنساء الحزين واستلهموا قوالبها الفنية
الشاعر السنغالي أحمد عيان سه في مرثاته لأبيه فيقول :

ما بال عينك تشكو شدة الكمد
كأن جفنك مكحول من الرمد
والقلب محترق والدمع منسبّل

(٢)
لما يقطع في الأحناء وفي كبدي

فهذه المعاني الحزينة مستوحاة من قول الخنساء في صخر:

ما بال عينك منها دمعها سرب
أراعها حزن أم عادها طرب

(١) ديوان الخنساء ص ٣٠ طبعة دار صادر ودار بيروت.

(٢) الأدب السنغالي العربي ج ١ ص ١٢٣ د / عامر صاحب طبعة

الشركة الوطنية للنشر والوزيع الجزائر.

أم ذكر صخر بعيد النوم هيجها

فالدمع منها عليه الدهر ينسكب

.. القصيدة (١)

ولعل فكرة اكتحال العين من الرمد من شدة الحزن مأخوذة من قول

حسان بن ثابت في رثاء خير البرية عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم :

ما بال عينك لا تنام كأنها

كحلت مآقيها بكحل الأرمـد

وكأنني بآبن زير السنغالي يضرب على أوتار تماضر ويستعير نغمتها

الحزينة حيث تبكي صخرا فتقول :

يا عين جودي بدمع منك مسكوب

كلو لو جاء في الأساط مثقوب

.. القصيدة (٢)

أوربما استهواه اللحن الحزين لحسان بن ثابت في إحدى بكائياته

على النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

يا عين جودي بدمع منك أسبال

ولاتملن من سـج واعـوال

.. القصيدة (٣)

(١) ديوان الخنساء ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٤ .

(٣) شعر الدعوة الإسلامية ص ٣٩٥ عبدالله بن حامد الحامد .

فيقول شاعرنا راثيا الشيخ محمد البكي :

يا عين جودي بدمع منك هتان

تبيكي على فقد جار خير جيران

واستلهم كثير منهم بردة كعب بن زهير وكانوا في ذلك ما بين

مضمن ومشطر ومخمس ومعارض ، وسنبين ذلك كله عند تناول المدائح

النبوية . . ونذكر هنا على سبيل المثال تضمن الشاعر السنفالي محمد

أنياس للبردة فيقول :

پریم رامة قلبي اليوم متبول

متیم اثرها لم یفد مکبول

ترنوبغاتن جفن لیس شبیهها

الا أغن غضیض الطرف مکبول

تریک قامة غصن البان مائسة

لا یشتکی قصر منها ولا طبول

لعل عفو رسول الله یدرکنی

والعفوعند رسول الله مأمبول

.. القصيدة (١)

فيقول كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

متیم اثرها لم یفد مکبول

(١) مخطوط في ايفان .

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن غضيض الطرف مكحول
أنبت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
.. القصيدة (١)

ثم تتلمذ شعراؤه نا على الاسلاميين فنجد محمد بللو يضرب على
أوتار علي بن أبي طالب في قصيدته في يوم بدر فيقول شاعرنا :
ألم تر أن الله أبلى عباده
بلاء عزيز والحروب تسعمر
بما أنزل الكفار دار بوارهم
فلاقوا هوانا والحوادث تخطر
وهوفي هذه يستلهم قصيدة علي بن أبي طالب التي يقول فيها :

ألم تر أن الله أبلى عباده
بلاء عزيز ذي اقتدار وذو فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة
فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل
.. القصيدة (٢)

-
- (١) شرح قصيدة كعب بن زهير لابن هشام ص ٢٣ تحقيق د/ محمود حسن أبو ناجي الوكالة العامة للتوزيع .
(٢) انفاق الميسور ص ١٣٢ .

وواضح جدا مدى تأثير شاعرنا بقصيدة علي بن أبي طالب وتظهر
ملامح هذا التأثير في قوله : " ألم تر أن الله أبلى عباده " بلاء عزيز ..
وقوله في البيت الثاني : " بما أنزل الكفار دار .. فلا قوا هوانا .. " يضاف
إلى ذلك تأثيره ببحر القصيدة إذ أن كلتا القصيدتين من بحر الطويل ، أما
قافيتهما فمختلفة ..
وعارض شاعرنا من المسلمين كعب بن مالك في مقطوعته ليوم
" أحد " حيث يقول :

أبلغ قریش وخیر القول أصدقـــه
والصدق عند ذوی الالباب مقبول
لقد قتلنا بقتلنا ســـرراتکم
أهل اللوا ففیم یکثر القـبـل
ویوم بدر لقینناکم لنا مـدد
فیه مع النصر میکال وجبر مـل
.. المقطوعة (١)

فيقول شاعرنا :
أبلغ بلادی وخیر القول أصدقـــه
أنا رجعنا بحمد الله بالسـول
إذ قد نصرنا علی الأعداء کلهم
وقد بلغنا به من کل مأمـول
إذ قد سمونا بحمد الله فی مـدد
من دعوة الشیخ یدعو خیر مسـئول
.. القصيدة (٢)

(١) شعر الدعوة الإسلامية ص ٢٨٦ .

(٢) افادة الطالبین ص ٦٠ .

وواضح استعارته تعبيرات كعب بن مالك في الشطر الأول من البيت الأول ، فهو قد أخذ الشطر ولم يزد فيه إلا أن غير كلمة " قريشا " " بيلادي " ، وكلتا القصيدتين تتحدان في المناسبة ، فشاعرنا في قصيدته يفتخر على أعداء الاسلام ويتباهى عليهم بانتصارات جيش الايمان على جيش الكفر : وكعب بن مالك " أيضا كان يرد على المشركين تهجهم بيوم أحد ويذكرهم بالويل الذي أصابهم والتكليل الذي نالهم من المسلمين يوم بدر . وهو ما لو تأملوا فيه لما سمحت لهم " أنفسهم أن يتجحوا ويفتخروا بيوم أحد . . ولنا حديث طويل مع جهادية صاحبنا هذه في الفصول التالية .

وقد استهوت نغمات صفية بنت عبد المطلب الحزينة وكأيتها في النبي صلى الله عليه وسلم فراح يندب بألحانها على شيخه المختار الكنتي حيث يقول :

عين جودي بدمعة وصبيــــــــب
واسكبي الدمع بعد فقد الحبيب
واندرفي أدمع الجفون انسكابا
واهملني واهطلني وسحي وصبي
عل بذلك الدموع يشفى غراما
مستكنا وفرط وجد مذهــــــــب
.. القصيدة (١)

(١) افادة الطالبين ص ٢٦ .

وهذه النغمة الحزبية تذكر بنغمة صفية التي قلنا ان الشاعر
يندب بألحانها وهي قولها :

عين جودى بدمعة وسهـود

واندبي خير هالك فقـود

.. القصيدة (١)

وليس أدل على نظرتة اليها حين كان يكتب شعره من استعارته
قولها : * عين جودى بدمعة .. * ..

ومن استلهموا الاسلاميين عبدالله بن فودى في حائثه التي
ألهمت الفلانيين عن كل شي* وشجعتهم على حمل السيف للجهاد في سبيل
الله ، ففيها يقول :

ألا أبلغن عني لحين رسالة

تعيها رجال أونساء صوالج

وهذا البيت يذكرني بقول كعب بن زهير في زجر بجير :

ألا أبلغن عني بجيرا رسالة

فهل لك فيما قلت ويحك هل لك (٢)

ثم يستوعبون الأنغام الجديدة التي تميز بها المحدثون من أشال
أبي نواس وأضرابه فنجد الشاعر السنخالي محمد أنياس يضرب على أوتاره

(١) شعر الدعوة الاسلامية ص ٤٠٤

(٢) شرح قصيدة كعب بن زهير ص ٣٤

في احدى خمرياتك التي يقول فيها :

دع عنك لومي فان اللوم اغـزأ

(١)
وداوني بالتـي كانت هي الداء...

فاستلهم شاعرنا هذه النغمة وانسحب على أذيال الحسن بن
هاني ، غير أن خمر شاعرنا خمر روحية احتس كأسها حتى الثمالة
فتمخضت عن حالة الانتشاء عند هذه الأبيات :

باتت تعاطيك من خمر الوصال بما

أشقى به كبد بالشوق حـرا

ثم انثنت فكأننا كان يرقبنا

صبح له في نواحي الأرض اسرا

فأوقدت لهبا في الأرض ليس له

الأبـوصل مد الخلق اطفأ

شمس الهدى من سقانا من طريقته

بفيضة ينجلي من شربها الداء

كم فيضة منه للأرواح جاذبة

الى الاله لها بشر وسـرا

يا لائي في هوى شـخي يحذرني

قصر عن اللوم فالتحذير اغـرا

(١) ديوان أبي نواس ص ٧ دار صادر دار بيروت .

وواضح أن القالب الفني والمعجم اللفظي للقصيدة نواسيسية
اذ يستعير شاعرنا ألفاظ أبي نواس مثل " اسراء ، الداء ، سراء ، اغراء .
والشطر الثاني من البيت الآخر مأخوذ من معنى قول أبي نواس :

* دع عنك لومي فان اللوم اغراء *

وتأثر عبدالله بن فودي بأبي الطيب في قوله :

بذا قضت الأيام من بين أهلها

(١) مصائب قوم عند قوم فوائد

فيقول شاعرنا :

وان قد أضعناه استفاد بغيرنا

مصائب قوم عند قوم مصالح

فهو قد أخذ الشطر الثاني من البيت لفظا ومعنى من قول

المتنبي السابق ، وكل ما فعله هو أنه غير كلمة القافية بما يتناسب مع قوافي
قصيدته ويؤدي ذات المعنى والغرض ... على أن ما اشتملت عليه قصيدة
شاعرنا من الحكم تدل على تأثره بالمتنبي في القصيدة أكثر من غيره كقوله :

وما ضر شمساً أن تغيب العمى ضوءها

وما ضر حوضاً أن أبتته القوامح

(١) ديوان المتنبي ج ١ ص ٢٧٦ شرح أبي البقاء العكبري ، مطبعة مصطفى
البابي الحلبي وأولاده بمصر .

وقد تأثر الشيخ عبدالله بن فودي بأبي الحسن التهامي من شعراء الدول المتتابعة ، فتغنّى بألحانه الحزينة في رثاء صديقه مصطفى حيث يقول :

آن ارعواؤك ان أرتك الدار
بفغالبها من أنها غدار
دار يموت بها حبيبك لا ترم
فرحاً بدار صفوها كـدار
ما ترتجي من هذه الدنيا التي
ما تأتلي تزكو بها الأخطار
فهو في هذه الأبيات يعيش في جو التهامي الحزين في بكائيه على فلذة
كبدته حيث يقول :

حكم العنمة في البرية جـار
ما هذه الدنيا بدار قـرار
.. والهون في ظل الهويني كامن
وجلالة الأخطار في الأخطار
طبعت على كدر وأنت تريدها
صفوا من الاقذار والأكـدار
.. القصيدة (١)

(١) أبو الحسن التهامي حياته وشعره ص ١٣٦ د / محمد الربيع
مكتبة المعارف - الرياض .

يتلاعب بمصطلحات العلوم ويؤرخ لشعره صنيع الشعراء في المشرق
والمغرب فيقول :

ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كـم أوفي يـج
وهذا البيت يذكرني بقول ابن الفارض :

نصبا أكسبني الشوق كـ
تكسب الأفعال نصبا لام كـي^(١)

أقول التلعفري :

واذا الشنية أشرقت وشممت من
أرجائها أرجا كنشر عبيـر
سل هضبتها المنسوب أين حديثها
المرفوع من ذيل الصبا المجرور^(٢)

ويقول شاعرنا مؤرخا لقصيدته :

قد يسر التخميس لي في مدحه
قد تم نظم قصيدتي في مدحه
أبياتها جصل كسن محمد

(١) الأدب في العصر المملوكي ج ٢ ص ١٠٩ / د . محمد زغلول سلام

ط دار المعارف .

(٢) المصدر السابق .

ومن نحو هذا المنحى من الشعراء السنغاليين ذو النون حيث
يقول :

أفنانى الشوق حتى لم يدع خبـرا
لمبتدا لا ولا حالا ولا بدلا
وكان منفصلا ما كان متصلا
فهاج لي علا قد قربت أجلا
قد عنعن الشوق عن نفسي وعن نفسي
هذا حديث صحيح ثابت نقلا
فهو في هذه الأبيات يتلاعب بمصطلحات النحوم نحو المبتدا
والخير والحال والبدل والمتصل والمنفصل ومصطلحات المحدثين من
عننة ونقل متواتر وصحة في الرواية ..
وقد نسج شعراء غربي أفريقيل على منوال البوصيري في البردة
والهمزية وذلك في مدائحهم النبوية فيها هو ذا الحاج مأجور سيـسة
ينسج على منواله شكلا ومضمونا فيقول :
بديع مطلعكم يا جيرة العلم
سنا براسته نار على علم
ان جئت سلعا فسل عن ريم رامة هل
بالبان مذ بان عني أوبذى سلم
أحبة أرخوا يوم الوداع على
خدى خطا بلارق ولا قلم
صدوا فلم سبق لي جلد ولا جلد
والغصن يذوى لفقد البار والشيم

قد هددوني الجوى ركنا وثقت به
مذ هددوني بسيف من بعادهم
وجردون النوى ذيل الفراق ولم
أبال ان جردوني من بعادهم
.. القصيدة
وكانوا في محاكاة البردة ما بين مشطرومخس ومن بين
من شطروها الشيخ محمد محي الدين كشمه فقال :

أمن تذكر جيران بذي سلم
قد بت ترعى نجوم الأفق لم تتم
أم من ظلمين نأت والخوض تحملها
مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
فهاج شوقك هوج الريح للعلم
أم جاورت أضاً سلقى وجيرتها
وأومض البرق في الظلما من اضم
.. القصيدة

ويضرب الحاج محمد أنياس على أوتار البوصيرى في الهمزية فيقول :

أنت للكون بهجة وبهـ
وتجلت بنورك الانهـ
أنت لولاك لم يكن كل كـون
ولما زال عن ذويه الشقـ
.. القصيدة

وهناك شعراء آخرون استلهموا البوصيري في مدائحهم
النبوية نذكر منهم على سبيل المثال ، الحاج مالك سه الذي يكاد
يتخصص شعره في هذا المجال فيقول :

أبدا بروق تحت جنح ظلام
أم وجه مئة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وأمانتي
وربيع قلبي وهي خير شمام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارح منحري بسمام
مه عاذلي لوحزت علما لم تلم
هل عدل مثلي لم يكن بحرام
.. القصيدة

وله في ذلك أيضا :

ألا يا دعد ويحك نبئيني
بذكر البان تهمت العيون
أفي بيت حبالك أم ببين
بعشاق برامة خبريني
ففي نيك الأُحبة كي نداوى
ضنى فينا باجرا الشئون
دعي عنك التفنج ذات دل
به يزداد قلبي من فتونني
ألا حبل المودة جديها
ففي التجديد نحس كل حين

وظنوا بي الظنون وحال بيني
وبينهم جنان غير خال
فيأتمرون بي أليقتلونني
لامر ماوعندى بنت خال
فقلت لها أفاط اليك عنني
فاني في الامور بريد خال
.. القصيدة

ونلاحظ أن الشاعر قد استطاع أن يستر تكلفه لهذه القافية
التي التزمها ، بجودة تراكمية التي تتسم بالعفوية والتلقائية والانسياب
القصصي ..

واستلهم الشيخ الهادي توري أحمد بن ونان الشاعر المغربي
المشهور بأبي الشمقمق في مدحته للسلطان محمد العلوي والتي يقول فيها :

مهلا على رسلك هادي الأبنق
ولا تكلفها بما لم تطبق
فطالما كلفتها وسقتها
سوق فتى من حالها لم يشفق
.. والله لو حلت ديار قومها
واحتجبت عني بباب مغلق
لزرتها والليل جون حالك
وجفنها لم يكتحل بأرق (١)

(١) النبوغ المغربي في الأدب العربي ج ٣ ص ١٧٨ عبدالله كنون
دار الكتب للملايين .

فضرب شاعرنا على أوتاره قائلا :

لمعان برق الليل نحو المشرق
أبدى هوى قلبي بنور مشرق
وأنا رلي خفقان قلب دائم الـ
أفكار في بحر الخيال مفروق
آه على أطلال دار أحبة
لي البرق خيلها كروء يا المخفق
.. لونا نال ذو سقم بغيرها قلعة
كان الشفاء له بدون ترنـسق
فلرب ليل شل ابهام القطـسا
بتناه فوق سريرها في عيهـسق ..

وقصيدة شاعرنا طويلة جدا سنوردها كاملة عندما نترجم له في
الفصول القادمة .. على أنه قد سار فيها على نوال أبي الشمق المغربي
في قصيدته السلطانية من حيث بدأ بالتشبيب فذكر مخامرات الخرامية
ثم اختتم بالزهد والتوبة ..

وبعد . فقد رأينا كيف أن شعراء العربية في غربي أفريقيا
قد صدروا في شعرهم عن أصالة تمتد جذورها إلى العصر الجاهلي حيث
انهم قد استلهموا الشعر الجاهلي في معجمه اللفظي وقالبه الفني ..
فاستلهموه أمراً القيس والنايفة الذبياني وعمر بن كثوم وزهير بن أبي
سلمى وعنترة العبدسي وصرفة بن العبد وغيرهم .. ولم يغفلوا عن شعراء
الخرصة ، فقد تأثروا بحسان بن ثابت ، وترنموا بأنغام الخنساء الحزينة ،
كما ضربوا على أوتار كعب بن زهير ..

ولم يفتحهم التفني بألحان الاسلاميين ، فراحوا ينسجون على منوال كعب بن مالك وعلي بن أبي طالب وصفية بنت عبد المطلب وغيرهم ..

كما استوعبوا الألحان الجديدة التي تميز بها المحدثون ، فغدوا يضربون على قيثارة أبي نواس والمتنبي .. كما ردوا أصداء من شعراء الدول المتتابعة والعصور المتأخرة ، فظهرت في أشعارهم ملامح من شعراء أبي الحسن التهامي .. ونسجوا على منوال بديعيات ابن الفارض ، وضربوا على أوتار البوصيري ، كما أرخوا لأشعارهم وشغفوا بالمحسنات اللفظية وتلاعبوا بمصطلحات العلوم الى غير ذلك من أمور وتقاليد فنية سنتبينها أكثر في الفصول التالية .. على أنهم لم يمثلوا تلك الأصداء الفنية لضعف أولمجرد حب التقليد فحسب ، وإنما كان ذلك شعورا منهم بأن عليهم أن يمثلوا الشعر العربي كله بكل ألحانه وأنغامه وقوالبه حتى يولدوا في فنهم الشعري عطية الانتماء العربي الاسلامي تأكيداً قويا لا يلحقه مرا ، وقد حصل ذلك في الشعر العربي في الأندلس والشعر العربي في المغرب حيث كان شعراء هذه البلاد يعتمدون متابعة شعراء الشرق ليولدوا انتماءاتهم العربية وذلك لبعدهم مواطنهم عن جزيرة العرب . موطن الشعر ومعدن أصوله ..

وتجدر الملاحظة أنه بناء على ما وقع تحت أيدينا من أشعار نستطيع أن نقرر أن تأثير القوم بالجاهليين أقوى وأوضح من تأثيرهم بغيرهم ، ولعل السبب في ذلك يرجع الى تشابه البيئتين وطبيعة الحياة فيهما .. كما نلاحظ عدم تأثيرهم بشعراء العصر الأموي وشعراء النهضة في العصر الحديث .

الفصل الثالث : فنون شعر العربي في غرب أفريقيا .

يمكن القول ان فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا تدخل تحت مفهوم جنسين من أجناس الشعر ، وهما الشعر الغنائي والشعر التعليمي .
أما الجنس الأول وهو الشعر الغنائي فقد أكثر القوم فيه اكثارا شديدا ، فمن مديح الى رثاء الى فخر الى وصف الى غزل الى حساسة الى شكوى الى حنين الى مدائح نبوية ..

طرق شعراء العربية في غربي أفريقيا فن المديح ضمن أغراضهم الشعرية ، وكان عندهم على مذهب زهير بن أبي سلمى الذى قال فيه
عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " كان لا يحاظر بين الكلام .. ولا يمدح الرجل الا بما فيه " (١) .. أى أنهم مدحوا لأن مدوحهم يستحقون المدح ولم يمدحوا ليملاؤا جرابهم بالذهب والفضة - صنع شعراء المديح التكسبي - وانما كان ذلك صدى لوجدان الانسان في أعماقهم ..
ومجمل القول أن المديح عندهم حب للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة ..

وكان أغلب المدوحين من العلماء وقادة الفكر ورجال الدعوة الذين كانت لهم أياد بيضاء على الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٢٥ لمحمد بن سلام الجمحي : تحقيق محمود محمد شاكر ط / دار المعارف .

والسياسية في المجتمعات الاسلامية يربوع المنطقة . . أضاف الى ذلك أن الشعراء المادحين أنفسهم كانوا من نفس طبقات المدوحين ، ومن هنا قل المديح التكسبي في شعرهم ، إذ أن الشعراء المحليين الذين يشعرون باللهجات القومية قد كفوهم مؤنة التكسب بالمدح . .

هذا ولم تختلف القيم والمثل العليا التي مدح بها شعراء العربية بهذه البلاد عن المثل والقيم التي مدح بها شعراء العربية في المشرق والمغرب ، كالعدل والوفاء والشجاعة والجود والكرم والابسا وحماية الجار وما الى ذلك من القيم التي كان يتغنى بها الشعراء في مدوحهم . .

أما منهج القصيدة فقد ساروا على نهج القصيدة العربية من حيث البدء بالنسيب والوقوف على الأطلال ووصف الرحلة أو ما شاكل ذلك من الأمور التي أكد عليها النقاد القدامى كابن قتيبة الدينوري وابن رشيق القيرواني في كتابيهما . . (١)

وها هو ذا الشيخ أحمد عيان سه يمدح الحاج سعيد النور
تال سبط المجاهد المشهور الشيخ عمر الفوتى فيقول :

أمن تذكر من في البان والبان
أم من تذكر غزلان بغزلان
تأتي الى طلل تبكى لساكنه
وهي عنى تحايا الخير أوطاني

-
- (١) الشعر والشعراء ص ٢٢ ابن قتيبة الدينوري طبعة دار الكتب العلمية .
(٢) العمدة ج ١ ص ٢٢٥ ابن رشيق القيرواني ط / دار الرشد الحديثة الدار البيضاء .

أرقت ليلتي وليلتي لا يـزال اذا
غنى الحمام على غصن فأشجاني
دع عنك سلمى وسلمى لا تجودلنا
بالوصل الا بطيف عند سنان
(١)
ماهيبي في "سانلوى" المحروس ربح صبا
الا على الخد أبكاني فأبكاني
يلوح قوس ومثل لا ينوح على
تلك التماوير الا بعد أزمان
قلبي أسير بريح الراحلين فلم
يجد سوى الجأث أو آثار حد ثان
يا حسرتي من خطوب لا تزال على
دهرى وتسهرني بالدمع عينان
لا والذي قد أنار الكون طلعتـه
فرد الجلالة سيف الله الهانسي
وبعد هذه المقدمة يبدأ الشاعر في مدح مدوحه بالعلم والتنوير
والارشاد والجهاد في سبيل الله وكثرة التأليف وأنه النبراس الذي أنار
الله به "السنغال" ، ثم يصفه بأنه سيد صنديد يلون به الخائف
والمحتاج فهو بذل جواد كريم وهو علامة الدهر في علمه ، فيقول :
أعنى الامام سعيد النور من كشفت
به الجهالة من أهلي وأوطاني

مجيد مغزلة وساق خدلصة

وترائب كالدرد والمرجـان

وبعد هذا التشبيب الذي وصف فيه الشاعر محبوبته بصفات حسية استهلكت من قبل الشعراء القدامى ، يبدأ في غرضه الأساسي وهو المدح فيمدح المدوح بالشجاعة وشدة البأس في الهجاء وحلاوة الشمائل ولين الجانب للصديق ومرارة المذاق للمعدو ، فالجود وكثرة الكرم والاحسان والعدل وأنه امتك البلاد بعد سيفه البتار وخصاله الحميدة . .

وتلك صفات في المدح مطروقة ، إذ كانت من قبل القيم الاجتماعية التي كان الشعراء القدامى يحرصون على خلعيها على مدوحهم لأنها تشير أريحياتهم ، وجاء الاسلام فأقرها وحض الناس على التحلي بها على ضوء تعليماته . . ولنستمع الآن الى ألحان الشاعر :

دع ذا وعد القول في رغم العدى

حامي الزمار مجدل الشجعان

حلوا الشمائل لين لخليه

مر مذاقته لذى الأضغان

بطل أخي ثقة يجود بنفسه

يوم الهياج وملتقى الأقران

ما في القبائل كلها في الجود وال

هيجاء مثل محمد الجيلاني

ملك القبائل والأمر بسيفه

وسخائه والعدل والاحسان

وإذا نزلت به غريباً عافيه

(١)

أصبحت رب حرافد وحصان

وهناك شاعر نيجيري آخر هو الوزير الجنيد ، قد سار على نهج
القصيدة العربية في مدحه للأمر حسن بن المعاذ ناظر إلى بائسة
النايفة الذبياني في عمرو بن الأصغر ، فبدأ الشاعر بشكوى طول الليل
ومرارة التسهيد وقد سبق أن أشرنا إلى هذه المقدمة واستلهاه النايفة
الذبياني فيها (١) .

وبعد هذه المقدمة التقليدية أحسن التخلص إلى غرضه حيث
يقول :

على أن بدا وجه الصباح كأنه
محيا أمير ذي الأيادي الهوامع
أمير له في كل فعل محامد
وأخلاقه فاق عسولا لراضع
سخي يحاكيه السحاب وخيمره
عميم لجمع الناس دان وشاسع
حيي حلهم ليس فيه نخوة
عطوف أمين القلب ليس بخادع
فهو في هذه الأبيات يصف المدوح بالجود والكرم ودماثة الأخلاق
وان السحاب تحاكيه في العطاء والغزارة ، وهو في هذا الجود وذاك الكرم
لا يميز بين العافين . . وهذه المعاني كلها قديمة قدم الشعر العربي
أما الشمولية التي يتصف بها سخاء المدوح فصفة قديمة سبق الشاعر إليها
النايفة في قوله :

(١) مراجع في ذلك الفصل الثاني ، ص :

فتك تـلفني الثـعـمان ان له

(١)

فضلا على الناس في الاًدنى وفي البعد

كما وصف سدوحه بالحيا* والحلم والعطف وحفظ الأسرار مع
عدم الخيانة وتلك قيم عليا حرص عليها الاسلام كل الحرص لأنها من
صميم مقاصده السامية فالحيا* شعبة من شعب الايمان والحلم سيد الأخلاق
والعطف ديدن المسلمين في التعامل فيما بينهم والوفاء والأمانة من
الصفات الثلاث التي تميز المسلم من المنافق . . وشاعرنا قد خلع كل
هذه الصفات الاسلامية على سدوحه مضيها اليها العدل والحزم اللذين
بهما استطاع الممدوح* أن يشيع الاًمن والأطمأنينة في البلاد حتى ان
الشيء قد أمنت على نفسها من فتك الذئاب ، ولنستمع الى قيثارتـه
في ذلك . .

أيا حسن السامى الحسين فعاله

(٢)

ويا سيدى السجـير يا خير طائـع

لقد فرحت هذى البلاد جميعها

بأخذكها يا خير راع ودافع

وزادت حلاها واطمئنت كأنـها

عروس الى كفوء تزف وشافع

وأمنتها من كل ظلم يشينـها

بمدلك حتى فرزئب البلاقع

(١) ديوان النابغة الذبياني ص ١٢ .

(٢) السجـير : الصديق وجمعه سـجـراء .

وفي الختام يدعو للمدح بدعوات صالحات / ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على خير البرية محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . .
ورغم كون معاني شاعرنا مطروقة إلا أنها جاءت موافقة لما يستحسنه المدح ويرتاح له . .

وها هو ذا ذوالنون السنغالي يمدح الشيخ الخديم أحمد بمبه ، فيبدأ قصيدته بالوقوف على الأطلال ويرسم لنا لوحة فنية للأطلال ليؤكد قدرته على مجازاة الشعراء القدامى في المدح ثم يعرض عنها بعد أن أجاد وصفها وصفا استوفى فيه كثيرا من عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف وأمطار غزيرة ، وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي والغزلان وأسراب النعام إلى غير ذلك . . ولنستمع إليه :

مغنى سعاد عفته هوج العشير (١)

وسقته واكفة الغمام المطر
والعين ترقل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أصور
وترى مهاها البيض ترعى روضة

مطلولة نمصت بيطن محسـر (٢)
أطفالها يمر حسن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب المرعر

(١) العشير : العجاج الساطع ، وهوج العشير أى الرياح المتربة .

(٢) نمصت : أى رعتها الماشية فجردتها ثم نبئت .

أوعالها تستن في أوعارها

(١) ترعى خزامها وعضن الأزهـر

وترى قلائص في تيار آلها

(٢) فكأنهن سفائن في أبهر

غزلانها تقومدى ظلماتها

ان راعها صبحا زئير غضنفر

فالشوق لوزار الخلي أتلـه

نالتـه منه كسرة لم تجبـر

وبعد هذه المقدمة التقليدية يبدأ في مدح الشيخ فيقول :

أعرض فوادي المهيف عن طلل عفا

(٣) لم يبق فيه سوى المها والجوذر

ونذر الربوع ومن بها قد حل من

غيد عليها كل ثوب أخضر

مهما شدا شاد أطن قدودها

(٤) كخصون بان غب ربح صرصر

.. فالحمد من يستهل غيومه

من يومنا هذا ليوم المحشر

(١) أوعال جمع وعل وهو تيمس الجبل تستن : أى تجىء دفعة دفعة،

أوعار : جمع وعر .

(٢) تيار جمع تيار وآلها أى سرايها .

(٣) المهيف : اللين المنكسر ، الجوذر : ولد البقر الوحشي .

(٤) غب ربح صرصر : أى عقب ربح صرصر .

أهل الهوى شرق البلاد وغربها
اني أناديكم بصوت جهــــــــــــــــورى
كونوا معي في مدح هذا المرتضى
شمس الفضائل ذى المقام الاكبر
وله مآثر كالجواهر حسنها
تنسى مآثر تبع أوحـــر
ان شئت ذكره وأنث غيـــــــــــــــــــــــــــــــــره
شتان بين مؤنث ومذكر
تلقى الورى ان جئت سا حسة داره
والقوم بين مهلل ومكـــــــــــــــــــــــــــــــــر
فالمادحون على جلاله قدرهم
لم يدركوا مضار هذا الاشـــــــــــــــــــــــــهر
طولت في مدحى وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقـــــــــــــــــــــــــــــــــر
... فيبينه قد عمت في الجود حد
تى لم يميز يعبرا من جعفر
أنا تيم عند هذا الشيخ لم
يقهر وسائل جوده لم ينفـــــــــــــــــــــــــر
محنى غدت منها اذا عاينته
أحبيب به من عارف متبحـــــــــــــــــــــــــر
ما مثله كسرى علا ومهابــــــــــــــــة
بل دون ماواه جلاله قيـــــــــــــــــــــــــر (١)

(١) كسرى : عظيم الفرس ، وقيصر : عظيم الروم .

فبنات نعش دون شمع نعاله

بل دون رتبته السهى والمشتري

بل لم ينج حبر بأدنى فضله

ان راح يزهر رقه من محبـ

في الأبيات السابقة يمدح الشاعر هذا الزعيم الروحي في السنغال

بالكرم والفضل والتقوى وكثرة الذكر والتبحر في العلم وعلو الكعب والمهابة
اللذين دونهما علو ومهابة كسرى وجلال دونه جلالة قيصر ، وهو يمنح
معرفته عطاءً ، ولا ينهر سائله واليتيم عنده غير مقهور . . وهذه
الصفات التي خلصها الشاعر على المدح بعضها مطروقة مكررة كالجود
وعلو الشأن والمهابة والجلال ، وبعضها الآخر مستقاة مما تشبع به من
مبادئ الاسلام السامية وقيمه النبيلة من أمثال التقوى وكثرة الأذكار
والتبحر في العلم وعدم نهز السائل وقهر اليتيم ، فأبياته في هذه المعاني
تعقب بعبير الدين متأثراً بالآيتين الكريمتين من آيات " الضحى " كقوله
تعالى :

* فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * (١)

وفي ختام القصيدة يزهب بنفسه على طريقة المتنبي ثم يعود الى
المدح فيمدح مدوحه بخزارة العلم ومعرفة أوابد اللغة العربية وشواردها
وأنه يزاحم من مضوا من كبار العلماء والمفكرين المسلمين في علومهم . .
فيقول :

يا ناسجا ثوب المديح وناظما

فقر الشنا فانظم لقولي وانشر

(١) سورة الضحى الآية ٩ + ١٠ .

وأنخ قلوبك في فنائي واستفسد
 مني وراقب سر قلبي ألا زهـر
 .. فتريك أقلامي بقاعا روضها
 يفتر بين مدرهم ومدنـر
 نظما ونشرا يعجبان لمن غـدا
 يتلوها في مورد أو مدر
 ما حاك مثل ثياب مدحي حائك
 في رقة المعنى وحسن المنظـر
 بل ما حكى حاك بديعا مثله
 بل لم يمنعني في مر الأعرـر
 .. وهكذا يستمر في الزهو والخيلاء حتى يرضي نفسه ويشبعها
 زهوا ثم يعرج بعد ذلك على المدوح مرة أخرى فيقول :
 فلسان حال الشيخ أعلن أنه
 (١) يهسى لها لعائل ولموسـر
 فالدهر يعلم أنه هو فـرده
 وعلى حقائقه النهى لم تعثر
 وفيوضه وهيبته ولغاتـه
 (٢) ما جابها القاموس ثم الجـوهري
 وبسكب ضخم يزاحم من مضوا
 وهم وفود جمعهم لم يكسـر

(١) العائل : الفقير.

(٢) يشير هنا الى القاموس المحيط للفيروزبادي والصاحح للجوهري .

.. ويستمر الشاعر على هذه الوتيرة من المدح وذكر المآثر حتى

يختم القصيدة بالصلاة والسلام على رسول الله ..

ولنعرج الآن على واحدة شقيق ذى النون وهو الشيخ ابن العربي

له في مدحه الشيخ سعد أبيه حيث سار فيه على الطريقة التقليدية فـ

المدح من حيث البدء بالتشبيب فيقول :

بعد المزار دعى الى التذكـار

(١)
وأفاض غربي دمعي المسـدرار

صبا أهاب به الشجون فاغتدى

شبحاً أرق من الخيال السار

ان الأُحبة صغروني في الهوى

كرة تقلبها يد الأخطار

والربع من بعد التناهي يزدهي

(٢)
بالياسمين الغض والعـرار

قد كان قبل البين مغنى آهـلا

بالثياب البيض والأبـكار

.. مغنى عهدت بها حسانا كالدـمى

نجل العيون حوالك الأـشعار

كم عابد ألـهاء عـن أوراـه

صوت القيان وغنة الأوكـار

(١) الغرب : الراوية التي يحمل عليها الماء .

(٢) العرعار أو العرعر : شجر السرو .

.. ولقد رأيت الشوق يكمن في حشا
صب كمن النار في الأُحجار
.. جن الفؤاد الى سعاد وبيننا
أفلاء ذات معالم وقفار
حلف السهاد كأن في أجفانه
خرط القتاد وهزة المنشار
ان رمت أن أجنى مجاني خدها
قالت لواظها حذار حذار
وبعد هذه المقدمة الغزلية الرائعة يبدأ الشاعر في عرضه
الأساسي فيمدح الشيخ سعد أبيه بأنه غوث الوري سعد السعود
ملتقى الأنوار جامع العرفان سدره منتهى الأُخيار ذكار لله بالتلاوة
والأُوراد والأُذكار، وهي صفات يهيم بها المتصوفة فهي منتقاة من
معجمهم اللفظي .. ثم يصفه بالجود والكرم والأُخلاق الحميدة فيقول :
ان لم أنل منها الوصال لعلنة
دقت مداركها عن الأُبصار
أعرضت عنها ثم عن جاراتها
من كل ذات خلاخل وسوار
متوسلا بامامنا غوث الوري
سعد السعود وملتقى الأنوار
الشيخ سعد أبيه جمع جوامع ال
عرفان سدره منتهى الأُخيار

(١) خرط القتاد : قشر شجره شوك كالاخر وفي المثل : دونه
خرط القتاد .

حضراته محفوفة بتلاوة الـ
القرآن والأوراد والأذكار
سهل خلائقه وتحت ثيابه
جود يحس سوايك الأقطار

وعلى هذا المنوال جرى شاعرنا في مطولته الرائعة .

ويلاحظ أن الشاعر قد اتكأ في بعض الصفات التي خلعبها
على المدوح على الشعر القديم كوصفه له بالـجود والكرم ودماثة الأخلاق . .
ثم أضاف إليه صفات أخرى تفوح بنكهة التصوف السلوكي ، كتعميره
مجلسه بتلاوة القرآن وأوراد الصوفية ووصفه له بأنه غوث الورى وسدرة
منتهى الأخيار وملتقى الأنوار وصاحب الحقيقة والشرعية وشيخ الشيوخ
الى غير ذلك من صفات تشر أريحية الزاهد وتهز لها نفسه . .

وبعد ، فإن المديح عند شعراء العربية في غربي أفريقيا كان
منبعثا عن فكرة الإعجاب وحب الفضائل والاشادة بالخصال والسجايا الحميدة ،
فهو إذن مديح مثالي مجرد عن أى غاية الا غاية التغني بالجمال المثالي
الخلقي ، فلم يكن ، كما قلنا من قبل ، لرفد المدوح أونيل عطايه ، كيف
يكون ذلك والشعراء المادحون أنفسهم كانوا من نفس طبقات المدوحين
أى أنهم من طبقات العلماء والمفكرين ورجال السياسة . . ولذا كان المديح عندهم
حبا للمثالية المجردة وتعشق للقيم الطاهرة والتغني بالأخلاق المحسودة . .

وقد عبر هذا المديح عن مضامين وقيم يمكن أن نلخصها فسي

الآتي :

أ - قيمة الكرم والجود .

ب - قيمة القوة والشجاعة .

ج - قيمة العفة والعدل والمساواة .

د - قيمة حسن الشيم والأخلاق والوفاء وشرف المحتد .

هـ - قيمة العطف والسماحة .

وهذه القيم المذكورة هي نفس القيم التي تغنى بها الشعراء القدماء منذ العصر الجاهلي ما جعل الناس جميعا يودون أن يستدحوا بها . .
غير أن شعراء العربية بغربي أفريقيا قد أضافوا أو أكدوا على قيم ومضامين جديدة أضفت على مديحهم الطابع الديني ما جعل صدى الدين ملازما لشعرهم في جميع أغراضه كما كانت الطبيعة ملازمة للشعر العربي الأندلسي في جميع أغراضه . . ومن هذه القيم والمضامين الجديدة :

أ - قيمة العلم والتعليم .

ب - قيمة التقوى والزهد .

ج - قيمة تمخير المجالس بالذكر وتلاوة القرآن .

د - قيمة الجهاد لنشر الدعوة الإسلامية والذود عن حمى الدين .

ونسجل هنا بعض الأمثلة على هذه القيم الجديدة . .

فعن قيمة العلم والتعليم وما يتبعهما يقول أحمد عيان سه :

أعنى الامام سعيد النور من كشفت

به الجهالة عن قومي وأوطاني

له تواليف غرليس يشبهها

شي* ويزدان منها كل مزيان

وعن التدين ونشر الدعوة بالجهاد يقول محمد البخاري :

اني لا أخشى أن يحمل بداركم

من بغض هذا العالم الرباني

وعن التمدح بالتقوى والزهد والورع يقول أحمد عيان سه :

عناية الله في الروحان قد سبقـت

مقرونة بالتقى في السر والعلن

فاعجب لهمة شيخ وهي عالىـة

بالليل تمنعه من لذة الوسـن

لم تلهه بهجة الدنيا وزينتها

ولا التفاخر بالاتباع والبيـدن

ومن الجدير بالملاحظة الإشارة بأنهم قد وظفوا ثقافتهم الواسعة

في الغريب والمنطق وبعض العلوم الإسلامية في أشعارهم وجمعوا في ذلك

بين سهولة النظم ووعورة الألفاظ ، وستظهر هذه الظاهرة بصفة أوضح عندما

نتناول تراجم الشعراء وذكر نماذج من أشعارهم ..

أما الرثاء فيعد من أكثر الأغراض الشعرية تناولا عند شعراء

العربية في غربي أفريقيا .. فما أن يتوفى عالم من العلماء أو قائد من

قادة المسلمين حتى يهرع الشعراء إلى رثائه بقصائد حريئة بكاء

على موت هذا الركن من أركان المجتمع الإسلامي في المنطقة ..

أما أنواع الرثاء التي تناولوها فهي رثاء العلماء والطوك والوزراء

والأبائ والافوان والافافا والأزواج ورثاء المدن .. غير أن أكثر

الأنواع تناولوا لديهم هو رثاء العلماء والأفافا ..

وتناولوا من حيث مضمون الرثاء كلا من الندب والتأبين والعزاء ،

ويعد الرثاء بحق من أصدق التجارب الشعرية لمسائه جانبها مهمما

وخطيرا من حياة هذا الانسان الضعيف ، وهو الموت الذي يعتبر نهايته

من هذه البسيطة ليلحق بحياة أخرى أبدية هوفيهما بين أمرين ، اما
سعادة أبدية واما شقاء مقيم . .

وها هو ذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يرثي الشيخ
زين الحامدين الشهير بحامدكن فيقول :
أيا مدير كؤوس الشاي لا تـدر

فقد سقيت بكأس جالب الكـدر
لما نعى حامدا الناعي سهرت له

ولوم من لام لا يشفى من السهر
فليبك حامد منا كل ذي رحم

فانني عن بكاء عز مصطفى
وليبيك العلم والتعليم مجتهدا

ولتبيك كتب التفسير والآثر
وليبيك النحو والفقه الصحيح كما

يبكي عليه بيان جاء في الزبير
يا أهل " فوت " (١) نعو الناعون سيدنا

فلتصبروا فمعظم الأجر للصبر
ليس البكاء بمجد فيه خرد لـة

والصبر أجمل للمقدور والقدر
لو كان يفدى فديناء بأنفسنا

والموت لم تنج منه شدة الحذر
قد كان في خدمة الأشياخ مجتهدا

بنفسه مهال غير مدخـر

فان هب عليك من الرحمن رحمته
شيعا بين جنات على سائر
ان كنت سافرت محمودا الى أجل
فنحن بعدك في الدنيا على سفر
لبيك نحن على ما كنت تعهد
من المودة بما ستحسن السير
يكفيك من ولد ما كنت تعمل
من صالح العمل الباقي على الأثر
سقى ضريحك غيث بارد شيم
من رحمة الله يهني مدة العسر
فالشاعر قد أظهر حزنه وتفجعه لما نعى اليه المرنى ، هذا الشيخ
المصلح الديني ، وبين أن مصابه جلل ولذا يعز عليه الاضطراب .
ثم ذكر صفات الميت الحسنة فهو عالم فقيه ناشر للعلم في ربوع
البلاذ ولذا يطلب الرائي من كتب التفسير والحديث والفقه والبيان والنحو
أن تبكي على فقيدها وهو هذا الشيخ الجليل ، ثم يطلب من قوم المرنى
أن يستمعينوا بالصبر على مصابهم الفاجع ففي ذلك سلوان لهم وأجر
عظيم ، إذ " أن البكاء لا يجدى فيه لأنه لا يعيده الى الحياة ، وأن
الصبر والرضى بقضاء الله وقدره هو الأجدى والأففع . ثم يعزى نفسه
بأن الموت حق ولا يتخذ له تقيّة من حذر ، ثم يعود الى ذكر محاسن
الميت فهو خادم للعلم ورجالاته بنفسه وماله ، ثم يدعو له بأن يسكنه
الله فسيح جناته يتبوأ منها حيث يشاء ، لأنه في الدنيا كان محمود السيرة
ملتزما لنهج الشريعة الى أن وافته منيته ، وهم بعده سائرون على الدرب

ولاحقون به ان شاء الله . . . ويبدو أن المرنى لم يرزق بولد ولذا يطمئنه
الشاعر بأن حسبه من ولد عله الصالح الباقي الأثر، وكأنني به يشير
إلى الحديث المشهور : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة،
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " . (١)

وأخيرا يدعو له بسقيا رحمة دائمة من الله على قبره . .

وللوزير الجنيد ألحان حزينة يرثى بها شيخه أبا بكر الملقب
بـ " بوبي " فيقول مظهرها التفجع والحسرة والاسى :

أثار هموم القلب بعد هدوئها

مصائب كادت أن تحل عرى الصبر

نعم هد ركن الدين إذ عظم البلا

وضاقت صدور الخلق من شدة الذعر

وظارت عقول عن صدور كأنهم

طيور أطارتها الصقور عن الوكر

وسالت دموع عن عيون كأنهم

على النحر ميزاب يصب على النهر

وزابت قلوب من لظى الهم والاسى

كما ذاب من جمر اللظى قطعة التبر

وأظلمت الآفاق واشتد خوفنا

وضاقت علينا الأرض في البر والبحر

وعزاصطبار واستمرت وسساوس

وليس يفيد الصبر والقلب في الجمر

ولا بد أن تعشو العيون تحيسرا

لقد غربت شمس الفضائل بالسحر

ومعد هذا التفجع والحزن الشديد اللذين شارك الشاعر فيهما

كل الوجود من حوله ، يطلب الشاعر من عينه أن تجود بالدموع الهواطل

ناثجة على شيخ الشيوخ أبي بكر بحر العلوم وشمسها وخذن التقسى

والحلم والجود والخير وعنوان الوقار والمصباح الوهاج في انارة دجى الجهل

بالوعظ والارشاد ، والكوكب الساطع في العلم والتعليم ، فلتتح العين

عليه كما ناحت الورقاء تدعو هديلها وكما ناحت أم عمرو على عمرو . . .

وفي الختام يصف غدارة الدنيا فهي دنيا غرور كثيرة المصائب لا يؤمن

جانبها ومن أعظم بلائها ومصائبها فقد هذا السيد الكريم السخي ، ثم

يملن رضاهم بقضاء الله وحكمه فهم عبيد مشيئاته فيقول :

أيا عين جودى بالدموع هواطسلا

ونوحى على شيخ الشيوخ أبي بكر

ونوحى على بحر العلوم وشمسها

وخذن التقى والحلم والجود والخير

كما ناحت الورقاء تدعو هديلها

على أيكة أو أم عمرو على عمرو

مصائب دنيا الغرور كثيرة

وأعظمها فقد السعيد ذى البهر

رضينا بحكم الله فينا لا ننـ

عبيد مشيئات نسير مع القسدر

وقد وصف الشاعر المرثي بصفات منها الجود والحلم والوقار والكرم
وهي صفات شائعة ذائعة في الرثاء ، غير أنه أضاف اليها صفات أخرى
تعقب بنفحات الدين من نحو وصفه له بأنه خدن التقى وبحر
العلوم وأنه مرشد للناس الى طريق الهداية وسبل السلام ومعلمهم
دين الله ، وأخيرا نجد أثر الاسلام على الشاعر في غير هذه الصفات ففي
رضاء بقضاء الله وقدره والانقياد التام لمشيئته تبارك وتعالى ، وكذا
وصفه الدنيا بالغرور ناظرا الى قوله تعالى : ﴿ وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور ﴾ . (١)

ولا سماء بنت الشيخ عثمان بن فودي مرثية في صديقتها عائشة
تقول فيها :

الى الله أشكو من صنوف البلابل
ثوت في سويداء قلبي داخسل
لغقد شيوخ قادة الدين سادة
واخواتنا أخدان خمر ونائل
وذكرني موت الحبيبة من ماضي
من الاخوات الصالحات العقائل
من الصالحات القانتات لربهم
من الحافظات الغيب ذات النوافل
فزادت همومي وانفرادي ووحشتي
وسكب دموع فوق خدي هواطل

لفقدى لعائشة الكريمة يالها
من امرأة حازت صنوف الفضائل
من الذكر والصدقات ثم تلاوة
ونذب لمظلوم وحمل المثاقيل
كغيلة أيتام غيات أراميل
وعدة حيي بالحبا والتواصل^(١)
توحشت من فقدى لها وهي صفوتي
وموضع سرى من عصور أوائيل
فالأوصاف التي خلعتها الأسماء على عائشة هي الصلاح والتقوى
والقنوت لله وحفظ زوجها في الغيب وكثرة النوافل وأنها حازت الفضائل
بكثرة الذكر والصدقة وتلاوة القرآن والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال
وكفالة اليتيم واغاثة الأرمال مع كثرة العطاء للمحاييج في الحي . . .
وواضح في هذه المراثية الاتجاه الديني لدى الشاعرة مثلا في الصفات
الحميدة التي خلعتها على المراثاة ، وإن كان بعض هذه الصفات قد
تناولها الشعراء القدماء من قبل ، كالكرم والدفاع عن المظلوم وحمل الأثقال . .
وهذا الاتجاه الديني لدى الشاعرة ينجلي أكثر في مراثية أخرى لها
في ذات الصديقة والتي تقول في مطلعها :

أعيناي جودا وابكيا لي حبيبتي
وسلوة أحزاني وأنسا لو حشيتي

(١) الحبا : السحاب المتراكم القريب من الأرض والمقصود هنا العطاء
الكثير .

وفيها تقول بعد أن أذرفت الدموع وأظهرت التجعج :

واني لحكم الله راض وانما

أراعي بما قد قلت حق الأخوة

ولا اثم حقا في الرثاء وقد رثى

النبي أبوسفیان يوم الوقعة

فهي بعد الحزن تلجأ الى الله راضية بقضائه في صديقتها ، وأن

هذه الدموع وهذا البكاء في الرثاء لا يأثم المرء به ، فقد رثى أبوسفیان

النبي عليه الصلاة والسلام يوم انتقل الى الرفيق الأعلى صلوات الله

وسلامه عليه ثم بينت ممنوع النذب على

الميت بقولها :

وأبكي عليها بالدموع ترحما

وشوقا وتحنانا لصدق المودة

ولم ينه عن هذا النبي وانما

نهى عن صراخات بآه وآهة

ولأخيها محمد البخارى مرثية في زوجته يقول فيها :

يا أخت أحمد ان رزك هاج لي دما بدم

ونفى الرقاد فمذ نعت الي طرفي لم ينم

نعم الفتاة هبت مع حسن التبعيل والكـرم

خلقا جميلا ذا تمام زانه حسن الشيم

غادرتني متحيرا مستوحشا بين الأمم

وهواك مالي حاجة لسواك يا بنت الغضم
بل مذ فقدتك لأرى النسوان الا كالغنم
تالله تفتاً مقلتي عبرى وقلبي ذاك الم
لكن رضيت بحكم جبار الخلائق ذى القدم
فسقاك رب العرش من رحماء غيثا ذاك شهيم

فشاعرنا قد بلغ به الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع
حيث ظل يقاسي مرارة التسهيد فهو دوماً يذرف الدموع قد حيره
مصابه الأليم في أعز الناس وأقربهم اليه ، وهي زوجته التي يسكن اليها .
واذا نظرنا الى الصفات التي يرثى بها الشاعر زوجته نجد أنها
هي :

حسن المعاشرة الزوجية والكرم والاخلاق الحميدة والشيم الكريمة
ما جعله لا يجد وطراً في النساء بعدها فهو يتخيلهن كالأغنام وبالتالي
لا يجد له بهن حاجة . . وأخيراً يلجأ الى الله الذى لا منجى ولا ملجأ
الا اليه بعد أن أظهر التفجع ولوعة الأسى ليسجل رضاه بحكم المحيى
الميت الذى لا معقب لحكمه فهو جبار لا يسأل عما يفعل . . . ثم يدعو
لها بسقيا رحمة من الله رب العرش العظيم . . وهذا من قبيل الاتجاء
الديني الذى يلزم الشعر العربي في هذه البلاد ولا ينفك عنه فسي
جميع أغراضه . .

ويرثى الشيخ عمر ابراهيم استاذنا ماجى اسحاق فيقول :

مراني من الهم ما قد كفانسي

لموت الأديب فريد الزمان

امام تغرد في كل فــــــــــــن
فصار كشمس الضحى في العيان
ففي الفقه فرد كذا في الحديث
وفي النحو والصرف أوفى المعاني
إذا قيل من فاق للدرس شرحا
أشارت أكف له بينــــــــــــان
إذا العلم أشكل أبوابــــــــــــه
له عند حل العقود يــــــــــــدان
وهكذا استمر الشاعر يعدد أفضاله العلمية وتفوقه على الأقران
الى أن يقول :

ففي العلم بحر وفي الجود بحر
هناك اذن التقى البحــــــــــــران
لقد كان كالنيل في مصرنــــــــــــا
وفاض فأكثر في الفيضــــــــــــان
فأحسب القلوب التي يــــــــــــبست
بماء تقطر في تــــــــــــسان
أاسحاق علم أاسحاق فضل
أاسحاق جود فداك جناني
فالشاعر هنا يرثى أستاذة فيذكر تفوقه في العــــــــــــلوم
الاسلامية ومراعاته في الشرح والتدريس وحل المعضلات العلمية ، فهو
في العلم بحروفي الجود خضم وهو فريد نسجه وملتقى زمانه ، وهو
في شهرته العلمية كالشمس في رابعة النهار وهو يفيض من غرابة علمه

كفيضان النيل ، وهو يحيى القلوب اليابسة والعقول المتحجرة القاسية
التي لا تخاف ربها بعلمه وإرشاده .

وللاستاذ اسماعيل بن محمد مرثية في شيخه الحاج شعيب
ابن الأمير محمد نسج فيها على منوال التهامي في رائيته المشهورة
التي يقول في مطلعها :

حكم النية في البرية جار
ما هذه الدنيا بدار قرار
فيقول اسماعيل واصفا حال الدنيا الغدارة :

الله أكبر ذى الدنيا لفنا
خلقت وما خلقت أخى لبقنا
دار كثير حزنها وهمومها
ما أضحكت إلا أتت ببكنا
كانت على كدر ونحن نرومها
تبقى لما بسرة وصفنا
ترمى نبال خصومها لفراقه
يا صاح في نحرى صباح مساء
وبعد هذا الوصف للدنيا وتبدل أحوالها يبدأ الشاعر في
البكاء على شيخه فيقول :

واحسرتي واحسرتي من فقد
اني أصبت بمن يداوى دائي
أبكي لموت أبي وشيخي سيدي
أكرم به من عالم معظما

تبيكي العيون لفقدته فدموعهم —
تهسى كما سحابة وطفلاً
.. ما زال يحمل كئنا ويعيننا
جازاه خالقه بخير جزاء
بحر العلوم نعم وبحر الجود من
في بابہ العلماء مع الفقراء
أكرم به شيخاً وقوراً صابراً
متعافياً متزيناً بهمساً
أعظم بمن يغضى ويعفو دائماً
عن كل من يأتى بكل جفأ
طابت شمائله بخشية ربه
وتزينت وتجلت بحملاً
حامي الذمار خصاله محموداً
لمحبة العلماء والشرفاء
ما زال متبعاً لسنة سيد الـ
ككونين عالي همة وذكاً
متخشعاً متواضعاً متخلقاً
بخلائق النجباء والصلحاء
.. حاز العلوم أجادها متبحراً
فيها باتقان وليس برائس
فسقى الله ضريحه ديم الرضا
وغيوث رحمة بلا احصاء ..

فالشاعر في هذه المراثية يرثى شيخه بصفات مستحسنة وأغلب هذه الصفات مصبوغة بصيغة دينية كعادة شعراء العربية في هذه المنطقة ..

والاتجاه الديني في هذه المراثية شديد الوضوح ، فالشاعر يبدأ المراثية بذكر الدنيا والزجر عن الاغترار بها وأنها خادعة متلونة وأنها في النهاية فانية ، ما يجعل العاقل غير متعلق بها ..

ويظهر تأثير الدين أضافي الصفات التي حلى بها الشاعر مرثاه فهو طيب السريرة جمع الى حسن المنظر طيب المخبر ، وهو يحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وهو بحر في العلوم والجود والكرم وقور صابر متعفف .. سمح يفضي ويعفو عن الجناة دمث الأخلاق حيي حامي الدمار جم الرماد ، محيي سنة سيد الكونين والثقلين خاشع متواضع متخلق بأخلاق الصالحين وخصال النجباء حائز للعلوم متبحر فيها ومتقن لها ، مجتنب للرياء في أعماله الخيرية .. وهذه صفات وقيم تعبىق بعبر الاسلام وأريجه ..

وأخيرا يدعو للميت بسقيا من رضوان الله وغيوث من رحمته .. والدعاء بالسقيا على أضرحة الموتى تقليد قديم ولكن الشاعر صبغه بالصيغة الاسلامية حين ربطه برضا الله ورحمته .

ومن قبيل رثاء المدن والندب على أمجاد المسلمين في هذه المنطقة السودانية قصيدة الشاعر أحمد عيان سه التي سداها بـ " دمة الباكي " ذكر فيها الدول التي تنعمت بالاسلام وحضارته قديما راثيا على ما آل اليه امرها بعد دخول الأعداء المستعمرين فذكر هذه الدول وهي مالي وفوت وكجور وسيغ وجلف وكسب وبند وأنجور

وغانا وطور وتمبكتو وجرما وهوصا وقاسن وكانو ، كما ذكر مجسد
ملوك الزنوج مثل " لتجور " وأولياء مجاهدين مثل الحاج عمر
تال فيقول : (١)

يا جامع الناس في عز وفي شرف
وموقظ الناس من هون ومن تلف
فقف بسنغال والسودان مشتكيا
ما دار بينهما من خالص الصلف (٢)
جملان جمعت الأشياخ بينهما
في الشرق والغرب جمع اللام والألف
اليوم فرقت الأعداء بينهما
وليس جمعهما يوما بمو تلف
أين الشيوخ الألى حازوا لدينهم
دنيا وما شرفا أبقوا لذى شرف
أين الملوك التي كانت تهابهم
أسد الشرى وأولوا الاحسان والظرف
أين العطايا التي كانت تجود بها
وفاة عهد علوا من فوق كل وفي
أين الفحول الألى ما زال عندهم
وان تمنع خافي العلم غير خفي

(١) الأديب السنغالي العربي ج ١ ص ١١٧ .

(٢) الصلف : قلة الخير .

أما تراها خلّت من كل ذي ثقّة
وكل حبر بمد البحر متصفّف
وبعد ذلك يبدأ في ذكر المدن الاسلامية التي لم تعد لها
مكانتها الاسلامية السابقة لتفرق المسلمين وتنازعهم نتيجة مؤامرات
المستعمرين وكيدهم ضد الاسلام والمسلمين فيقول :

من آل فاروق أمست " فوت " مقبرة
ومن بنية بناة المجد والشرف
وتلك " كجور " من " لتجور " خاليسة
جرت عليها السواني ذيل ملتحف
" فسيخ " فيها لنا من قبل ذا وطن
ولي مواطن في الأرجاء من " جلف " و
" كسب " أسلافنا حلّوا بها وكذا
في " بند " لي سلف ناهيك من سلف
لي اخوة في قصور " انجور " منزلهم
ولي بمدين اخوان ذووظسرف
ولي " بطور " جدود طالما رفعت
(١)
راياتهم وأضاءت ظلمة السدف
يا أهل " ماسن " كونوا وفق اخوتكم
ولا تملوا الى بغض ولا جنف

(١) السدف : الليل المظلم .

قولوا لتجنبكت أوللجرم ليس لكم
الا تجنب أهل الزيف والسخف
يا أهل هوص وأهل الغان فاعثقوا
ولا يكن عنكم أمر الوفاق خفي
وان تفرقكم بالقول السـنة
فالدین یجمعکم فی البيت ذی الغرف
أوفرقتکم طریق وهي واحدة
فی الأصل مرجعها للبيت ذی الشرف
فالکل صار لدين الله متبعــــــــــــــــا
ولم یمل أبدا عن دینه الحنفــــــــی
مواطن کلها فی الأصل متحد
وأهلها طالما مالوا الی التصرف
قد زين الله بالاسلام بهجتــــــــها
والدين قوى بها ما كان من ضعف
وکل من کان فی البلدان ذا شغف
بموطن فأنا بطور ذوشغف
فکم ظلمت بها ألهو بغائــــــــة
ما شئت من حور فيها ومن هیف
تمشي الهوینا فترتاح القلوب لــــــــها
مشی النزيف بکأس الخمرة الا نـف
آوی الی فتية شم قیاســــــــــــــــم
بالناس مثل قیاس التبر بالخمر

وكلهم بالحيا والجور متصف
باللوم ما أحد منهم بمتصف
وكلهم من ثمار المجد مقتطف
ولم يكن للخنا يوما بمقتطف
يا سنغال علوت الأرض منزلة
(١)
بالحاج فالحاج للعليا كالشنف
فمن مواهب مثل السحب واكفة
ومن قريض كمثل الدر في الصدف
من في البرية كالفاروق مجتهدا
(٢)
ضأت بأسيافه الدنيا من السدف
له محاسن في الدنيا غدت مشلا
(٣)
فيها الشفاء لداء الجهل والسنف
امن يبارى الفتى البكي^(٤) في حكم
أمن يشابهه في الزهد والتحف
ومن علوم خفيات بحررهـ
ما بين متفق فيه ومختلف
ثلاثة ضنت الدنيا برابعهم
(٥)
طابوا كما طاب طعم الماء بالرضف

-
- (١) الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .
(٢) الشيخ عمر الغسوتي هو المقصود بالفاروق والسدف الليل أو الظلام .
(٣) السنف
(٤) يعني به الشيخ الخديم أحمد بمبا البكر .
(٥) الرضف : حجارة يوقد عليها فيلقى في الماء إذا برد الزمان .

يشفق بريقهم من كان ذا وصب
فكونهم مرهم العاهات غير خفي
يا ليت قومهم ينضم جمعهم
حتى يروا نهضة السودان في الشرف
وأخيرا يختم القصيدة بالابتهاال الى الله أن يحسن ختام
المسلمين كما أحسن بدأتهم وان ينهضهم من عثرتهم وأن يمكنهم في
الأرض ويرجع اليهم حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة وان ينصرهم
على أعدائهم فيقول :

يا رب أحسن ختام المسلمين كما
أحسن بدأتهم في سابق السلف
وبالتمدن مع تمكن نهضتهم
والأمن من كل عاد مائل الطرف
أدم تراقبهم وارجع حقوقهم
وانصرهم زلفا تأتى الى زلف^(١)
ولتمض حرية منهم لتطفي^٢ ما
في القلب من لافحات الهم والأسف
ألطف بجاء رسول العالمين بنينا
ونجنا رب من هون ومن تلف

ولا شك أن مراشي المدن في غربي أفريقيا متصلة النسب بمراشي
المدن في المشرق الاسلامي اثر حملات التتار ومراشي المدن في الأندلس

(١) الزلف : التقدم .

اثر سقوطها في يد النصارى الاسبان .

وهناك مراث أخرى كثيرة لا تخرج عن النماذج التي ذكرنا
في شكلها ومضمونها ، ولذا نكتفي بهذا القدر خوف التطويل على أن
القارىء لمراثي شعراء غربى أفريقيا يلاحظ أنها تتسم بالسماة التالية :

١ - أن عاطفة الحزن موجودة كأصل من أصول الرثاء الذى يعد
الحزن جوهره فنجد الشاعر كثيرا ما يذرف الدموع ويظهر الحزن والتفجع
الشديدين لفقد الميت غير أننا نلاحظ مع ذلك عدم الخروج عن
التعاليم الاسلامية في رثاء الميت بل انه رثاء اسلامي يلتزم بأوامر الله
تعالى ، ويلتجئ الشاعر أخيرا الى الله ويرضى بقضائه وقدره فعبد الله
ابن فوى يقول في رثاء صديقه مصطفى :

٢ - ان الرزايا فقدن أمثالها

لكن رضىنا ما قضى الجبار

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان في رثاء صديقتها عائشة :

واني لحكم الله راضى وانما

أراعى بما قد قلت حق الأخوة

ولا اثم حقا للرثاء وقد رثى

النبي أبوسفیان يوم الوقعة

أما طريقتهم في الرثاء فهو لا يختلف كثيرا عما هو عليه لدى

شعراء المراثي في الشعر العربي من حيث أنهم وصفوا المراثى بصفات
ستحسنة لدى الناس في المجتمع الاسلامي والاخلاق الحميدة والخصال
المحمودة كالجود والكرم والحلم والصبر والشجاعة وما الى ذلك ، ثم ان

المزايا العلمية من أهم السمات البارزة في رثائهم للعلماء بحيث اذا
قرأ المرء رثاء هم لائى عالم من العلماء سهل عليه أن يفهم الفنون العلمية
التي طرقها المرثى وبرع فيها ، فمثلا يقول أحمد عيان مه في رثاء
حامد كن :

وليبكه العلم والتعليم مجتهدا
ولتيكه كتب التفسير والأشعر
وليبكه النحو والفقه الصحيح كما
يبكى عليه بمان جاء في الزهير
وأخيرا يذكرون أن هذه المزايا العلمية والصفات الحميدة قد ماتت
بموت المرثى ودفنت معه في قبره فمثلا يقول الوزير الجنيد في رثاء
شيخه :

ولا بد أن تعشو العيون تحييرا
لقد غربت شمس الفضائل بالسحر
وأخيرا نلاحظ أنهم مهدوا لقصائدهم في الرثاء غالبا بالشناء على
الله وضم الدنيا في أكثر الأحيان وخير مثال على ذلك قصيدة الشاعر
اسماعيل بن محمد في رثاء شيخه شعيب بن الأمير محمد التي يقول
في مطلعها :

الله أكبر ذي الدنيا لفنا
خلقت وما خلقت أخي لبقنا
ونجد كثيرا منهم لا يهدون لقصائدهم في الرثاء وانما
يدخلون في موضوعاتهم مباشرة مثل قصيدة الوزير الجنيد السابقة وقصيدة

أحمد عيان سه وغيرهما . وما يلاحظ أيضا في الرثاء عند هو " لا الشعراء " انهم يجمعون في قصيدة واحدة أو في الرثاء الواحد بين الندب والتأبين والعزاء على غير ما ترتب في ذلك ، ولا أجدني بحاجة الى التحليل لذلك فبادرنى نظرة في رثاء القوم يتبين للقارئ مصداق ما قلت .

وأخيرا يلاحظ أن صور الرثاء كانت متزجة بالمدح حيث يمدحون الهيت باظهاره دين الله واقامته الواجبات وتعليم المسلمين وارشادهم الى سبل السلام هذا ان كان من العلماء وان كان من غير العلماء فانهم يمدحونه بالصفات المستحسنة والخصال الحميدة ولا غرابة في ذلك فقد يما قال ابن رشيق القيرواني : وليس بين الرثاء والمدح فرق ، الا أنه يخلط بالرثاء شي " يدل على أن المقصود به ميت مثل " كان " أو " عدنا به كيت وكيت " وما يشاكل هذا يعلم أنه ميت " . (١)

أما الغزل ، فلم يكثر شعراء العربية في غربي أفريقيا القول في هذا المجال الخصب الذي يمثل العاطفة الانسانية والشاعر الوجدانية أصدق تمثيل . . فكثير من الشعراء قد استنكف القول في هذا الفن وقليل من أطلق العنان لعاطفته لتجود بمشاعرها الفياضة في هذا الباب . . .

أما الذين تخرجوا القول في الغزل فربما كان الرادع في ذلك حرصهم على الاحتفاظ بمكانتهم الاجتماعية كرجال الدين وصونا لأعراضهم من أن يسلقها الناس بالسنة حداد . . ومن هنا لم نجد عند هو " لا

(١) العمدة ج ٢ ص ١٤٧ دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .

ما يست الى الغزل بصلة ، اللهم الا ما كان افتتاحا لمقدمات قصائدهم
في أغراضها المختلفة جريا على عادة الشعراء القدماء في المشرق والمغرب
المرييين .. وحتى هذا القليل الذي قصد به المحاكاة والتقليد فاننا
نجد أكثرهم يختتمه بالزجر عن تعاطيه واثبات عدم جدواه وذلك قبيل
بدئه في غرضه الاساسي من القصيدة .. وكأنه بذلك يقرر مقدرته
على مجارة الشعراء القدماء في نسيجهم وان لم يشعر بشعورهم ..

أما الفريق الآخر الذي لم يجد في صدره حرجا من البوح
بمخاطفته الجياشة وصابته الدافقة عن طريق الغزل ، فينقسم إلى
صنفين :

صنف كان صادق الشعور في تجاربه الغزلية فوصف شاعره ولواعجه
وما يقاسيه من تباريح الهوى وصفا لم يخرج فيه عن العبادي الإسلامية
السامية وتعاليمه الحكيمة فلم يفحش في شعره ولم يتبذل ..

وصنف آخر تغزل ووصف محبوبته بدافع التقليد والمحاكاة
ونشك في صدق تجاربه ، وان كان هو الآخر لم يخرج عن التقاليد
الأخلاقية في المجتمع الاسلامي في شعره .. ونعتقد أن الشاعر
السنغالي المجيد يونس ذا النون في غزلياته من هذا القبيل ، ولنستمع
الى قيثارته في التغزل بفتاة من " سانلوى " المدينة التي كان يدرس فيها ،
فيذكر في غزله بعض أحيائها مثل " لود " و " سندوس " و " كرجان " ،
فيقول :

يا ربة الحسن يا جنة الرانس

فأنت انسان عيني كل انسان

انا نرى فيك أوصافا بمقارنهم

نهد وقد كرمان ومكران

انسانة ما رأت عيني ماسمها
الا وشيطانها للحاج أنساني
فوالذى خلق الانسان من حمأ
ان ابنة الاندرى جنى وشيطاني
دموعها درة بيضاء ناصعة
وأدمعي كالعقيق الأحمر القاني
نونان في حاجب قوسان في وتر
رمتها تحت صبح الوجه عينان
عينان فوقهما نونان تحتهم
تفاحتان على مبيض كشيان
الماء والنار في خدي وفي خدي
لم يجتمع قبل هذا اليوم ضدان
نيسان دمي عند البحر درته
(١)
بل صار سما بفكي كل شعبان
نفسى فدا لسرا برهرهة
(٢)
أفرغت في حبيها كيسي وكيسانى
له غدت أوجه الغادات ساجدة
ما بين " لود " و " سندوس وكرجان "

-
- (١) نيسان : بالفتح سابع الأشهر الرومية ومن خواصه المطر الكثير .
(٢) كيسي : اكياس دراهمي ، كيسانى : عقلي ، ورهرهة : حسن بصيص لون البشرة .

.. ان كنت في سفر فالقلب في حضر
وذاك أوقد أشجاني فأشجاني
عرفت دهرى أحوالي فنكرها
يا ضيعة بين عرفان ونكران
أوطار نفسي عن الأوطان قاصية
فشقني بعد أوطاري عن أوطاني
ذوالنون يكتب ذا فورا ويسرده
وشوقه ليس يبليه الجديدان
بلغ سعاد وان شط المزاربها
بأنني في هواها جد حيران
كم رام دهرى أن أسلو وهددني
بجوهرى صارمي صد وهجران
صدت عنه ولم تنجح مقاصده
فبعد ذلك صافاني وواخانسي
كان الهوى قبل هذا ساعدي ويدي
فما أهيت به الا ولبانسي
ان صادفتني خطوب من أماكنها
فلا أخاف وعين الله ترعاني
وبعد وصف صابته وكفه بسعاد ، تلك التي تغنى بها بعض
الشعراء القدماء في غزلهم ، يتوجه ذوالنون بالرجاء الى الله المؤلف
لما بين القلوب أن يجمع شمله مع سعاد لينعما بالوصول في أمن ودعة
وطول عمر ..

ولعل القارىء بعد هذه الأبيات يتهم حكمتنا على الشاعر بـزيف
التجربة بالتسرع والاحفاف ولكنه سرعان ما يغير رأيه عندما يقرأ
الأبيات الباقية من القصيدة ، ولنستمع إليها :

لعل رحمة رب العرش تجمعنا
فلا شماتة نخشاها لدى الشان
في ضمن أمن وامن صاحباً دعة
وطول عمر بخلان واخوان
من قبل قد كانت الاشواق جملتها
أحكامها تحت تصرفي وسلطاني
لم يلقني عاشق يمني له مكن
في الشوق الا وحياني وبياني
سبقت بالشوق أهل الشوق فاستبقوا
الى حماي وجابوا كل ميدان
وقد أقروا بأنني مفسد علم
فالدهر يخدمني والنصر يلقاني
بعد الفناء بقااً للعلم به
فأعجب فديتك من باق لدى فان
اني أقول لمن يبغني مكاتبتني
ذوالنون سلطان أهل الشوق عنواني
فالشوق يخفف من قد كان ذا شرف
عدلاً ويرفع هيان بن بيسان
فكن مجداً مجيداً ان وصفيت ولا
تقنع بباكورتني نحو وأوزان

الا اذا كانتا في جنب غاديسه
تغض زهر المعاني البيض للرائسي
فللمعاني بديع راق منظره
يبدي فنون بيان تحت تبيان
أرأيت من ذا الذي تسمج له دواعي الحب ووجيب الفؤاد
ولوعة النوى ومقاساة تباريح الجوى أن يثني العنان الى المطالبة
بسلطة العاشقين وقصب السبق في سباق المحبين ، ذلك لعمرى لم
يجرب لواصع الحب وعذاب الفؤاد .
هذا رأينا في ذى النون . . ويؤكد ذلك استمرارية الشاعر
على هذا النمط في جميع غزلياته من ذكر الصباية وما جرعه البين من حزن
وأسى حتى غدا عدوله يرضى لحاله ويذرف الدموع شفقة عليه ، ولا يتناول
من أوصاف محبوبته الا صفاتها الحسية والتي هو فيها مسبوق وعالة على
من سبقه من الشعراء فمحبوبته بدر في خدر ورشا غزال ان تشتت أرت
غصن بان ، ولعل أشمل المقطوعات الغزلية التي تمثل مذهب الشاعر في
هذا الفن المقطوعة التالية :

فلم ترعيني قبل حورا ماشيا
غزالا بدا بدرا على الأرض ماشيا
فأسنانها كالعاج حسنا وكم شج
ولما رآها قال يا ليتها لي
ولا تتجلى لامرى في صلاته
ولو صالح الا وأصبح ساهيا
هي الغادة الهيفاء كالروض بهجة
ويخجل رياها الا ربيع الغوالي

فقلبي لا^١جل الحزن أصبح حائرا
ودمعي لا^٢جل الشوق يملا^٣ واديا
فيالك من ريانة الساق ان بدت
وريحانة الساقى اذا بات شاديا
لها شنب يلهم الهنود وقامة
ترك قضيب البان لم يك زاويا
فديتك يا روح الجمال وذاتـــــــــــــــــه
بنفسي وأهلي ثم مالي وماليـــــــــــــــــا
فسلم عليها يا نسيم وقل لــــــــــــــــها
الى اليوم حبل الشوق لم يك باليا
وغيرخاف أن هذه الصفات الحسية الغزلية قديمة قد ردها
الشعراء القدماء من قبل ، وأغلب الظن أن ذا النون قد اقتحم حـــــــــــــــــسب
الغزل ليستب قدرته على النظم في معانيه ، فمحبوبته نجدها تارة " سلمى "
وحينا " سعاد " وهو مغرم بالتفوق في سباق العاشقين متم بالامارة
عليهم كما رأينا في الأبيات السابقة وفي اللاحقة يقول :
تقيسون بي قيسا ضللا وبيننا
مراحل تشنى عزم كل قطاة
وأيام قيس في زماني ساءــــــــــــــــة
فكم بين بحر زاخر وأضــــــــــــــــاة
لقد علم الأيــــــــام والحال شاهــــــــــــــــد
بأن جميع العاشقين عفاة
غدت أمراء الشوق تحت أوائــــــــــــــــرى
ويرجو وعيدى كلهم وعداتــــــــــــــــى

لقد جنحوا للسلم حين بدا لهم
تجلى جلال القهر من سطواتي

وإذا تجاوزنا ذا النون وأثنينا العنان على محمد البخاري
النجيري نجده في غزلياته سائرا على منوال القدامى في وصف المحبوبة
سواء في مقدماته الغزلية لأغراض مختلفة من مدح وفخر وما إلى ذلك . .
أو في قصائده التي خصصها لهذا الغرض . . وما مهد به للممدوح
قوله :

فجعتك أم الفضل بالهجران
فبقيت بين الناس كالسكران
وكان في قلبي وجوفي جمرة
مذ بعدتني من جناها الداني
قامت تراءى في القصور بفاحش
رجل ومقلة شادن ظمآن
وبجيد مغزلة وساق خدلسة
وترائب كالدر والمرجان
وقد سبق الحديث عن هذه الأوصاف الحسية للمرأة عندما
تناولنا هذه القصيدة في المدح حيث نظرنا لهذه الأوصاف في الشعر
العربي القديم .

ومن قبيل المقدمات الغزلية لهذا الشاعر الأبيات التالية :

وبيضاء عجزاء مكسورة
مبتلة كمهابة الرمال
بذلت لها مهجتي وفؤادي

وما كان لي من عيال ومال

فلا تعذلونني بما قد صنعت
 فذاك قديما صنيع الرجال
 سببتني بأسود مفردون
 وحف أثيث سحاح جفمال
 وعيني مهابة وثغرششتيت
 ونذى أشرمثل شوك السيمال
 وخد أسيل وخصر بتيمل
 وردف ثقييل وسوق خدال
 وخلق عميم وخلق كريم
 وقول رخيم وحسن السدلال
 لقد قسمت بين حقف وغصن
 وبين المهابة وأم الغزال
 سلا القلب عن كل رعبوبة
 سواها وما القلب عنها بسال
 أأسلو وأنت رشوق ألوف
 أنوف ونحرك مثل الهلال
 وثغرك در وريقك خمير
 ووجهك بدر تحيت الليالي
 لك الفضل في الناس يا أم عمرو
 حويت مع الحسن كل المعال
 فالشاعر يصف محبوبته العجزة المكورة بمهابة الرمال قد سبته
 بمعينها الحورائين الدعاوين وشعرها الفاحم الأثيث وثغرها
 الشثيت ندى الأشر وخدها الأسيل وخصرها البتيل وردفها المكتنز

وساقها المعتدل وهكذا دواليك ..

وكل هذه الأوصاف الحسية للمرأة قد استهلكها الشعراء القدامى
وان كان الشاعر قد اهتم بصفات المعنوية حيث أشاد بخلقها الكريم
وأنها حوت بجانب الحسن كل المعالي وبعدت عن سفاسف الأمور
فهي تجمع بين حسن المظهر وحسن المخبر .. ولنخرج الآن على
قوائده الغزلية حيث يقول :

أخيال آمنة التـــــــمــــي

من دونها جوب القفار

قد هجت أحزاننا لقلــــ

بي المستهام المســــتطار

وسلبت عن نفسي القــــرا

ر ومطت ما بي من وقــــار

وتصارم الأوجــــان منــــ

مذ نأت ديارك عن ديار

ما تلتقى الاعــــلى

دمع على الخدين جــــار

حييت يا أخت الزهــــرجد

والزبــــارج والــــدرار

ووقيت من حــــوب يشــــ

نك والملمــــات الكبــــار

وحياة حبي فيك مــــا

للقلب دونك من قــــرار

وهوفي الأبيات السابقة يصف عمل الغرام والعشق به
وكيف هاج خيال محبوبته حزنه الدفين وهواه الجامح
فسلبه العقل والوقار ، فهو منذ نأت عن دياره لم يذق طعم
الكرى ولم تفتض عيناه بل ظلت تذرف الدموع تولها وصباية وشوقا
اليها ، كيف لا وهي التي تشبه في الحسن والجمال الزبرجد
والدرر .. ثم يدعو الله لها بالوقاية من كل ما يشينها ويدنس
شرفها و يقض مضجعها .. وأخيرا يقسم لها بالحب بأن قلبه ليس
له قرار بعدها .. وله في قصيدة أخرى :

هاج لعيني مع دمع دما
طيف أتى من رشاد دما
يا أيها الطيف الذي زارني
لو كنت حقا لشفيت الظما
يا لائم في حب رعبوبة
كؤلوه الغواص أو كالدمما
لطيفة الكشحين مكمورة
ترى الورى عن لحظها أسهما
أقصر فما أنصفت حقا ومما
نلت من الرشد نصيباً ومما
ما نظرت عيني الى مثلهمما
حسنا واحسانا ورب السماما
قامت تريني يوم ودعتهمما
كشها لطيفا طيه أهضمما

الى أن يقول :

ذكرتها وهنأ وكم دونها

جوب قفار ليس فيهن ما

فهذه الأوصاف التي خلعتها على المحبوبة كلها أوصاف قديمة
قدم الشعر العربي فهي تشبه لو لو الفواص وهي كالدمى ، لطيفة
الكشحين مكورة تغترس الناس بلحظها .. وان كان يمتاز شعره
بالندف والسهولة ..

ولعل غزل هذا الشاعر لم يقع تحت ضغط الحب ودواعيه ،
وانما كان في غزله مجاريا للشعراء القدامى ومقلدا لهم ، ويدل على ذلك
ما تصدر به مجموعة أشعاره حيث كتب على المخطوطة الموسومة بـ " الميل
على حب النساء " ما يلي : " هذا من بعض قصائد محمد البخاري
ابن الشيخ عثمان ابن قودي تغمدهم الله بالرحمة والرضوان .. واعلم
أنه لما كانت القلوب مجبولة على حب النساء والميل اليهن افتتح جمل
قصائد ، بذكرشي " من محاسنهن وخالص صفاتهن تبعاً لكثير الشعراء
ليكون أدعى الى الانصات عند السماع فتصفي اليها الاسماع وتميل الى
معانيها الطباع ..

ولكن يجب أن لا يخدعنا مثل هذا ، إذ نشم في ثنايا بعض
الآبيات صدق التجربة وحرارة العاطفة ..

هذا ويقاس على الشاعرين : يونس ذى النون السنغالي ومحمد
البخاري النيجيري بقية الشعراء الذين اتخذوا الغزل تمهيداً لأغراضهم
الشعرية المختلفة ، وهو لا يختلفون كثيراً عنهما من حيث السير على
نهج الشعراء القدامى في وصف الصباية ووصف المحببات ، فقد استعاروا

صورهم وألفاظهم بل وحتى أسداء المحبهات من الشعر القديم ، كسماد
وسلى وسلى ومية وما أشبه ذلك ..

ويسبدو أن هؤلاء الشعراء تخرجوا من البوح بأسرار قلوبهم
خوفا على مكانتهم الاجتماعية والدينية ، ان نشم من وراء بعض أبياتهم
صدق التجربة وحرارة العاطفة وذلك عندما يفلت من أيديهم زمام
المحافظة فيطلقون العنان لمواطنهم الجياشة غير أنهم لا يلبثون في
هذه الحالة أن يردوا جناح عواطفهم ليعود الى التقليد مرة أخرى حتى
لا يفتضح أمرهم ..

ولعل هذا التحرج هو الذى دعى محمد البخارى فـي
قصائده التي أفرد لها للغزل أن يستعمل الطيف أو الخيال حتى لا
يظن به الظنون ، كما حدا ذلك أيضا بعضهم الى الدعا للمحبوبة
بالوقاية من الله من كل ما من شأنه أن يدنس شرفها وطهرها .. ولكن
تدقق أسلوبهم يفضحهم ، نعم انهم محافظون ولكنهم بشر ..

وهناك ظاهرة قديمة شاعت في غزل هذا الصنف من الشعراء
وهي ظاهرة " العذول " فهي هوذا ذوالنون يقول في احدى غزلياته :

يقول عذولي هل تموت من الأسى

رأيت سكوتي عنه عين جوابسي

وفيها يقول أيضا :

وأهل الهوى عدوا الشكاية في الهوى

نباح كلاب أو ظنين ذباب

ولاح رأي ما أصبت وانسي

مصاب واني في أشد عذاب

فقلت له من كان يمشى على الثرى
ولم يك صبا فهو عين مصاب
فليس امروء قد مات شوقا كغيره
وما طعم شهيدا أخي كمصاب
ويعد الشاعر السنخالي محمد المصطفى آن من أولئك الذين
لم يتخرجوا من البوح بطوايا قلوبهم من الحب .. غير أنهم في ذلك
لم يخرجوا عن المبادئ الأخلاقية والتقاليد الإسلامية في هذا المضمار ..
فها هو ذا يشكو صابته وفرط وجده وشدة كلفه بفتاة اسمها
"ياسمين" فيقول :

صادت فؤادك ياسمين وأثخنت
فيه الجراح ولم تجد بعلاج
قد حركت منك الكمين فأهملت
بعد الحراك وآثرت بهيـاج
هضما ليس بها في وجهها شحب
والمشي منها على غنج ورجراج
رحماك رحماك يا أختي ولي وطر
فاقضي ولا تهملني يا نشوتني حاجي
وافيتها ليلة يعلو بها متهمها
رمز الجمال ونعم الخاطب الراجي
وقد علا الصدر رمان زانهمها
مواقع النصب في زهو كذى تاج
يا رب قدر لها لي زوجة صلحت
حالي وحالتها في خير منهاج

حقا ان شاعرنا كان جد كلف بهذه الفتاة الغاتنة ولكنه فسي
هيامه وولمه بها ذو قصد شريف - كما يقولون - ولذا فقد ختم
المقطوعة بالتضرع الى عالم أسرار القلوب أن يقدرها له زوجة على سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وشاعرنا مولع بختم قصائده الغزلية بمثل هذا التضرع فله
قصيدة أخرى نظمها ليلة أن أظهرت له باسمين ما أضمرت وأظهر
لها نياته فختم القصيدة بقوله :

يا رب هاذي يسرن ما أبتغني

بزواجها ان راعني اكرامها . . .

هذا ويعد أيضا من تغزلوا استجابة لوجدانهم وحيا فسي
تسجيل تجاربهم العاطفية الأديب النيجيري الشاعر عمرا براهم فسي
قصيدته التي سماها : " الكون موات لولا الحب " وهذه القصيدة تحتوى
على ستة وستين بيتا جاءت في شكل موشحة في رقعة ألفاظها وعذوبة
موسيقاها ونظام أبياتها : (١)

يقول فيها :

يا حبيبى يا حبيبى

اصغ سمعا للحبيب

هل أذاك اليوم أنسى صرت عظما في الشعار

ذهب اللحم بخسارا صاعدا من حرنار

ماثلا فوقى سحابا لا أرى ضوء النهار

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٤ .

يا حبيبي يا حبيبي

هل تيالي بنحبيبي

ان يطل صدك عنني يذهب الحر عظامي

أختفي عنك ولا تسـ مع من بعد كلامي

ان تشأ ذاك وأخشى عل ترمي بمسـلام

لوينادي (غرشـي *) قلت أنعم بمسـلام

يا حبيبي يا حبيبي

طيفك اليوم طيببي

كنت أرجو السرور لما بان شغرا لايتسـام

ورأيت النور حولي قربه باب السـلام

ذلك الرضوان يأتي فاتحا باب مرامـي

فاذا بي صرت آدم آه لاشجر أمامـي

يا حبيبي يا حبيبي

جئت بالامر العجيب

يا حبيبي لم يطنـي عنك شر الوسواس

زال انديز وأقـا أنت في القلب فـراس

يفرح الناس بخمـر وأنا شفر كاسـي

لذة ان نبض السقل حب بها قرت برأسـي

يا حبيبي يا حبيبي

هل أنادي من مجيب

لذة تنشي* في جسـ حبي ما تهواه نفسـي

فجأري الكون بشكـل غير ما بان بأمسـ

كله مسك وزهـر كمروس قرب عرسـ

وأراني الحب ما لم يرنيه نور شمس
يا حبيبي يا حبيبي
ريكم خمري وطيبسي
أنا الحب بأمر السر رب فلتأت نعانق
لوأبى ذاك لمار ال قلب وقت العشق آبق
بل تراه وفق صوغ الر رب للأحباب عاشق
فأبر الناس معطي ال محب حقا ثم فائق
يا حبيبي يا حبيبي
نقصه شر الذنوب
أنا الكون بأقصا موات في موات
فعياة زينت ذا ك بشتى الحسنات
ثم راقى هي بالحد ب حياة للحياة
يا حبيبي يا حبيبي
اسقنيه بذنوب
واسأل الأشجار عن أز هارها من فوق غصن
واسأل الأطياف عما حاجها حين تغني
وارقب الوحش ولا تخد ش تر العشق بعين
واسأل المنكر في الجند نة معنى حور عين
يا حبيبي يا حبيبي
اعطني فوق نصيبي
يا حبيبي طيفك المح بوب لي خير مرادى
بعد جرم لك لا يم خع فوزى في رقادى
سل فوادى ما يقاسي لحظة حين انفرادى

انفرادي لي ضلال وتلاقينا رشادي
يا حبيبي يا حبيبي
أنت سقمي وطبيبي
قالت الأنجم لما شعرت من حرماي
انما الحب عذاب دونه كل العذاب
قد سكنا مطمئنا ت على رغم انجذاب
لوعرفنا الحب تل لقانا على حال اضطراب
يا حبيبي يا حبيبي
جئت بالقول العجيب
يا ذوات النور ما قو لك هذا يسداد
ان يكن هذا عذابا فهو عذب في فؤادي
فيك نار ثم لا جسد ب اخمدى مثل الرماد
الغليسي ثوب بياض والبسي ثوب سواد
.....
اتركني الحب بنا ينزل في مغنى رحيب
قربن فاك خليلي ماؤه كالسلسيل
لشفائي وحياتي لاسقني غير القليل
وكأين من علي وكأين من قتيل
ماله في الروح - لولا ال حب أحيى - من سبيل
يا حبيبي يا حبيبي
أحييني عما قرييب
لارى ما قيل في من مات صديقا ومو من
وشهيدا في حروب ال حب لا في القتل موقن

من نعيم في جنـان لشهيد * البدر * كامن
لكمال الحسن في سد رى ذقت القتل ساكن
يا حياتي يا خلـودى في مآبـي المستطاب

فالشاعر يجاهر في هذه القصيدة بعشقه العفيف في حالة
هادئة تطفحه فيها ذكريات الشوق والصبابة وقد برح به الضنى
واستبد الطيف بخاطره فيرسم لنا صورته ولم يبق فيه الا هيكل عظمي ملتحف
في ثياب برح الشوق به وحركبده حتى وصلت الحرارة الى درجة الغليان ،
فأذهبت لحمه بخارا وصعد فوقه كالسحاب ، فحجبت عنه الشمس فلا
يرى لأجله ضوء النهار وأبى السحاب أن ينزل مطرا حتى يرى محبوبته
الهيكل بجواره وعندئذ ينزل مطرا فيظفي* نار الشوق ويرجع البخار المتراكم
الى الهيكل ويصير لحما كما كان .. ألمست هذه الصورة البائسة للمحب
الوله مدعاة للشفقة عليه واهرام المحبة الى انقاذ هذا الهيكل قبل أن
يستبد به الحر ويفتك به فيجعله هباء منثورا ، فيصبح أثرا بعد عين ؟

وشاعرنا غير عابي* بما يحدث له من الهلاك ان لم تتداركـه
المحبة بوصلها ، وهو على حاله البائسة راض كل الرضا عن المحبة ان رضيت
هي بهلاكه بسبب هيامه بها ، ولكنه يخشى عليها لومة اللائمـين ان هلك
بسبب وجده لها .. ولو قدر له بعد الهلاك أن يتكلم وهو عندئذ لاشـي*
لقال لها لا تشرب عليك أنعمي بسلام ..

وأصداء الدين واضحة في هذه القصيدة ، فهو عندما بان له شجر
الحبيب الذي يبعث على اللواعج والشجن لما يسرى فيه من الجاذبية
ويلفه من السحر والذي يجعله غير مطيق على التصبر على تلك النظرة يراها

ولا يهتصر عودها وينعم بجناها ، فبداله كأنه يدخل الجنة فرأى باب
السلام وعليه رضوان صاحب الجنة يوشك أن يفتح له الباب ليدخل ثم خاب
ظنه فأصبح كأبينا آدم عليه السلام مطرودا من الجنة ، ولكن كيف يطرد
وهولم يذق الشجرة كما ذاقها أبونا آدم عليه السلام .. وفي القصيدة
أصداء أخرى للدين والفاظ وتعابير قرآنية كلها تدل على التأثر الديني
الذي يكتسح جميع أغراض الشعر العربي في غربي أفريقيا .

وواضح أن الشاعر في هذه القصيدة الغزلية الرقيقة حاول أن يخرجها
في شكل موشحة .

وللشاعر السنغالي الشيخ الهادي توري قصائد في الغزل
يقول في بعضها ردا على عذوله :

عذولي تراك اللوم لم استطع صبرا
بل أمرى شئون الدمع أو أنزل القبرا
زفيري ودمعي جمره تحت وابل
فيا عجبها من وابل جاوز الجمر
فكيف تصوم الصبر صبا متيسرا
وفي قلبه تجرى جيوش الهوى تترا
وكيف يطيق الصبر من كان تائها
وكان جواه يملا البر والبحرا
وقالوا ماتني في جوى شهادة
بها استحق الوصل والفوز والأجرا
وان سلو الصب عين ارتداده
كذا الحكم في شرع الهوى فاعلم الأمرا

واني وان كنت المعنى كما ترى
فكل ذنوب العالمين ولا كفرا
وهذا الذى لقيت عندى ههنا
وفي جنب من أهوى أرى كل ذا نذرا
لا قسمت أني لا أفيق من الجوى
ومن سكرة تنمو ولا أشرب الخمرا
ومعاني الشاعر في الرد على العذول مطروقة وان كان مجيدا
فيها ..

ونجد أصداء الدين في بعض ألفاظه وتعابيره مثل .. شرع
الهوى " ، " الشهادة " ، " الفوز " ، " الأجر " ، " الارتداد " ،
" الكفر " ، وكذا الاحتراز منه ..

وهناك شاعر سنغالي تسنم منصب القضاة وهو القاضي مجتهد كل
ولم يتحرج من تسجيل مغامراته الغرامية مجاهرا بالعشق العاهر والعبث
الداعر والخلاعة الماجنة ناسجا على منوال امرى القيس وعمر بن أبي ربيعة
غير مكترث بما يفرضه عليه مجتمعه وتقاليد الاسلام ومكانته الاجتماعية
كقاضي الدولة الذى تصدر القضاة ردا من الزمن لغزارة علمه وعدله
وجراته على الحق ولو كان على السلطان ..

فها هو ذا يسجل احدى مغامراته في سبيل عشيقته عائشة ، فوصف
فرسه " فضل الله " ثم وصف محبته وكيف استطاع أن يهتصر عودها
وينعم بجناها فقال :

تذكرت أيام الهوى فالليالي

فالأيام من لذات شرخي شبابيما

فأركب طرفاً أسود اللون حالكا
كما نشر المصوغ في الليل راجعاً
أخاً ملهّب ذى درة لهديـره
دوى كأصوات الخذاريف حاكياً
الى أن يقول :

فلله درالمهر لما امتطيتـــــــــــــــــه
فأبلغني دارالخريـدة طافياً
فجئت وبسبب البيت أظق مرتجاً
فقلت من المستفتح الآن باهياً
فقلت بأخفى الصوت سراً ولينة
أنا مكل المعروف زرتك سارياً
معذب قلب قد دعاني الى السرى
دواعي هواك فاستجبت الدواعياً
أعائش قومي وافتحي الباب واسقين
لنا من لطول العهد أوشك بالياً
فقامت بهينوم^(١) قطوفا بطيئة
خفيفة خطوات كما كنت راضياً
فلما دخلناه وقد نام أهلها
بلغنا بتمريس لديها الأمانياً
فبت لدى هورا^١ تنسي ضجيعها
أوامر ربي كلها ونواهيها

(١) الهينوم : الصوت الخفي .

منعمة عجزاً* أعدل قامــــة

فلا قصر شمين لا ولا طول غالـيا

تميس بأنبوبي سقي وتنشني

(١)

بجيد محلو من ظبا* لا ليا

وتنظر بالعينين من نعمة مها

على لحظات كدن يقطعن باليا

وتنفي بغاتام سوى معطر

برائحة من دونها المسك زاكيا

والشاعر هنا قوى الشبه في مخامراته العاطفية بامرئ القيس ، فهو

يدب الى حبيبته ليلا يتعرض للقتل ويتخطى الحراس ليحظى بما يريد .

ومخامراته هذه تذكرني بمخامرة امرئ القيس التي يقول فيها :

سموت اليها بعد ما نام أهلها

سمو حباب الماء حالا على حال

... الخ (٢)

تري ألا نلاحظ الشبه القوي بين هذه المخامرة وتلك ؟

أما أوصاف القاضي التي خلعها على المحبوبة فقديمية وان كانت

مطابقة لما يصف بها السنغالي أو الافريقي عموماً المرأة ويتصورها عليه

من الحسن والجمال .

(١) تميس : تتبختر .

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١٤١ .

وبعد .. فقد رأينا كيف تناول الشعراء في غربي أفريقيا هذا الغرض بنوعيه .. وكيف التزموا التقاليد الإسلامية في التعبير عن عواطفهم بعيدا عن العهر والعبث الداعر والخلاعة الماجنة ، باستثناء القاضي مجخت كل السنغالي . وأغلب الظن أن مجاهرته هذه من قبيل ما عرف عن الشعراء من أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون .. وخاصة عندما نعلم أن القاضي قد كان له منافسون على منصب القضاء الذي ظل مستأثرا به مدة طويلة ، وقد كانت بينه وبين منافسيه معركة جدلية دامية ، تراشق الفريقان فيها بسهام من منشور الكلام ومنظومه ، وكان القاضي في ذلك هجاء مقذعا في الهجاء ويكاد يكون المنفرد بهذا اللون من الشعر بين شعراء المنطقة ، وما سمعنا أن أحدا من معاصريه قد هجاء بدعارته أو اتهمه في أخلاقه رغم وجود البواعث النفسية لهذا الاتهام لدى منافسيه والذي من شأنه الاطاحة بالقاضي من منصبه ..

لم يخل الشعر العربي بغربي أفريقيا من فن الوصف ، فقد ضرب شعراء العربية في هذا المجال بنصيب لا بأس به ، فوصفوا الطبيعة الصامتة والطبيعة المتحركة ، ووصفوا الطائرة وبعض المشاهد التي خلبت عقولهم وأثارت مشاعرهم وعواطفهم . كما وصفوا الخيل والنساء وما إلى ذلك ، غير أن القصائد التي أفردوها لهذا الغرض قليلة جدا ، وأغلب شعر الوصف كان مبثوثا بين ثنايا بعض القصائد التي قيلت في أغراض أخرى غير الوصف كالمدح والغزل مثلا . فيها هوذا الشاعر السنغالي أحمد عيان سه يصف الطبيعة الميتة أو الصامتة في مقدمة قصيدته الترحيبية للجنرال الفرنسي " دغول " يقول فيها :

هذا أندر الخير مفترأ زاهره
زقاه ازدهرت بالبشر اقبالا
والبحر يقذف بالأفواج طافحة
كأنها ليست بالروض سربالا
تفوز زهر من الأكمام باسمه
تضاحك السحب تحت الشمس غربالا
تخال فيه ثنايا الغيد من حبس
كلو لو صبه الوسمي هطالا
كأنما السور والأزهار ضاحكة
من فوقه وعليها الماء قد سال
سما صحو نجوم الجوتكلوها
قد أشعلت لرجوم الجن اشعالا
في جنة باسق الأشجار يعمرها
قطوفها ذلت بالحمل اذلالا
فيها البنفسج والقحوان مبتسم
والورد من خجل من غدها نالا
والياسمين مع التفاح معتنق
الى شقائق نعمان بها مالا
والطير تشدو على الأغصان مطربة
والسفن تحمل في البلدان أثقالا
والرياح في صفحات النهر جارية
تجر من فرح في القصر أذبالا

فشاعرنا قد أضفى على هذه الظواهر الطبيعية - من بحر ونهر
وأرض وسما* وزهور وثمار ورياض وشمس وطهور - شعاعا من نفسه الفرحة
المفتبطة بمقدم هذا الجنرال وذلك أدخل فيها الحياة والحركة ..
هذا وللشاعر ذى النون وصف رائع للاقطال استوفى فيه كثيرا من
عناصرها القديمة من نحو ذكره لما بدل معالمها من رياح عواصف
وأما رشيدة وما حل بها بعد رحيل أهلها من قطعان البقر الوحشي
والنعام والغزلان الى غير ذلك ، ولنستمع الى قيثارته :

مغنن سعاد عفته هوج العثير
وسقته واكفة الغمام المظفر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة تحضت ببطن محسّر
أطفالها يرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزامها وغضن الأزهـر
وترى القلائص في تباثر آلهـا
فكأنهن سفائن في أبهر
غزلانها تقفو مدى ظلماتها
ان راعها صباحا زفير غضنفر
فشاعرنا يرسم لنا لوحة فنية عن ربوع محبوبته التي عفتها

ومكتبتها قد حكى البرلما
ن القاهريَّ لحسن التمام
تري الطائرات تعاودها
أنت من أوربا ومصر وشام
وصارت كنهل أنت بعسل
خليتها أو كزور الغمام
لها ارتباط بأم القـري
بهبيل السماء لزور المقام
" كنو " جمعت علم شرق وغرب
ففازت بسهمين بين السهام
لذلك قيل كشك ألف
قديسا فأصدق به من كلام
ولست بناسي مصاحبتـي
بها حين كنت الرجال الكرم
أباريس حوسا وعاصمة الـ
شمال عليك دواما سلام
وشاعرنا يظل حتى في وصفه لمدينة " كانو " يعبق شعره بعبير
الدين ، فمن معالم المدينة المسجد الفاخر الذي يشبه في جمال
الاتساق جامع دلهي . والمدينة بينها وبين أم القرى مكة المكرمة
حرسها الله رابطة سماوية هي الدين الاسلامي وحج البيت الحرام ..
ويضرب الشاعر الوزير الحنيد على قيثارة امرى القيس في المعلقة
وذلك عندما يصف شاعرنا مدينة " أغدس " فيقول :

ألا أبلغن عني " لا قدس " تحية
تفوح بعرف المسك أو عرف صندل
وبلغ لا هليها سلا ما مباركها
يعم شذاه من تحيت ومن عل
وفيهاها حيث الظباء ترود في
خمايل تأتي من جنوب وشمال
وأحسن بهاتيك التلال فانها
سارح جاء الغيث فيها بمسبل
بلاد عريضات وأرض أريضة
مفازة عين الناظر المتأمل
ومنها بطاح واسعات تزينت
بتاجام دوم والنخيل المكمل
ومنها جبال شامخات يزيناها
طرائق من أثار حاف ومنعزل
أعد ذكر يوم في " تفادك " قضيت
تجول به بين الاراك المظلل
وليل بواديها تهب به الصبا
على شاطي وسط الكيب العقنقل
ولا تنس حماما بميثاقها الذي
يدفق ماء ساخنا عند منهل
ورقص رجال في رسال عشية
صفوا بتصفيق النساء بأنمـل

وركضك في وعت الكثيب نجيبة
من النوق في أكناف ساحة منزل
وجرى الجمال السابغات كأنها
نعام نجت من قانس مقبيل
وكم أذكرتني بيت شعر خيامها
يسقط اللوى بين الدخول فحومل
وأطريني فيها غناء حمامها
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وعولت مغتما على عرصاتها
وهل عند رسم دارس من معول
وصبرني صربي وقاموا جميعهم
يقولون لا تهلك أسي وتجمل
فسليت عنها ثم قلت تأسيها
فسلى شياي من شيايك تنسل
سلام على تلك البقاع وأهلها

(١)

نسيم الصبا جاءت برياً القرنفل

وأقدس () مدينة قديمة تقع وسط الصحراء تشبه

في كثير من مناظرها الطبيعية مناظر الصحراء التي طالما وصفها الشعراء
الجاهليون من أصحاب المعلقة ، ولذا فإن شاعرنا في وصفه للمدينة المذكورة
يعيش مع الجاهليين في صورهم ومعانيهم بله معجمهم اللفظي .

وللشاعر وصف جميل للطائرة يقول فيها :

يا من يصعد أنفاسا بأنفاس
شوقا بخرطوم ذات الورد والاس
اصبر قليلا فانا سوف نحملنا
رعاة في الهوا ملومة الرأس
صعاده تتبارى في تجولها
شهب السماء التي ترمى بأقباس
طيارة صوتها عال مجوفة
زملكها (١) كذوابي الشاهق الرأس
أنانة في نزول عندما بلغت
الى المحطة تشي مشي مياس (٢)
ملوءة بكراسي طينة
بالخيش تلبس ترويحيا لجلال
تنقاد طائعة في كنف صاحبها
كدابة ذلت في كف سواس
فاعجب لها انا عنقا مغربة
جاءت تذكر عباس بن فرناس (٣)
بين الجناحين منها نبط مروحة
تدور من حولها من غير انكاس
تعطى الدخان وتنهى عن تعاملنا
بسه عليها وهذا خلف مقياس (٤)

(١) الزمك : منبت ذنب الطائر والمقصود هنا ذنب الطائرة .

(٢) المياس : الأسد وسمى مياسا لتبخرته في المشي .

(٣)

(٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٨١ .

فالشاعر يصف الطائفة وصفا دقيقا ، فهي مدورة الرأس وذنبها
كذوابي الشاهق الرأس ولها بين الجناحين مروحة تدور حولها وهي
في سرعتها في الجو تبارى شهب السماء التي ترمى بأقباس ، وبعد
نزلها في المحطة تمشي متبخترة كالأسد وهي سلسلة الانقياد في يد
طيارها كدابة منقادة في كف سواس . فهذه صور رائعة للطائفة
وتصوير دقيق لها أضفى عليه الشاعر شيئا من روحه الدعابية .. على أن
الأصالة الشعرية قد ظهرت في شعر الوصف عند شعراء غربي أفريقيا ظهور
نار القرى ليلا على علم ، إذ لا تجد فيه تلك المحاكاة العمياء للمعاني
القديمة وإنما وصفوا ما شاهدوا وأثار عواطفهم وصفا دقيقا صادقا وموفقا
بالفاظ ملائمة ومعان تتناسب مع الصورة الموصوفة بعيدا عن تلك الألفاظ
الوعرة والمعاني الجاهلية ، اللهم إلا ما اقتضى المقام إيراد من معجم
ومعاني الجاهلية كما في وصف الوزير الجنييد لمدينة " أقدر " الصحراوية .

وقد وجد الشعر البطولي أو شعر الجهاد نصيبا موفورا لدى شعراء
غربي أفريقيا ، وخاصة في الدولة الغلانية أو مملكة سكتو التي أسسها
الزعيم الروحي والديني في نيجيريا الشيخ المجدد عثمان بن فودي . فقد
وجد الزعيم المذكور مجتمعه منقسما في حل الشرك والبدع والخرافات ،
فعقد العزم على تطهير هذا المجتمع مما علق به من دنس الوثنية
والبدع والخرافات عن طريق الدعوة إلى التمسك بالكتاب والسنة ونيل
ما سواهما ، هذا في أوساط المسلمين المنحرفين أصحاب البدع والخرافات ..
أما في أوساط الوثنيين فقد كان يدعوهم إلى الإيمان بالواحد الأحد
وتوحيده بالعبودية المطلقة وترك عبادة الدكاكير .. فوجد المذكور

اضطهادا لدعوته الاسلامية والاصلاحية لدى ملوك الهوسا الوثنيين ، كما
لقي أتباعه الذين كانوا غالبا من الغلانيين من هو " لا " الملوك أذى كثيرا ،
الامر الذي جعل الجو السياسي والاجتماعي ملو " ا بالاضطرابات الشديدة
في أوائل فترة هذه المملكة الاسلامية ، فكانت الحروب تدور رحاها فسي
أنحاء المملكة والممالك الوثنية المجاورة لها .

وقد هيأت هذه الحروب الطاحنة ميدانا فسيحا للشعراء والنظام ،
فقدوا يقرضون الشعر في هذا المجال فكثير بذلك ما يسمى بشعر الجهاد . .
وكانت الاهداف الرئيسية لهذا الشعر البطولي هي تسجيل الانتصارات
الكثيرة التي أحرزها المسلمون المجاهدون ضد أعدائهم الوثنيين . وتحريض
الجماعة الاسلامية من أتباع الشيخ وإثارة حميتهم للقيام بالدفاع عن أنفسهم
وعن عقيدتهم الدينية والتنديد بأعدائهم وتخويفهم بالترهيب والانداز .^(١)

وأول قصيدة تقابلنا في هذا المجال هي الحائية التي كتبها
الشيخ عبدالله بن فودي شقيق الشيخ المجدد يحرض فيها قومه
الغلانيين ويحثهم على مناصرة أخيه المجدد وموازته في جهاده
لاظهار دين الله واطفاء جذوة الشرك وكسر شوكة الكفار الوثنيين .

وقد استهل قصيدته على نمط الجاهليين في فكرة التشاؤم
والتفاؤل ولكنه شفعها بفكرته الاسلامية :

طربت فأشجاني الطيور الكوابح^(٢)

وفرحتني منها الغيوث الروائح

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٣٣ مع تصرف .

(٢) جمع كايح وهو كل ما استقبلك مما يتطير به .

- وخوفني أيضا ذياب بـوارح
وأمنن منها الظباء السوانج
لقول النبي لا تزال جماعة
(١) على الحق منا أويجي المقارح
ألا أبلغن لحي رسالة
تعيها رجال أونساء صالـح
لعالمهم أوطالب العلم رائـم
لاظهار دين الله فيه يناصـح
أقول له قم وادع للدين دعوة
(٢) تجيها عوام أخواص جـاحـج
ولا تخش في اظهار دين محمد
(٣) بقولة قال تأتيه كفاتـج
ولا تخش تكذيبا وانكار جاحـد
وهـز جهول ضل والحق صابـح
وغيبة هـاز وضفن مشاحـن
(٤) يساعده من للعوائد راكـج
وليس لما تبنى يد الله هـادـم
(٥) وليس لا مر الله ان جاء ضارـح

-
- (١) المقارح المستقبل من الأمر والمقصود هنا الساعة.
(٢) جـاحـج جمع جـحـجـج وهو السيد الكامل.
(٣) كـنـاتـج جمع كـتـج وهو الأحمق السفـيـه.
(٤) راكـج بمعنى ما عمل.
(٥) ضارح بمعنى دافع.

وبين لهم أن العوائد بهرجت
وسنتنا لاحت عليها لوائج
ولهبو الشباب اليوم قد بارسوقه
وقامت على سوق الصلاح مدائج
وأهل الدنيا اليوم انزوى ظل جاههم
وسنتنا قد ظللتها الدوائج
ومنكر هذا الدين قد خف وزنه
ومظهره ميزانه اليوم راجج
وناصره قد صار في الناس عاليا
ومنكره للخاص والعام دانج^(١)
وان اله العرش قد من منة
علينا فمن يشكر فذلك رابج
وتلك بأن قد بين الدين في امرى
لنا نسبا نعلوا به ونظامج^(٢)
فان نحن أوياء ننصر قولـه
نفز ونحزنعماء والكل فالج
وان قد أضعناه استفاد بغيرنا
مصائب قوم عند قوم مصالح
ولو نفعت قريب فقط فيه ماردى
أبوطالب عم النبي وتـاج^(٣)

(١) دانج : من دنج الرجل أى ذل وطأطأ رأسه .

(٢) نظامج : أى نفتخر .

(٣) هو آذر أبو ابراهيم عليه السلام .

وما ضر شمساً أن نفى العمى ضوءها

(١) وما ضر حوضاً أن أبته القوامج

أطائب أرض تخرج النبت رائقاً

(٢) باذن ذويها ان أفاضت دوالج

ولو همعت ديباً لما أنبتت ولو

(٣) بسابيس نبت في الأراضى البوالج

وهي قصيدة طويلة رائعة احتوت على كثير من الحكم والمواعظ

التي من شأنها استثارة الفهم والحساس ، ولقد أعطت القصيدة شأرها

وفعلت فعلها في القوم الغلانيين وأزكت فيهم جذوة الحساس فنهضوا الى

الشيخ ينصرونه في اظهاره لدين الله فكون الشيخ بهم جيشاً قويّاً

خاض غمار المعارك مع ملوك الهوسا الوثنيين . . وقد تم له النصر

المبين في جميع معاركه ، وكان شاعرنا عبدالله بن فودي من طليعة من

سجلوا تلك الانتصارات الاسلامية من الشعراء . ففي وقعة " كت " (٤)

التي تم النصر فيها للمسلمين يقول عبدالله بن فودي :

بدأت ببسم الله والشكر يتبع

على قمع كفار علينا تجمعوا

(١) الابل الممتعة عن الشرب لدا* بها مع العطش .

(٢) السحاب الكثير .

(٣) البوالج : جمع البالج وهي الأرض التي لا تنبت شيئاً .

(٤) حوض في مدينة " غردم " .

ليستأصلوا الاسلام والمسلمين من
بلادهم والله في الفضل أوسع
توارق مع " غوبر " (١) ويثيف سفيهم
يحزبهم والله يرى ويسمع
الى أن قال :
وليس معي الا قليل أطاعني
على السر بعد الاثمين والجوع يلذع
ولما رأينا الفجر ضاء عموده
نزلنا فصلينا الى أن تجمعوا
فسرنا الى " غردم " وقد تم جمعنا
(٢) قبيل زوال اليوم والجمع يوزع
فشدنا جموع الكفر عن حوضه وقد
رأوا جمعهم مثلي جماعتنا فعوا
فظنوا محل الخيل ينصر جمعنا
وأن الربى من ناصريهم ستفزع
فغفروا اليها ثم صفوا وانطقوا
طبولهم والجمع يدنو ويتبع
الى أن تراءى لنا وزاد اقترابنا
رموا فرميناهم قولوا وأقشعوا

(١) غوبر : مدينة . ويثيف اسم سلطانها ويطلق اسم غوبر أيها على

القبيلة التي تسكنها أيضا .

(٢) غردم : موضع .

فلم يك الا أن رأيت جهامهم
قد انكشفت عن شمس الاسلام تلمع
بنصر الذي نصر النبي على العدا
ببدر بجمع طلائوك يجمع
وكم من كي جدلته سهامنا
وأسيافنا واره طير وأضياع
وكم ذى جلال صرّته أكفنا
فجزت فتوس رأسه يتقطر
طردناهم وسط النهار فلم يكن
لهم غير - غيل - في دجى الليل مفرع
لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بدادا ليوم الجمع لا يتجمع
وختم القصيدة بقوله :
فيا أمة الاسلام جد وجاهدوا
ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلاكم في جنة الخلد دائما
وراجعكم بالمز والمال يرجع
فليس لما تبني يد الله هادم
وليس لأمر الله ان جاء مدفع
فشاعرنا قد استغنى في قصيدته عن المقدمة التقليدية ، ليمبر عن
فكرته الاسلامية وحقائق عقيدته بأسلوب يراه مناسبا للفكرة ، حيث يبرز
التأثير الديني عليه . . فاستمد المقدمة من المعاني والأفكار الاسلامية

كالبدء بالبسملة تتبعها الحمدلة أو الشكر لله الفضل عليهم بالنصر ..
وبعد ذلك يسرد لنا أحداث الحرب وكيف مكّنتهم الله من أعدائهم
عندما التقى الجمعان واكتحلت الأعداء بالاحداق فبددوهم وقتلوهم
وتركوهم نهبا للطيور والضباع، وقد أعطوا فيهم السيوف والسهام والفؤوس
ثم تفرقت فلولهم أيدي سبأ ولن يقدر لهم التجمع الى يوم الجمع
لا ريب فيه .

وقد أرجع الشاعر النصر الذي أحرزوه الى الله الذي نصرهم
محداً ببدر . وأخيراً نجد أن الشاعر قد استطاع أن يورث دور فسي
ميدان الجهاد في استنهاض الهمم والهباب مشاعر الحاس والاندفاع في نفوس
المجاهدين مصوراً مشاعر المجاهدين وأحاسيسهم بعد أن نذروا أنفسهم
جنوداً في مواكب الاسلام . وعبر عن روح الجهاد التي يجب أن يتحلّى بها
المسلمون بعد أن غمر نفوسهم نور الايمان وبددوا بوهج العقيدة
ظلمات الصدور ، وذلك في الأبيات الثلاثة الأخيرة من القصيدة ..

وفي وقعة " كسوة " (١) يقول محمد بللو بن عثمان بن

فودي :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في " كسوة " الحفر

قد تركناهم بها مثل الهب

أو كأحيطام الهشيم المحتضر

ولكم كثر به فرساننا

في صناديد " كهاوا " (٢) المنكسر

(١) موضع .

(٢) موضع .

اذ رجعنا لهم وقت الضحى
بجنود كجراد منتشرون
وكان الخيل في أرجاءها
هدأ تخطف أشلاء البقر
فلقيناهم وأولنا بهم
برماح وسهام كالمطر
واشرأبوا فرموننا مثلها
فأقننا هكذا حتى الظهر
فدعونا : يا نزال للوغى
فدخلنا حصنهم وقت العصر
فسقيناهم منايًا فسروا
سهم أمثال جذع منقعر
ثم رحنا غانمين كأننا
قد رجعنا من جواش للحفر
فاحمدوا الله على احسانه
لأولى الاسلام يا أهل العبر
فهو مولانا ووالى أمرنا
هكذا المولى ونعم المنتصر (١)

ومحمد بللوا يستغني عن المقدمة التقليدية للقصيدة في

(١) انفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ١٤٧.

هذه المقطوعة ويعتمد أسلوبها آخر للاستهلال قائما على المحاورة وإثارة التساؤل وهو قوله :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في كنو الحفر

وفي هذا الأسلوب حث وتنبيه وإسراع في انتشار أثر القصيدة ..

ونجد في القصيدة ذكرا لأدوات الحرب كالرمح والسهم ، فقد

وصف كثرة الرماح والسهم واقتحامها على الأعداء ومداومتها لهمسم كداهمة المطر من ينزل عليه ..

ويبدو وتأثر الشاعر بالقرآن الكريم في معجمه اللفظي وصورة الفنية

من أمثال استعماله تعابير قرآنية وردت في سورة القمر كقوله : " كأحطام
المهشم المحتضر " وقوله : " بجنود كجراد منتشر " وقوله : " فروسهم
أشال جذع منقعر " (١)

كما تبدوا أصداء الدين واضحة في البيتين الأخيرين حيث يأمر

الشاعر أهل الاسلام أن يحمدا الله على إحسانه بما حقق لهم من نصر على
أعداء الله ، فهو تعالى مولى المجاهدين وناصرهم وهو نعم المولى ونعم
النصير ..

ولم يكن الشيخ عثمان بن فودي في جهاده باغيا أو خارجا عن

تعاليم الاسلام في الجهاد .. فهذا هو ذا ابنه محمد البخاري في قصيدته
الحماسية التي بدأها بمقدمة غزلية وجهها الى " ابرا " رأس الوثنيين وفيها
نتبين منهج الشيخ في جهاده :

(١) سورة القمر الآيات : ٧ ، ٢٠ ، ٣١ .

فيقول محمد البخاري بعد مقدمته الفزلية : (١)

أيا راكبا بلغن * ابر * عنى الذ
نصيحة والنصح خير المقــــــــــــــــال
فان كنت ترجو بلوغ الأمانــــــــــــــــي
بنصر الغواير أهل الضــــــــــــــــلال
فلن يجعل الله للكافر يــــــــــــــــن
على المؤمن سبيلا بحــــــــــــــــال
فمرهم اذا شئت أن يــــــــــــــــلموا
بصدق والا باعطاء مــــــــــــــــال
والا فانا سنناتيكــــــــــــــــم
نزع الكتائب مثل الجيــــــــــــــــال
تذود الوحوش عن الخرق فيها
أسود الوغى فوق جرد طــــــــــــــــوال
مقاديم في الروع لا ينكــــــــــــــــون
اذا الخيل جالت بهم في العــــــــــــــــوال
بأيمانهم مرهفات طــــــــــــــــوال
وبيض رفاق وزرق نصــــــــــــــــال
ويهديهم خير ســــــــــــــــف وعال
حيا وصبرا وبذل النــــــــــــــــوال
وأفضل رأيا اذا ناب أــــــــــــــــمر
واشجعهم حين يدعى النــــــــــــــــزال

(١) الميل على حب النساء ص ٧٠

.. وهكذا نفهم من القصيدة منهج الشيخ عثمان بن فودي في
جهاده الوثنيين ، فهو يدعوهم الى الاسلام أولا فان أبوا فدفع الجزية
فان أبوا فقتال .

وهو في هذا المنهج مقتد بسلفه الصالح في الفتوحات
الاسلامية ..

وفي القصيدة أصداء للدين تظهر في تأثر الشاعر بقوله تعالى :

﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب
حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ الذين يترصدون بكم فان كان لكم فتح من الله
قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم
ونمنعكم من المؤمنين قاله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ (٢)

هذا ، وقد نهج شعراء العربية بغربي أفريقيا في هذا الفن
منهج القدامى فاذا وصفوا الجيش وصفوه بالكثرة المفرطة كقول محمد
بللو :

بجند يملأ الأركان طمرا

ويكسو السهل والحزن الشابا

(١) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٢) سورة النساء الآية ١٤١ .

وقوله :

ان زحفنا لهم وقت الضحى

بجنود كجراد منتشـر

وفي ذلك يقول محمد البخارى :

لجب رحيب السرب من صنهاجة

يتوقدون توقد النيران

وكذا قوله :

ساروا الينا واثقين بطولهم

بمرمر كالليل ذى الاركـان

واذا وصفوا شجاعة الجيش وبسالته شبهوه بالأسود ، يقول

محمد البخارى :

بأنا قد أتينا أهل فوبر

يجمع مثل أساد التـمام

بأيديهم سيوف راسيات

مترات الجاجم والبنـمام

ويقول في ذلك أيضا :

تذود الوحوش عن الخرق فيها

أسود الوغى فوق جرد طـوال

ويقول في الموضوع نفسه : عبدالله الوزير :

يقودهم " بل " في خيل وفي رجل

بين الليوث كليث نائر ضـمارى

ومن مظاهر محاكاتهم للقدامى في هذا الفن أيضا طريقة
وصفهم للخيل .. فهي هو محمد البخاري يشبه الخيول في سرعتها
بالحمام فيقول :

وتحتهم خيول ضامرات
طوال جافلات كالحمام
ويقول أيضا عبدالله الوزير :

على كل جرداء وأجرد شيطم
تراه كصفراء الجراد اذا استوى
قد اعتاد غارات الصباح تخاله
اذا ما جرى فوق الربا طار في الهوا
ويذكرني هذا ببيب سلمة بن الخرشب :

فلو أنها تجرى على الأرض أدركت
ولكنها تهفو بهتال طائر
ومن الظريف أنهم يشبهون الخيول في حروبهم بالهدأ ، فيقول
محمد بللو :

وكأن الخيل في أرجائها
هدأ تخطف أشلاء البقعر
وتابعوا القدامى أيضا في الحديث عن الضرب والطمع وآلات الحرب ،
وان لم يتأنقوا في ذلك تأنقهم ، فهي هو ذا محمد بللو يقول :

تصيح الردينيات في حجباتهم
وتسقيهم كأس المنايا المغمرا

ويقول في ذلك أيضا :

تداعى أولوالاسلام حين تذاثروا
بكل حسام يفرق الهام مشهورا
وكل رديني وأسر قعضب
على كل جهد من نجائب بربر
ورجلهم يحمى سهاماً كأنهم
ندى صاب في جوالنهار وأمطرا

ويقول أيضا عبدالله الوزير :

نصرالنا برماحننا وسهامنا
وسيوفنا بيطونهم والسرأس
أولادهم ونسأؤهم مسبيبة
ورجالهم مقتولة بالفساس
ويقول محمد البخاري أيضا :

بأيانهم مرهفات طوال
وببيض رقاق وزرق نصال
كما تابعوا القدامى في وصفهم مشاهد الهزيمة من قتلى وجرحى
وأسرى واستيلاء على الغنائم ، فمثلا يقول عبدالله الوزير :

وكم من كسي جمدلته سهامنا
وأسيافنا واره طهر وأضبع
وكم نى جلال صرعته أكفنا
فجزت فئوس رأسه يتقطع

ويقول أيضا :

لكل الجهات قد تفرق جمعهم
بداذا ليوم الجمع لا يتجمع
فخلوا لنا أموالهم ونسألهم
على رغبتهم والله يعطي وينع
ويقول في أسر قائد الوثنيين :

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم
مقيدا بينهم في ملابس العسار
ويقول أيضا :

فلما رأونا لا نمل جهادنا
لقتل وأسر جلهم خاف فارغوى
ففروا إلى البلدان شتى وجمعهم
كجمع أناس كان في سبأ بوى
ويقول أيضا :

ففروا عن جماعتهم وجازوا
مسيرة خمسة في نصف يوم
وفي ذلك يقول محمد بللو :

فأين سراتكم سيدى بن برهسى
ونجل كبير مشثوم قدار
(وأى صدى) تركناه صريما

وفي لحبيبه والقحف ازورار
ضربنا قرن كبشكم فأضحى
أجم كأنه فيكم حمار

فحزنا يا تسوارك أهل " أزين "

ففروا كي يخلصكم فــــرار

فسيروا أربعين ونصف عام

ففروا كي يخلصكم قــــرار

وقد ارتبطت صورة القتل عندهم بالطير والضباع وهي مرتبطة

في ذلك بالشعر القديم فمثلا يقول محمد البخاري :

قوم هم تركوا أباك مجــــزرا

يوم التقوا للنسر والضبعــــان

ومن ذلك أيضا قول عبدالله الوزير :

وكم من كسي جدلته سهاــــنا

وأسيافنا وراه طير وأضــــبع

هذا ، وقد رافق الشعر أغلب معارك الاسلام في غربي أفريقيا،

فكان ينبض بالقوة والتمكن ليشير في نفوس المسلمين دوافع الاقتحام
والتحدى لصنع المستقبل المنشود الذي يبرم الله للأمة المسلمة فيسه
أمرشده يحز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته . . ولما كان الشعر
سلاحاً اعلامياً معبراً ، فإنه كان قادراً على التعبير عن قيمة الانتصار من
خلال ترسيخه قيم الثبات على المبدأ وإثارة روح الاقدام واستطابسة
الموت ، التزاماً بمبدأ الجهاد والشهادة في سبيل العقيدة ، ولفت أنظار
المجاهدين الى أن قتلاهم شهداء ومصيرهم الجنة حيث يلقون سيــــد
الشهداء وليكن الموت في سبيل الله اذن أسس أمانيتهم ومنتهى غايتهم . .
ففي معركة " كت " التي خرج منها الاسلام منتصراً ومظفــــرا ،

وقف عبدالله الوزير يتغنى بالنصر الذى أحرزه المسلمون وفيها يقول :

فيا أمة الاسلام جدوا وجاهدوا
ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع
فقتلكم في جنة الخلد دائما
وراجعكم بالعزو المال يرجع
ويقول في قصيدة أخرى :

وان سر " غوبر " و " التوارق " ذاك وال
قتال سجال ليس مرجعنا سوا
فمن قتلاهم في جهنم دائما
ومن في جنان الخلد ليسوا على استوا
ومجمل القول أن الطابع المميز لشعر الجهاد في غربي أفريقيا
يتشثل فيما يأتي :

(١) الروح الجماعية :

حيث يستعمل الشعراء ضمير الجمع " نحن " المعبّر عن روح الجماعة، وهو ما وجد فيه الشعراء القوة والصلابة ، كما وجدوا في صيغة الضمير " نا " القدرة على الاندفاع بشكل أوسع ، فالأفعال " رأينا " و " زدنا " و " نجاهد " وغيرها من الأفعال تشكل المحور الذى استند اليه الشعراء في التعبير عن الروح الكبيرة التي تجمعهم والاحساس الأشمل الذي يتحرك في أعماقهم ويشير فيهم الاندفاع نحو الهدف المنشود .

(٢) الطابع التاريخي الجغرافي :

ويتصل بهذا الجانب الأشعار التي ذكر فيها أسماء الأماكن

والحصون والحياض والأُنهار التي دارت رحى الحرب حولها أوفيهها ..
وتبقى القيمة التاريخية الجغرافية لهذا اللون من الشعر سمة مميزة له تحكى
قصة الايمان ومسيرة نضال الانسان المسلم الذى أدرك كنه حياته واستشعر
قيمة ذاته من خلال هذه المسيرة ، وكانت النماذج الشعرية التي نظموها
وثائق تاريخية جغرافية مهمة ..

(٣) استلهام الصور القديمة في الحرب :

لم يخرج شعر الجهاد عند شعراء غربي أفريقيا في صورة الشعرية
للحرب عما كان عليه في الشعر القديم .. فقد ظلت الصور القديمة
تستحوذ على الشعراء وتجذبهم ، وظلت المنبع الوحيد الذى يغترفون
منه صورهم الفنية ، فاذا وصفوا البطل وصفوه بالأُسْد كما رأينا ..

وصورة القتل مرتبطة عندهم بالطير والضباع ، وهي صورة قديمة قدم
الشعر العربي ، وهم ينقلون هذه الصور نقلا دون أن يضيفوا اليها ظلالا
جديدة بحيث تصبح صورهم جديدة أو كالجديدة ..

على أن شعراء الجهاد لم يكونوا يحترفون الشعر ، بل كانوا
من أنطقتهم الأحداث ولم يكن لديهم الالمام الواسع بالتراث الشعري
لعصور الشعر العربي كلها ، ولا ذلك البصير الضخم من الألفاظ والعبارات
والصور التي كان لا بد أن يلم بها الشاعر المحترف .. أضف الى ذلك
حالة الشاعر النفسية وطبيعة التجربة التي يعبر عنها ، فضلا عن الظروف
والملايسات التي كانت تحيط بنظم القصيدة والتي لم تترك للشاعر فرصة
الاسهب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها ..
فالشاعر الأفريقي كان فارس حلبة يتحمل عبء الجهاد فهو مسجاهد
وشاعر معا ..

على أنه قد توجهت غايات شعر الجهاد نحو تعزيز قيم العقيدة
المتشكلة في الدعوة الى الثبات على المبدأ والحض على التضحية بالنفس
والنفس مقابل الجنة .. فارتبط موضوع الحرب بالدفع عن العقيدة وترسيخ
هادئها ، وقد شكلت الخيل والسلاح عدة الحرب كما رأينا ..

تناول شعراء غربي أفريقيا شعر الحنين ضمن أغراضهم الشعرية
غير أن تناولهم لهذا الغرض يعد قليلا بالنسبة الى الأغراض الأخرى وقد
تبينت أصالتهم تبينا واضحا في هذا الغرض فها هو ذا الشاعر السنغالي
المصطفى آن يعبر عن حبه لوطنه وحنينه اليه لما نأى عنه الى ساحل
العاج فيقول : (١)

هوى في اليوم أن أحظى بإدلاجي
لأهل مبتعدا عن شاطئ العاج
فانني صرت مشتاقا الى وطني
رمانى الشوق في ضيق واحراج
قومي بعيدون عن سمعي وعن بصرى
أنا الغريب بقلب جد هياج
كأنني كنت طفلا تاه مبتعدا
عن أهله ضمن فصل ليلته راج
اني أجول ولا أرضا سلوت بها
وسرت تيهها كولا ج وخراج
أرض بها الزهر حول الماء مبتسما
فالموج من مائها يعلو كأبراج

كأنما الورد يستجدي معانقــــة

للند فوق رفيق النسيج ديباج

ثم يذكر خصال قومه فيقول :

من ثم صربي الأولى طابوا مؤانسة

للعلم كم فتشوا عن أى انتــــاج

كل يحاول تثقيفاً ويعشقــــه

كم بادروا نحو عرفان بأفــــواج

هم فتية لا ينو قلبي يحبذهم

وشوقهم طنّ في لحمي وأوداج

اني لأشتاق من قومي شمائلهم

فالكل من قلبه يحنو لمحتاج

أيضاً أسر بأخلاق لجيرتهم

أخص منهم فتاة طرفها ساج

عهدي بها في مصيف كنت زائره

بجنب ماء بعيد الغور شجاج

اني تعبت وأحزاني محركمة

قلبي الكئيب وهل أحظى بأفراج

لكنني محسن ظني وفي ثقتــــي

بالله بارئنا من ماء أشــــاج

ما بي قنوط ولا يأس لرحمتــــه

لأنه جل يهدي خير منهمــــاج

ان الرجوع الى أهلي وفي وطنــــي

هو المنى في فؤادي الخائف الراجي

ومن المواعظ ان أردت قبورها
لا وعظ أعظم منه أبغ سبيلها
ومن النسيئة قد كفى أخبارها
السوقي لكن ان أردت فضولها
ومن الكلام يحوس من فلا نهها
يكفيك " جون " مَوْرَث " جَاغ " مَدَلَا
ومن القباب كفى بها أشجارها
أحسن بها من أن تكون مقيمها
لا سيما في الصيف لما قاربست
شمس النهار على الجبال تسيلها
أسك عنانك لست تبلغ فضلها
وخواصها ما قلت كان قديمها
وكفى بها شرفا اعتنا قدمائنا
السادات قبل بها كفاك دليها
لي في المعاهد صبوحة لكنهمها
ليست تعشر صجوتي في يولا
يا رب فاستر أهلها الأحياء واغ
غفر أهلها الأموات خيرك نيلها
لا شك أن الشاعر كان محبا لبلده حبا جما ، ويدعو أن هذا البلد
يؤمّن كان بدائيا لم تدخله أسباب المدنية أو التطور العمراني الذي
يجعله جميلا ومحبا الى كل الناس ، ومن هنا نجد الشاعر يحاول أن يوجد
بدائل لأسباب العمران التي تشد النفوس الى البلدان ، فجوه جميل

ولطيف وفيه ظلال وارفة أما قصوره فهي التلال وما أشبهها بالقصور، وطباؤه
هي الشياة والمزامير الموسيقية هي رنة تغريد الطيور وملوكه هم الشيوخ
أهل العلم .

وان رمت المواعظ فيه ، فحسبك قبوره موعظة وان كنت صاحب
فضول فستجد بفيتك في أخبار السوق من أهله وهكذا .

وأخيرا يؤكّد الشاعر قصور همتيه عن ادراك شأوه وحصر محاسنه
وأخيرا يدعو بالستر لمن يقطنه من الأحياء وبالغفران لمن ماتوا فيه . .
وقد أكثر شعراء غربي أفريقيا من الشكوى الى الله فخرج الهم ومنفس الكرب
لسوء أحوال عصرهم وخاصة بعد دخول المستعمرين واستقرارهم في البلاد
واستئثارهم بكل شيء ونجاحهم في تفريق شمل المسلمين.. مما أدى الى
ضعفهم وضعف وازع الدين في النفوس حيث تزلف بعض التحذلقين
الى المستعمر البغيض يتلقه ويتذلّل له ويتآمر معه ضد بني قومه
وطبيعي جدا في مثل هذه الحياة الاجتماعية المزرية التي فش فيها
الفسق والفساد ، ولم يحفظ فيها للدين حرمة ولا ترك للعرض حمقى
- أن يهرع العلماء الى التضرع الى الله ليكشف عنهم وعن المسلمين
جميعا ما هم فيه من ذل وغمّة، وقد تقبل الله دعوتهم فتحررت البلاد
الاسلامية كلها في أفريقيا وآسيا من قيود المستعمرين وان تركوا مخلفات
لهم مثلة في عملائهم من أبناء البلاد المسلمة ينخرون كالديدان في
عظام الأمة والله المستعان . . وها هو ذا الوزير الجنيد يشكو من تلك
الحالة الاجتماعية السيئة بعد دخول المستعمرين فيقول :

ظمن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلّول تنادى

وعلام تيكبي من بكاء حمامة
في أبكة تشدو على التردد
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضراً وبها
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لا تذا على الأعواد
قامت تخاطبني فمز كلامها
ولكم سكوت معلن بمسار
وتدير عينيها تشير بذاك و
ر الدهر غير ما ترى في النادي
وتلونت ففهمت منه تلون ال
أحوال في الدنيا فمز رقادي
ناديته يا أيها ذا النادي
فأجابني يا أيها ذا النادي
لما سكت دنت الي حمامة
مضجرة تبدو ككون رمسار
فسألتهما أيمن الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت أخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكابر
مالي أرى دون الكرام وضيفة
قالت علتها دولة الأوغار

فسألت ما خلق الذين تخلفوا

قالت ذوو فحش ذوو أحقاد

لا تكذبيني يا حمامة اكشغبي

قالت ذوو حسد ذوو أفساد

والقصيدة طويلة وجميلة لنا معها وقفة عندما نترجم للشاعر ان شاء

الله . ولشاعرنا شكاوى متعددة في هذا الصدر نكتفي بما ذكرنا

وقد ضرب على أوتار شكاوى الحالة الاجتماعية السيئة وفساد الأخلاق

وانتشار الفتن ، الشاعر السنغالي الحاج المنصوره فيقول :

أشكو الى الله ما بالقلب من حزن

وما أقاسي به من مضجع خشن

أنفقت كنز مداراتي لنيل سلا

مة ولم يفن شيئا في بني زمني

لولا المروءة أخت الدين ما انبسط

روحي الى أحد خوفا من الفتن

ولا أخالط من يردى بصحبته

ديني ودنياي من غش ومن دخن

ما زلت آمل ذا ود يوافقني

به أرمق ودى غير مضطغن

والأمر بالعكس اني كنت في سنة

وأيقظتني صروف الدهر من وسن

رمت السلامة فانسدت مسالكها

ان السلامة أمر غير متهم

ويقول في مقطوعة أخرى :

زمان أناس في مكاشرة الشورى

تمالوا وصدق القول فيه غرور

وتنكيت عهد والأمانة رأبهم

وتأويل أقوال تشق صدور

زمان اذا من الكريم خصاصة

رموه وهو عند الاله خطير

ويتصل بالشكوى من فساد الحياة الاجتماعية وترديها والسخرية

من المستعمرين مقطوعة الشاعر النيجيرى وزير سوكتو عبد القادر بن محمد
التي يصف فيها الحياة في عصره ويسخر من المستعمر الدخيل الذى أصبحت
السلطة الحقيقية في يده ويحكم بالاستبداد تحت ستار الحكم غير المباشر
وذلك بواسطة الأُمراء الذين استغلهم وصيرهم أداة لقمعه وارهابه ، فيقول :

عسا الليل حتى اصطاد ببر وشعلب

وناوشت الآساد ضب وأرنـب

تفر أفاعي الأرض من خوف ضفـدع

وتزرع هند في الصباح وزينـب

وأبصرت أقواما مع الليل أنزلوا

أهاليهم في الدشت والطبي تذهب

فولت فرارا شم فاءت وأقبلت

فياليت شعرى هل رأى الطبي أسرب

وأما ملوك الأرض فيما لديهم

فما سبهم ضر وما خاب طالب

ولكنهم في نعمة أي نعمة

بلادهم فيها أمان وزغرب

فشا عرنا يحاول أن يصف انقلاب الأُمور رأسا على عقب بدخول

المستعمرين وفساد أخلاق المواطنين الذين كانوا يتزلفونهم ويستغلون

في اذلال شعبهم بسبب ما ينالون من المستعمر من سلطة خاوية مسن

أدنى معاني السلطة. وبذلك أصبح الشريف ضيعا والضيع شريفا

وانقلبت الموازين بسبب سياسة المستعمر الرعناء .

وقد أحسن الشاعر في وصف الحالة حيث جعل البير والشعلب حيوانين

مفترسين وتلك ليست شيمتهما ، كما جعل الضب والأرنب يناوشان الآساد

ولمست مناوشة الأسود ديدنها ، كما جعل الأفاعي تفر من الضفادع

وجعل النساء اللاتي يخدمن أصبحن يخرجن لفلاح الأرض والزراعة ، وهكذا

استطاع أن يعطي صورة صادقة لمجتمعه بعد دخول المستعمر الدخيل

البغيض ..

ونكتفي بهذا القدر من شعر الشكوى والحنين ، على أن أصداء

الدين التي ظلت تلازم الشعر العربي في غربي أفريقيا بجميع أغراضه

لم تتخلف هنا أيضا كما رأينا .

لم يغفل الشعر العربي في غربي أفريقيا شعر المناسبات ،

فكثيرا ما استجابت قرائح الشعراء لمناسبة من المناسبات السعيدة أو

الحزيمة ..

على أن جانبا كبيرا من شعر المناسبات غير متشح بوشاح الشعر،

وكثيرا ما يتسم بطابع المنظومات التاريخية التي تمنى بتسجيل الوقائع

التاريخية أكثر من عنايتها بالصورة الفنية .. فما قيل في التهنئة منظومة
الشيخ أبي بكر غسي يهنئ الحاج محمد السنوسي شروما (Ciroma)
يوم كان ولي العهد بعد رجوعه من الحج في سنة ١٩٥٣م حيث يقول :

غادرتنا نيكى فراقك مالنا
حتى تعود تبسم وسرور
يا ضعفنا يوم الوداع بياكم
والناس صرعى كلهم مأسور
حتى عزمت فمنهم متفلس

ومشيع ومعلول وصبيح
وفيها يقول ان الشرق كان يضيء عندما يسم نحوه السنوسي
وترك الغرب يشرق من الشجى ان أصبح مهجورا .. وقد أشرك
الشاعر بعض الظواهر الكونية في الفرح والمح بهذا القائد المسلم
فجعل الأفق والطير سارة لمجاورته لها وهو يطير في سفينة الهواء
الى الأراضى المقدسة وأن أهل مكة قد فرحوا لمقدمه وأرخوا به ولنستمع
الآن الى قيثارت :

الشرق يشرق ما قصدت تجاهه
والغرب يشرق ان هو المهجور
والأفق سريما مررت وطيره
والأرض تسقى للهواء تغيمر
حتى نزلت أمام ربك شاكرا
فيما حباك وخصك المشكور

لبيت دعوته وأنت مهلل
متضرع متجرد محسور
أديت واجبه بأحسن حالة
أبشر بدينك انه مأجور
سكان مكة أرخوا بقدمكم
اذ فاز منك شريفهم وفقير
وقصدت خير العالمين بطيبة
مع صاحبيه وعمك التنوير
ردوا السلام عليك حين بدأتهم
ودعوا لكم والحافظون ظهير^(١)

وما هو من التهاني بسبب قصيدة الشاعر السنغالي أحمد عيان سه
بمناسبة قدوم الجنرال الفرنسي دغول (De Gaulle) الى السنغال
بدأ القصيدة بمقدمة في وصف بعض المناظر الطبيعية من نهر وبحر وزهور
يقول فيها :

لقد أتى عبقرى الدهر سنغالا
يا نهر فاجر الى الصحراء أميال
ولتسقى من معين الماء صافية
عذبا زلالا ولا تسبح به آلا

(١) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ص ١٩٨-١٩٩.

الى أن يقول :

هذا دغول أتاكم فاضربوا فرحها
له الدفوف واخلوا القيل والقالا
يعد في كل حال ما يناسبه
فافرّح بمقدمه واشرح له حالا
يعين كل امرئ فيما يحاوله
يعطيه من أمر الاستقلال ما قال
قل مرحبا قد أتى أم القرى أصلا
وقم له حين زار القصر اجللا
أهلا بطائفة في الجوتحمل من
قد فك عن شعبنا قيذا وأغللا
رئيسهم لكثير القول مجتنب
تراه يوما لما قد قال فـ
حب المواطن من ايمان صاحبها
لذاك أحببت أوطاني هنا حالا
ولتعمروا بلدا تستوطنون به
ولستملأوه بساتينا وأـ
بذاك فابغوا رضی الرحمان واتبعوا
مراده في بقاء الناس أجـ
لا تفشلوا بنزاع سوف يهلككم
ستمسكين بما المولى لكم قال
ان دام هذا سعدتم في تواصلكم
أولا شقيتم وكنتم بعد ضللا

شأنهما أن يهلكاهم ويفشلاههم فتذهب ريحهم . وكل هذه النصائح
مطالب أساسية في ديننا الاسلامي .

وأخيرا يرجو الشاعر من المولى العلي القدير أن يجعل بلده مستقلا
بكل ما في كلمة الاستقلال من معنى قولا وعملا حتى لا يكون استقلال
البلاد مجرد حبر على ورق . . ومن قبيل شعر المناسبات تقریظاتهم
الأدبية ، فيها هو الاستاذ عبدالله بن يوسف النيجري يقرظ ديوان
الشاعر عم ابراهيم ^(١) بهذه الأبيات بعد أن قرظه بمنثور الكلام
فيقول :

أحدیقة الأُ زهار للقاضي عمر

ديوانه مجموعة باهي الدرر

أم هذه شمس الضحى قد أشرق

أم أنجم الجوزا سناها قد بهر

أم ذی صحائف كونت من عجد

فتناسبت فيها المعاني والصور

أم ذاك ديوان لا وُحد دهره

شمس العلا بحر العلوم اذا فخر

هو أُوحد الحکام تاج رؤسهم

مغني اللبيب اذا بدا واذا حضر

جاءت قريحته بنظم فرائد

قد كان يذخر كنزها فيما دخر

(١) سمي الشاعر ديوانه بأحدیقة الأُ زهار .

سرحت طرفي في محاسن روضه الـ
باهي فذكرني بخاتمة الزمر
وحديقة الأدب البهي رواؤهـ
قد أينعت منها الأزهـر والشمـر
لله ما أوفى محيط عبابهـ
جمع المطول والوجيز المختصر
قل للآلى زعموا كفاية غيسره
هيهات هل تجدى النجوم مع القمر
وبروجه في العلم شامخة البنـا
بشهر بلدان وأعلام غرر
أتظن أن الوصف جاوز حده
عند العيان يصفر الخبر الخبر
فاضرب له ما قيل : كل الصيد في
جوف الفرا مثلاً تواتر واشتهر
أخباره في الخافقين حميدة
وإذا زكت شيم الفتى حسن الأثر
ومضاؤه في الحكم والاقـدام قد
سارت به الركبان في بحر وبـر
وسعوده سعدت بها أياضـا
وقضاؤه من أمه أمن الخطـر
لله جودة علمه وذكائـه
في حل ألفاظ الغريب من الأثر

حفظ الاله بقا^١ه وبه^١ا^١ه

مصحوب عزفي البداة والحضر

وجزاء مولانا لحسن طباع^١ه

أسنى الجزاء^١ مدى العشايا والبكر

وحياتكم ما زلت مذ فارقتكم

مترقبا أخباركم فيما خب^١ر (١)

ونلاحظ أن الشاعر قد تجاوز تقريظ الديوان الى مدح صاحبه

وعلى كل حال فان التقريظ نوع من المدح . . هذا ومن التقاريس

ما قاله الحاج ابراهيم بن الحاج محمد التسليمي الطوبوي السنغالي

في تشطير الشيخ كشمه لبرده البوصيري ، وها هي ذى نماذج منها :

لما وقت على التشطير أزعجنني

شسوق وهيجنني ما فيه من حكيم

وقلت ذا النظم بحر ليس يحبره

الا زكي خلي الذهن من وهم

فخضت فيه وأخرجت الجواهر من

لجاته ومثوج اليم في عظم

يرمي بحافته در البديع ويا

قوت المعاني فيما للبحر من نعم

(١) الثقافة العربية في نيجيريا ص ٣٤٨-٣٤٩ .

فان مدح النبي المصطفى سبب

لشربه والورى في شدة القحـم

خذوه يا أيها الأدياء واغثـروا

(١) عيوبه فالرضى من أفضل الشيم

وقد قرظ التقريظ المذكور ابن عم الشطر الحاج المختار

كشمه ، فقال :

على تقاريطكم يا شبعة الكـرم

أغير قبل انصداع الفجر عن قـم

نهبتهم رونق التقريظ قبل ونس

تاج الجواهر أضحى القول في حـم

كما أغار خيول النهب مصحـمة

شيخ العلى في تلاد البرد لم يـم

فزوج العزب بالعزباء فادعهما

زوجين والزوج في ذا الحكم لم يـم

شن لطبقة كفوء دفء أحدهما

شطر من البرد أوشط من العـدم

داعى الهوى وداعى الوجد صوتهما

سيان لا فرق بين اللحن والنغم

يشنى البوصيرى في اعجاز برده

على مشاطره في الأجر والقـم

(١) الأدياء السنغالي العربي ج ٢ ص ٢١٦ .

سبقت الى الشيخ هونا كل ما نسجت
أيدي الغنون فأضحى جيد الجدم
أقلامه اجعل إلهي وفق نيته
وسائل الخريبين العرب والعجم
لله درك من قزم شمائله
(١) وازت شمائل سراليد* والختم

وبهذا التقريظ نختم حديثنا عن شعر المناسبات في شعراء
شعراء العربية بغربي أفريقيا .

وقد نال المديح النبوي نصيبا وافرا من بين الأغراض الشعرية
التي تناولها شعراء العربية بغربي أفريقيا ، ولا غرو أن يتجهوا نحو
هذا اللون من الشعر ، فهولون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية
وباب من الأدب الرفيع الذي لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والاخلاص
وتعان في حب ذات الحبيب المصطفى البشير النذير الذي بعثه الله
رحمة للعالمين . .

وقد راح شعراء هذه البلاد ينظمون قصائد طوالا في مدح
الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه تقربا الى الله ، وتعبدًا ، واشباعا
للجانب الروحي في حياتهم . . وكانوا في ذلك بين مستلهمين ومعارضين
لقصائد سبقت في هذا الباب ، من نحو قصيدة البردة لكمب بن زهير
وميمية البوصيري الموسومة بالبردة أيضا . . وكانوا في احتذاء خطى البردتين

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٢١٧ .

بين مشطر ومخمس ولنبدأ بالمدائح التي لم تتسم بسيا المعارضة، فيها
هو ذا الشاعر السدغالي الحاج مالك سه يقول في مدح المصطفى عليه أفضل
الصلاة وأتم التسليم :

أهدا بروق تحت جنح الظلام
ام وجه ميتة أم ربوع شمام
ان الربوع بشارتي وامانتني
وربيع قلبي وهي خير شمام
والدمع ان بعدت ربوع ربوعنا
جار وجارج منحري بسهم
مه عاذلي لوحزت علما لم تلم
هل عذل مثلي لم يكن بحرام
ملا الفؤاد قضاة شوقي والهوى
ألما ووجدا يا لطول هم
يا غاديا يعلو السناد فبلغن
سلما وسل عن جبرتي بسلام
فاربع على مجنون ليل ان لبي
دأء دويا ما أبيل سقام
واقرا سلاما طيبا تغشيه من
حب الى ناس هديت هم
بين لهم تبيين برصداق
اني بهم حلف الجوى وغرام
يا رب ليل بست سامر أنقد (١)
متجاوا متساجلات حم

ارض الكواكب في الصريم كأنها
شدت بأهدابي صمام صمام
عتم ظراف كمل لكنهم
لم يعرفوا التقوى بوقت هشام
عدل كرام معدنا لكنهم
نالوا لدى التقسيم خرسهم
الطيبون معاقدًا لكنهم
من جودهم قطرات غيث غمام
لا عيب فيهم غير أن جموعهم
سم العداة سمود كـل ادم
عسل صفاة معتقون نثالهم
ينسون أهلهم لطيب مقام
وهم النجوم لمقتد بسائهم
بدر الدجى منه انجلا ظلام

واستمر الشاعر على هذه الوتيرة فوصف الرسول صلى الله عليه وسلم
بالجود والكرم والهداية . . . الى ان ختم القصيدة بطلب الغفران ثم
الصلاة والسلام على النبي وآله وأصحابه . .

ومعاني شاعرنا في المديح النبوى مطروقة اتكأ فيها على أوصاف
المداح قبله . ولنستمع الآن الى قيامة الشاعر النيجيرى عبدالرحيم
الذى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فبدأ بالنسيب فالوقوف على الاطلال
فوصفه عليه الصلاة والسلام بالجود والكرم وذكر شي من سيرته العاطرة

واسرائه ومعراجہ ثم ختم قصيدته بالتوبة وطلب الغفران . . ثم
الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

أرى برق الغواية إذ تراءى
بأقصى الشام زودني بكـ
وما عبر الصبا النجـدى الا
وامطر ناظري دما ومـ
وأكسبني الهوى العذرى هـ
وسقما لا أرى لهمـا روا
وأمرضني الطبيب فيا لقـوم
طبيب زادني بـدواء داء
فيا للعاذلين وطول عذابي
جعلت لمن أحبهم فـدا
أكتم عنهم العبرات وجـدا
وادراء السلو لهم رـيا
مضت أيام جيرتنا بنجـد
فأصبح كل ما وهبت هـبا
أنكرى الاخاء بغير جـرم
علام وفيم تنكرني الاخـا
فدعني والذين أرى حياـتي
وموتي بعدما رحلوا سـوا
بحقك هل سألت طول نجـد
فلم يجدوا لفرقتنا التقـا

وهل لك بالخبا المضروب علم
فتعلمني بمن ضرب الخبا
وكيف أسائل الركبان عن
أقام بذى الأراك ومن تـ
وفي أكناف طيبة هاشمـ
تصرفه الساحة حيث شـ
امام المرسلين ومنتقاهم
حوى الخيرات ختما وابتداء
تاهى كل فخر في فخـ
ولم نلن لمخبره انتهـ
ويستمر الشاعر فيذكر اسراءه ومعرجه فيقول :
كفته كرامة المعراج فضـ
بها في القرب ساد الانبياء
سرى من مكة بيارق عـز
لاقصى مسجد وعلا السما
فسربه الملائكة ابتهاجـ
وصلى خلفه الرسل اقتـ
وكلم ربه من قباب قـوس
وألهم في تحيته الثنا
فقال الله عز وجل سـ
فلست أشاء الا ما تشـ

خزائن رحمتي لك فاقض فيها
بحكمك لست أمنعك العطاء
وشفعه الاله بكل عـاص
وكل مقصر يخشى الجـزاء
وبعد هذه الأبيات يذكر كريم أوصافه عليه الصلاة والسلام من
شجاعة وجود وكرم وكمال ثم يختم القصيدة بالتضرع والشكوى من كثرة
الذنوب فطلب الغفران ثم الصلاة على الهادي البشير ..
هذا وقد ضمنوا قصيدة البردة لكعب بن زهير وشطروها وخمسوها
وسبعوها .. ونختار من تضمناتهم تضمن الشاعر السدغالي محمد أنيس
لروعة وبلاغته .. ولنستمع الى ألقائه في ذلك :

بريم رامة قلبي اليوم متبول
متيم اثرها لم يقد مكبول
ترنو بغاترجفن ليس يشبهها
الا أغن غضيض الطرف مكبول
ترك قامة غصن البان مائسة
لا يشتكي قصر منها ولا طول
هي الشفاء لدا الصب لو صدقت
يشغي مضاجعها شم وتقيل
تفتر عن برد عذب في مجاجته
كأنه منهل بالسراج معلول
لا يمسك القلب حبا غيرها أبدا
الا كما يمسك الماء الغرابيل

بعد الصدود لعمري لا يقربـــــــــــــــــه
منك العتاق النجيبات المراسيل
أوماخرات سفين من دواخنها
للجوغم على الأرجاء مشمول
لكن أقول لطيف الخود من ولسه
لا الهينك اني عنك مشمول
بحب خير الوري طول الزمان ولو
أنى على آلة حدباء محمول
لعل عفو رسول الله يدركـــــــــــــــــني
والعفو عند رسول الله مأمول
يا سيدى اننى حلف لحبكـــــــــــــــــم
هل جبل وصلى منك الدهر موصول
لا عطل القلب من حبي لكم أبدا
ولا من المدح نال النطق تعطيل
انى لأرجو نوالا منك يا أمـــــــــــــــــي
ما فيه عند حديث النفس تعطيل
فلا تعذب سمي المصطفى أبدا
كلا وان كثرت فيه الأقاويل
وعلى هذا المنوال سار شاعرنا في تضمينه فامتزجت أبياته بأبيات
كعب والتحمت معها التحام الروح للجسد ، وفي الختام يقول شاعرنا :
قفوت كعباتها في مدحك ولكم
للفضل جود على العافين مهذول

بمدحكم نال كعب بردة فعسى
تنيلني بردة فالفضل مأموول
ورو* يتي وجهك الا*سنى تشرنبي
بقولكم أنت محبوب ومقبوول
ثم الصلاة على الهادى وعترته
ومن عليه بيوم الحشر تعوييل
وهناك شاعر نيجيرى خص البردة وهو الا*مير محمد بللوين عثمان
ابن فودى يقول في التخميس :
يا دارأخت لسلى وهو عاقوول
أقوت فهام فواء وهو مذهوول
وهل لصب نآه الصب معقوول
بانت شعاد فقلبي اليوم متبوول
متم اثرها لم يفد مكبوول
من قهوة الدن في موشوق أوعية
لا قهوة البرتسقى وسط أندية
وكأسها ان ادبرت كأس تهنئة
شجت بذى شهم من ما* محنية
صاف بأبطح أنحى وهو مشمول
لا تلفتن لموعود لها عقسدت
واحذر مكائد كادتها وما عسدت
فانها أبدا عذارى وجسدت
فلا يغرنك ما منت وما عسدت
ان الا*مانى والا*حلام تضليل

فيا خسارة من موعودها قبلا
وغلن أن مرادا منه قد حصل
كأن ميعادها طيف الخيال جلا
كانت مواعيد عرقوب لها مشلا
وما مواعيدها الا الا باطيل
عقارب العشق في الا حشا تلدغها
والقلب بغيته فيها يسوغها
شطت نواها وأنى لي يبلغها
أست سعاد بأرض ما يبلغها
الا العتاق النجيبات المراسيل
لجت بعدا وشطت وهي سائرة
والنفس رهن لديها وهي غادرة
حلت بقو عن الثلما صادرة
ولن يبلغها الا عذافرة
فيها على الاين ارقال وتبغيل
يا رحمة أرسلت للناس فيه أمل
لكل راج وان هو قد أساء عمل
يا أكرم الخلق جد بالعفو أنت أهل
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة ال
قرآن فيها مواعيد وتفصيل
وعلى هذا المنوال سار شاعرنا الى أن ختم التخميس بالتضرع الى
الله وطلب المغفرة ثم الصلاة والسلام على رسول الله وعترته وصحابته.

أما ميمية البوصيري الموسومة بالبردة فقد شطرها الشاعر السنغالي
الشيخ محمد محي الدين كشمه ، وهذه نماذج من هذا التشطير الذي
يبلغ ثلثمائة وأربعة وثمانين بيتا :

أمن تذكر جيران بذي ســــــــــــــــلم
قد بت ترعى نجوم الأفق لم تنم
أم من ظعين نأت والخوض تحملها
مزجت دمعاً جرى من مقلة بــــــــــــدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
فهاج شوقك هوج الريح للعــــــــــــلم
أم جاورت أضما سدمى وجيرتها
وأومض البرق في الظلماء من اضم
فما لعينيك ات قلت اكفاهمتا
على الشيا ب دمع جاد كالديم
تحكى البلية قل لسي ما بليت به
وما لقلبك ان قلت استفق بههم
أيحسب الصب أن الحب منكتم
والدمع يقطر والاحشاء في ضررم
هلا اعترفت بوجد شاع كامنه
ما بين منسجم منه ومضطــــــــــــرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على ظلل
ولا أنت لبرق ضاء في ظلمــــــــــــم

ولا شباك غنا الورق ان غردت
ولا أرقى لذكر البان والعلم
ولا أعارتك ثوبي عبدة وضنى
طوارق نزن والظلماء كالفحم
ولا أثارت هموم القلب ان سكنت
ذكرى الخيام وذكرى ساكن الخيم
كم حسنت لذة للمرء قاطنة
والخسرفي نعم تفضي الى نغم
قد كان يخبأ في طيب الطعام أذى
من حيث لم يدر أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع
دع الغلو من الأمرين واغتسم
ان قيل فالجوع عند البعض يخذل
فرب مخمصة شر من التخم
وخالف النفس والشيطان واعصهما
كلاهما غير ما يردك لم يــــم
اياهما لا تشاور كن على حذر
وان هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما
بل كن مطيعا لخصم الخصم تستقم
الخصم يكر والقاضي يساءده
وأنت تعرف كيد الخصم والحكم

أما الجنس الشعري الثاني فهو الشعر التعليمي ، وقد أكثر
القوم فيه اكثارا وأجادوا في جميع ميادين المتشكلة في الزهد والوعظ والارشاد
ونظم العلوم الاسلامية ، من نحو وصرف وفقه وحديث وسيرة وتنجيم ومنطق
وعلم كلام . . وقد نظموا هذه العلوم تسهيلا لطلبة العلم في عملية الحفظ
والتذكر ، اذ ان الكلام الموزون العقلي ذا النغمة والايقاع أسهل في الحفظ
من الكلام المنثور . .

ويمتاز شعرهم التعليمي عن شعرهم الغنائي بلغته السهلة الشعبية
القريبة الى الافهام ، وقد جنحوا الى السهولة حتى يتسنى لهم الوصول الى
الغرض من هذا النوع من الشعر وهو التعليم . .

وها هو ذا محمد بلو في احدى ارشاداته يقول :

وكم عشت في غرة وعماء

وجهل ولهو وأنت صبي

ألا فانج واسلك سبيل الرشاد

ولا تسه عما يقول الحفص

من ازداد سنا ولم يكتسب

علوم التجارب فهو الغبي

ومن نال علما ولم يكتسب

به عملا صالحا فغوى

ومن نال عزا ولم يفتخر

ولم يتكبر فذاك السرى

ومن نال علما ولم يستظاها

به ويجادل فذاك الرضى

أجاد في ريباجته وعرض هذه الأفكار في قوالب سهلة لا تكلف فيها
ولا تعقيد ..

وله أيضا في الوعظ والارشاد الأبيات التالية :

فافزع لله الحق ولا
تأس من روح المقتدر
أحسن ظنا وبه فثقا
كما يكفيك من الضرر
نفحات الله لها أرج
تأتي باللطيف وبالظفر
مما اشتدت بك نايبة
فعلية توكل واصطبر
عل المولى من رحمته
يأتي باليسر على الأشـر
اشفقت وربك مقتدر
وبسالف عادته اعتبر
لا تقنط وارح فضائله
فأمور الله على قدر
عجلا يأتي فرج بهج
الراجي منه مدى العصر
سل ربك لا تسأل أبدا
غير المولى دفع العسر
رب من عاذ بجانبه
يكفي من ظلم أولي الأشر

يأس من رحمة خسر
بل كفر مفض للسقـر
سبحه وهلل واعتـرف
ينجيك من الكرب الخطـر
راج من فيض فواضـه
بيقين القلب المنكـر
أترأ يضيع راجيـه
كلا فالعسر مع اليسـر

فالأبيات السابقة كلها تدل على الروح الدينية التي تشبع بها
الناظم ، إذ يمكننا استخراج معنى كل بيت من أبياته أوجدها من كتاب
الله العزيز . . فقله في البيت الأول مستطهم من قوله تعالى :
﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . . الآية ﴾ (١)
وأبياته أيضا مليئة بحقائق التوحيد الخالص كعدم الاستعانة بغير
الله ووجوب التوكل عليه في النوائب والطمات . .

وللوزير الجنيد قصيدة تعليمية في الوعظ والارشاد يقول

فيها :

ألا يا أهيل العصر أين انسيابكم
كأنني بكم والموت والله قد نزل
نبذتم كتاب الله خلف ظهوركم
وآثرتم الدنيا فألهاكم الأمل
غفلتم عن الآخرة ولم تتفكروا
صروف الردى في الغابرين من الأول

وقد عمروا الدنيا كتعميركم لها
وأكثر من تعميركم ومن الحيميل
وهم منكم أغنى وأكثر قوة
وأطول أعمارا وفي عظم السدول
فلم يلبثوا حتى آبادهم السردى
فصاروا أحاديثا وضربا من المشل
منزلهم أمست بيابا كأنهم
لخولة بالاجزاء من اضم طلل
وكم من قصور شامخات تبدلت
(١) قصور من الآجام يرمى بها الحجل
ولم يأخذوا شيئا لكي يتزودوا
به بل أضاعوا العمر من قلة العمل
ولم يفتنهم مال ولا ولد ولا
حميم ولا من شج منهم ومن بذل
ألا اتعظوا واستيقظوا وتنبهوا
فقد آن وقت الاتعاظ لمن عقل
فعمزتكم بالله لا غير فاعلموا
ومن رام عزا من سواء فذاك ذل
ألا فانصروا الاسلام وفق استطاعة
بقول وفعل موقظين لمن غفل

(١) الحجل : الذكور من القبح أو أانات اليعاقيب .

ولا تطعموا في العزالا بنصره
فطوبى لمن في نصره قام واشتغل
وبالله لودوا واستعينوا بنصره
فما خاب من أسى عليه قد اتكل
أيا ربنا يا مالك الأكر كــــه
اليك لجأنا فاكفنا السوء والوجل
ولا تخزنا دنيا وأخرى وبرزخا
وتب واعف وارحم واغفر الذنب والزلل
أجينا بجاء الهاشمي محــــد
عليه صلاة الله ما صيب هطل
ولا تتركنا للعدو وكهــــد
واسبل علينا الستر عن سبي* العمل
ونزه فتؤادي عن وساوس شدة
علي اشغني يا كاشف الضر والعسل

وبمثل هذا التضرع استمر الشاعر الى نهاية القصيدة . . .
على أن الشاعر في مواعظه متأثرا بأسلوب القرآن الكريم في الدعوة
الى اتخاذ العبرة والعظة من الأ*م البائدة من عاد وشمود وأصحاب
أيكة وقوم تبع وفرعون وقارون وهامان وغيرهم . .

وللشيخ الخديم أحمد بعبه منظومة طويلة في النصح والارشاد
نقتطف منها هذه الأبيات :

واعلم بأن من أبى التعلما
وقت صباه سلاقي ندمــــا

اذ كل من لم يتبادر للعلوم
مع تفرغ لها قبل الهموم
فلا ينال غالبا مطلوبه
منه وليس يحتوى مرغوبه
اذ مدحوا تعلم الصغار
بكونه كالنقش في الأحجار
وشبهوا تعلم الكبار
بالكتب فوق الماء في الآبار
واعلم بأن العلم لا ينال
الا بحبس النفس عن قيل وقال
ولا ينيل بعضه الدهر أحد
ما لم يهب له الجميع واجتهد
فأعطه بلا نزاع كلكما
فليلك اسهر ولتجوع بطنكما
ولتجمع الهمة فيما تطلب
بلا التفات لسوى ما يجب
ولا تؤخر التعلم ولا
تكن مسوفا به دهرا الس
تفرغن من جملة الأشغال
ان رمت أن تلحق بالرجال
فان للدنيا هموما تمنع
من الهدى وهي لا تنقطع

والموت يأتي بفتة وربما
يكون ذا شواغل مخترما
واجتنبن ضحكا وفرحا وصخب
أمام شيخك اذا رمت الأرب
فقد ذكرت جملة من الأرب
تقضي لمن لازمها كل أرب
فهذه الأبيات السابقة تحتوى على نصائح لا يستغنى عنها
طالب العلم .. وتتسم بسهولة ألفاظها وحلاوتها ما يقرب فهمها إلى
أبسط الطلاب .
وهناك منظومة طويلة للشيخ الفقيه عبدالله بن علي القرشي
العطار تحتوى على خمسين وثلاثمائة بيت مقسمة إلى ثلاثة عشر فصلا في
الوعظ والارشاد ، يقول في الفصل الثالث بعنوان " في عتاب النفس " (١)
خذ في عتاب نفسك الأمانة
فانها غدارة غرارة
فذهبها من أشرف الخصال
وبرها داء بكل حال
ليست على حال تدوم أبدا
ترتع في روض هواها سرمد

(١) قصيدة ذات الحكم مخطوط -

من اغتدى لنفسه محاسبا
وللهواه والعدو غالبا
أصبح ما بين الوري أميرا
وكان فيه سميه مشكورا
خالف هواك تنج منه حقا
والنفس والشيطان كي لا تشقا
ذل النفوس عزها فنها
بالذل في الله وصد عنها
نفسى عما سرنى تدافع
وهي الى ما سرنى تسارع
قد أسرتها شهوة وغفلة
تنكر شيئا ثم تأتي مثله
كأنها ناصحة بعدلها
وهي تريش للخداع نبلها
سيئة التدبير أنى أقبلت
أو أدبرت أو ان نهت أو أمرت
أزجرها ولا تغي ساءة
تدرع الكبر وتنسى الساءة
تظهر خوفا بينا بين الورى
فان خلت فلا تسل عما جرى
وتزدهيها عجبها بجهل
وتزدرى أفعال أهل الفضل

كسيف السبيل في النجاة وهي في
فلك هواها تجرريح التلطف
قمن جنا حسابها فقد ظفر
ومن جناها غلة فقد خسر
وفي الفصل الرابع بعنوان " في الموت " يقول :
قدم ليوم العرض زاد المجتهد
ثم الجواب للسؤال فاستعد
تطوى المنايا العمر طيا طيا
وأنت لا تزداد الا غمما
وقد تولى ثم لم تقض الا رب
والموت قد جد سريعا في الطلب
فلا تبت الا على وصيته
وانها عاقبة مرضية
الام تسعى للخطايا صائبا
وقد مضى عمرك نهبا نهبا
أصلك والفرع معا قد سبقا
وأنت ما بينهما ترجو البقا
هيهات لا بد من النـزوج
حقا ولو عمرت عمر نـزوج
ومن حلول القبر عزما عزما
ومن سوءال الطكين حتما

ومنزل ما بعده مستعجب

الا النعيم والجحيم المرهب

فألغاز الشاعر سلسلة عذبة رقيقة سهلة شديدة القرب السى
الافهام . . . وفي الفصل السادس بعنوان " التقوى والخوف " يقول
الناظم :

أفضل زاد المرء تقوى الله

سبحانه جل عن التناه

عليك بالتقوى وكل واجب

وترك ما يخشى وشكر الواهب

وكن لأسباب التقى ألفا

واعص هواك واحذر التعنيفا

فالفقر من تقواك شر الفقر

وشر ما ادرعت درع الكبر

رام نعيم من جنا المراقبة

وقدم الخوف وراع جانب الله

زين الفتى خوف ومعرف معا

وشينة جوف وفرج تبععا

فالخوف أول ما امتطى أخوال الحذر

واعتقد الصمت ودع عنك الهذر

لو أن ما استملاه كاتباك

بأجرة منك ختمت فاك

كل كثير النطق جهلا قاطله
والصمت حكم وقليل فاعله
طول اللسان يهلك الانسانا
والصمت علم يعقب الامانا
عسى يوديك الى السلامة
أفضل من نطق جنا الندامه
وللشيخ الحاج منصور سه في النصح والارشاد الابيات
التالية :

أخي أعزني بأذن القلب مستمعاً
يفدك من كان في الاحوال نقاداً
من حكم من قد أرت في نظمها درراً
تكون أفضل زاد ان تردد زادا
ورأس مال الفتى عقل ومعرفة
وان هما فقد احقا فقد بادا
دع معشرا حجبوا عن ربهم وعموا
ملازما عارفا في الله منجـاداً
حب الرياسة دع ان كنت معتنيا
بما اعتنى القوم في مولاك مقصدا
والقوم هم حيثما كانوا على حذر
خوفا باخلاصهم سلبا وأبعادا
للكبر ابليس أضحي خاسئا حسرا
ونال قابل منه الدهر أصفادا

لا شيء* في الدين بعد الكبر أفسد من
حقن ولائك أهل الفضل حسادا
من أثر العرض الدنيا المعرض للـ
فنا فقد جاء بالخسران الحادا
ولا تسيء أديا بالله وارض بما
جرى به الحكم امضاء واشهدا
فكل ما شاء* في الكون صاح يكن
كما اقتضى وقضى حكما وايضا
سلم عليه قياد النفس واسترحمن
عن المعونات تسلم نعم من قادا
من يعرف الله حقا ليس يزعجه
شيء* سواء وينفى عنه تعدادا
ان كل ما كان مقدورا فليس لـ
قوت وما لم يقدر فات ايرادا
ان الفتى من سما نحو العلى ودنا
يوحد الله توحيدا واقرادا
ويقطع الوقت قبل القطع منسلكا
(١)
مدارج الحق عن دنياه زهادا
وعلى هذا النحو من النصح والارشاد استمر الشاعري ثلاثين
بيتا على بحر البسيط في لغة رقيقة سهلة..

(١) الأديب السنغالي العربي ج ٢ ص ١٨٣.

ولعل من أحسن ما قيل في الزهد وحسن الأخلاق قصيدة الشاعر
النجيري محمد سنو بن أبي بكر التي ضمنها المقاصد الوعظية التي
حوت أغلبها لامية عمر بن الوردى المشهورة التي يقول فيها :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقل الفصل وجانب من هزل
ودع الذكرى لآيام الصبا
فلا يام الصبا نجم أفـل
واترك الغادة لا تحفل بها
تمس في عز رفيع وتجـل (١)
فيقول شاعرنا :

من لذي عين نفي عنه ليالـي
لذة النوم له طيف الخيال
يتمنى الوصل من محبوبـه
لم يزل مسكنها فوق الرمال
تشبه الدر وأولاد المـهـل
والدراري وأولاد الفـزال
وتراها غصن بان ناعم
مائل في كف أرياح الشمال

(١) الكشكول ج١ ص ٣٠٦ ، بها* الدين العاملي ، تحقيق الطاهر أحمد
الزاوي ط/ دار احيا* الكتب العربية .

وانذا ما نلت منها نظــــرة
أو دنوا تحت أستار الكــــلال
خلت بدرا شق أنيال الدجى
حوله الأنجم شدت بالحبال
ومتى ما وعدتنا موعدا
كان ذاك الوعد لمعانــــلال
مالها تتجزنا ما وعدت
أتقى بالوعد ربات الحبال
وترى الغدر عليها واجبا
والوفا بالعهد ضدا للحوال
استعيذ الله من غــــدارة
تقتل المحبوب قتل الاغتيال
استحلت دم مسكين ثــــوى
قمر سجن الحب منها في العقال
تلك دنيا لا تكن مغرورها
ان من غرت لمسكين الرجال
لا يكن همك في شيء ســــوى
ما يفيد العيش أو خير المــــال
ليس للانسان الا ما ســــوى
فليكن سعيك احسان الفعــــال
خالق الناس باخلاق الرضــــا
واحسان والا باعــــتزال

كف عن أُمرا إذا ما اشتبهها
تنج من خوض غمارات الويسال
واكظم الغيظ ولا تغضب على
طيش جهال هم أهل الضلال
ولباس البر والتقوى البســــــــــــــــن
وتعمم بحميدات الخصــــــــــــــــال
ان خير المال ما أنفقتــه
ابتغاء الله من مال حــلال
ومن الايمان اســاك الاذى
عن جميع الناس مولى أوــوال
وأذى الجار ابتعد عنــه وان
هو آذاك فقابل باحتــال
والأمانات احفظتها لا تخن
أوف بالمعهد تكن خير الرجال
كف عن مرتع ظلم واعلمــن
أنه مرتع ندم ووبــال
وعلى الميعاد حافظ وليكــن
كل أخلاقك آداب الكــال
وحياء وسخاء ورضــا
بقضاء الله مع صدق المقــال
ودع الكبر وأنواع الريــال
وكذا الحسد وأنواع الخيــال

واحبس النفس على مكروهها
وعن الشهوات تنج من تبال
ليست الزينة بالأثواب لا
انما الزينة أخلاق الرجال
وابتعد عن تراء خائضها
لجة العار جريئها لا يبال
صل يا رب على خير الوردى
ما طما البحر بموج كالجبال
وعلى أصحابه أهل التقى
وكذا ألهم هم خير آل

ويلاحظ أن الشاعر قد قسم القصيدة إلى قسمين ، القسم الأول
منها يتحدث فيه عن الدنيا ويصورها بالمرأة الحسناء بارعة الجمال
فاتنة الألباط تخب القلوب وتأخذ على مجاميع العقول بنضارتها
الباهرة وجمالها الخلاب غير أنها غدارة غارة مكاراة خداعة .. فهي
خضراء الدمن ينبغى على العاقل البصير الاعراض عنها واجتنابها حتى
لا يقع في شرك غدرها ومصاد مكرها ..

وفي القسم الثاني حث وتحضيض على حسن التحلي بالصفات
الحميدة والخصال المحمودة ، والتخل عن الصفات الذميمة والبعد عن سفاسف
الأمور ..

وواضح أن الشاعر النيجمى الزاهد كان يحتذى في أغلب معانيه
على ابن الوردى في لامية الرائعة كما سبق أن أشرنا .. وفي البيت

الثامن من قصيدة سنبو ما يشير الى قراءته لشعر عمر بن أبي ربيعة في قوله :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعــــدد

وشغت أنفسنا ما تجــــدد (١)

على أن شاعرنا قد نجح الى حد بعيد في ديباجته وحسن نظمه وكريم نصحه الذي يسهل فهمه لفته الشعبية السهلة ... أما صدى الدين في أبيات القصيدة فأجلى وأوضح من أن تحتاج الى بيانه فبادرنا نظرة فيها يضع القارىء يده على مواطنها من القصيدة ..

ويتصل بالشعر التعليمي المنصومات الحكيمة والارشادية للآديب البرناوى النجيسى أبي بكر الملقب بالمسكين ، وقد أجراها مجرى الحكم والامثال على نحو قوله :

أبنت للطبيب عين داءــــي

لأن ذا أدعى الى شفاءــــي

ومن تمنى أن يكون أكرــــما

فليتق الله يكن مكرــــما

ومن أطاع النفس والشيطانــــما

أضاع حق الله والاخوانــــما

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ص ٣٢٠ تأليف محمد محي الدين عبدالحميد ، ط ١ / مكتبة المدني ، مطبعة المدني القاهرة .

ومن يبيع آجله بما جـــــل
يبو* بخسر عاجل وآجـــــل
اياك اياك وخضرا* الدمن
فانما الدنيا بلا يا وفتن
وانها أخدع من ســـــراب
وطالبوها أخسر الطـــــلاب
كل قضاء فله جـــــلاب
وكل درفله حـــــلاب
من غش عن معايب الاخوان
جفنا يرالستر من المنان
لا تغش يا صاح من العيوب
ما ستر العلام للغيوب
ان جاءك الفاسق بالانبياء
فلتبينه الى انقضـــــاء
واعلم بأن من سعى اليكـــــا
لا بد أن يسعى غدا عليكـــــا
وكم غني بات أفقر الـــــورى
وكم فقير ظل أغنى من يـــــرى
اذا هفا أخوك فاعف عنـــــه
أوقطع الحبل فأوصلنـــــه
وقد يكون للحسام نبـــــوة
كما تكون للجواد كبـــــوة

وعلى هذا النسق الجميل جرى الشاعر في نصحه وحكمه البليغة
وأمثاله الرائعة .. ومعانيه في هذه الحكم والنصح أغلبها مطروقة ...
ونفحات الدين فيها أريجة وهو يكاد يقف شعره كله في النصح والارشاد
والحكم والأمثال وله في ذلك ديوان ضخم .

وما هو الى الشعر التعليمي بسبب منظومات شعراء العربيسة
في غربي أفريقيا العلمية ، وتختلف هذه المنظومات من حيث القلة والغزارة
باختلاف العلماء من حيث الضلالة والغزارة في العلوم التي يعالجونها
وينظمون مسائلها ..

ولعل أبرع ناظم في هذا الفن وأكثر غزارة في ميادينه المختلفة
الشاعر النيجيري عبدالله بن فودي الوزير الملقب بعربي السودان لغزارة
علمه ، فله منظومات كثيرة في التفسير وعلمه وأراجيز فقهية في العبادات
والمعاملات ومنظومات في أسانيده في العلوم التي درسها كالحديث
والفقه والتفسير والتصوف ، ونذكر له هنا منظومتين في النحو والصرف تحتوى
الصرفية منها على ألف بيت سماها " الحصن الرصين " افتتحها بالآيات
التالية :

الحمد لله الذى تعرفنا

الى عبادہ بما تصرفنا

وأنطق اللغات فى البـوادی

البلغاء اللسن الهوادی

وعم بالروائح الأیـوادی

مع الفوادی المجتدى والجـوادی

اذ أرسل الرسول للعبيد
يرشدهم بها يبع الرشاد
محمد سيد كل نـاد
أفصح كل ناطق بالضاد
صلو عليه ذوالأُيادي الهادي
وآله وصحبه الزهـاد
ما ناحت الحائم الشوادي
وصاح بالانعام صوت الحادي
وبعد فالعلم له ريباض
وبينها الحياض والفياض
وحولها خمائل شعاب
وفوقها شواهد هضاب
تفرعت من أصله أفنان
وانشق من دوحته خيطان
ومبرز الأسرار للجميل
علم لسان العرب الرفيع
وهو سبيل الفهم للمعاني
في سنة النبي والقـرآن
قد اعتنى بحفظه عصابة
في كل عصرهم ذوو الاصابة
فأصلوا وأحرزوا دقائقه
وفرعوا فأبرزوا حقائقه

وقنصوا في نثرهم شـوارد

وسردوا في نظمهم قلائد

وهي منظومة قوية رائعة في موضوعها جيدة في نظمها
على أن المنظومة النحوية الموسومة بالبحر المحيط تتألف من أربعمائة
وأربعة آلاف بيت نظم فيها ما أورده السيوطي في كتابيه جمـع
الجوامع وجمع الهوامع . . وقد قسم المنظومة الى مقدمة وسبعة كتب
وخاتمة نذكر هنا نبذة منها :

الحمد لله على تسهيل

فتح الأعادي مغني النبيل

بالخفـض والكسر وجر الهـيون

والجزم فيهم لا زم السـكـون

ورفع أهل طـمة الاسـلام

على سواهم آخر الأيـام

بنصب راية المجاهديـن

وضم شملهم فساد الديـن

ان نحوه قد صرفوا القلوبـا

فأنغموا من سره الجيوبـا

مفضل الأنوار في الضائـر

و عادم الأشباه والنظائـر

والبسط في المطالع السعيدة

عمدتهم بالفتح الحميدة

فأعربوا البعض على التصريح
وبعض مني على التوضيح
نهجتهم من أوضح المسالك
خلاصة ومنهج للسالك
فريدة للطالبين كافيــــــــــــــــة
بشرحها بالارتشاف شافية
ثم صلاته مع السلام
على نظام جطة الانعام
محمد نعمته آلت صبغــــــــــــــــا (١)
عباده فيها عليهم أسبقا
في الكلم الوجائز الجوامع
وصحبه غيوثنا الهوامع
ما قام بالنفس ضمير أعربــــــــــــــــا
عنه فم لسمع وقربــــــــــــــــا
واستعينه على نظــــــــــــــــام
جمع الجوامع البليغ السامي
على جميع كتب العربــــــــــــــــة
وشرحه الحائز للمزيــــــــــــــــة
همع الهوامع الروى المحيط
كلاهما للعالم السيوطــــــــــــــــي

(١) الت أى التي .

وربما أنقص أواز يـــــــد

لعلة ونيل ما يفيد

وربما قدمت أو أخبرت

لمقتض راع الس ما اختبرت

لقبه، اِن حوى روى السيوطى

وغيره ببحره المحيطة

”الكلام في المقدمة”

ہنت فم صوت اذا حرف فقص

وما حواء لفظه ان لم يفد

أولا فقولہ کلمۃ فی منفرد

فی ذی اشنتین جملة لولم یفید

وما أُنْفِرُ فَالْكَلامُ وَالْكَلامُ

فِي ذِي ثَلَاثِهَا وَفِيهِ مَا التَّزَمَ

” الخاتمة ”

أبياته زادت على آلاف

أربعة بمقصد توافق

الحمد لله وصلى الله عليه

على محمد ومين والاه

ومن آله وصحبه غفران

وتابعيهم على الاحسان (١)

وللشاعر منظومة أخرى في العروض والقافية سماها : " فتح
اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي " .. هذا .. وللعالم
السدغالي أحمد بن أبي بكر عبد القادر آن منظومة في النحو
نظم فيها مؤلف ابن آجروم المعروف بالآجرومية نختار منها هذه
الآيات :

قال الفقير التلوي أحمد
حفظه من الشرور الصمد
الحمد للجاعل في الكلام
النحو مثل الطح في الطعام
الرافع المؤ من بالأيمن
والخافض المشر ك بالكفـران
وبعد ذا فأنني عقيدت
ما نصنر الخبر وما وريـت
محمد هو ابن آجـروم
تسهيل حفظ لذوي الحـلوم
سميته اعانة الطـلاب
في فهم ما خفي من الاعـراب
ان الكلام عندهم لفظ مفيد
مركب بالوضع صن يا مستفيد
قد فسر الوضع بوضع العـرب
بعض ووضع العجم عنده أبـس
وبعضهم فسره بالقـصـد
مخرج نائم بهذا القيـد

وهو على ثلاثة أقسام
ترتيبها يأتيك بالتمام
اسم وفعل ثم حرف يجلب
لأجل معنى في سواء يطلب

.. هذا وقد قسم منظومته الى تسعة وعشرين بابا ...
ويتصل بالمنظومات التعليمية منظومة الوزير الجنيد النيجي—رى
في معاني بعض المفردات اللغوية يقول فيها :

أيا طالبا تفسير ما كان مشكـلا
عليه ورام الحفظ خذ ما تيسـرا
فظمياء أنشى زين فوها بسمرة
ولشتها فافهم وكن من تبصـرا
مظالم والاضلام ليس بكشفها
تبيح لأن الأمر سهل لمن درا
ظها السيف معروف وأما الذي ترى
بأسنان هند اسمه الظلم لا مرا
رويدك فاحذر من لحاظ عيونها

(١).....

ظلم على ذكر النعام نقول—ه
وظبيك معروف فكن حافظ العرى
وشيطمك الفرس الطويل وظلنسا
ظليل وأحسن أن تذوق بها الكرى

وجانب لظى لا يدن منك شواظها
وذلك لهب لا دخان له عرى
لماظك لعق باللسان على الشفه
تتبع أثر الأكل كن من تدبيرا
حظا انتفاخ اللحم أوجع حظوة
تأمل بما قد كان فيه مسطرا
نظيرك أى مثل ومن أرضعت على
جزاء تسمى ظئر هذا لها جرا
وظلفك للبقرات بل كل دابة
خوافرها مشقوقة خلفها ترى
مقدم ساق الرجل ظنوب اسمه
شظاظك عور في عرى الحمل للمرى
مظفركم فهو الموء يد فاستمع
ومحظورك ممنوع أمر على السورى
واحفاظكم اغضابكم من سيئكم
حظيراتكم مأوى الدواب لتسترا
ويستمر الناظم على هذه الوتيرة في تفسير المفردات اللغوية
من الأسماء والأفعال التي فيها حرف الظاء في سبعة وأربعين بيتا على
بحر الطويل في لغته السهلة الرشيقة ..
وبهذه الأبيات السابقة نختم الحديث عن الشعر التعليلي
لدى شعراء العربية في غربي أفريقيا.. على أن الأصلة لم تخالفهم فسي
هذا الباب وقد جاء نتائجهم فيه على غرار نظيره في المشرق والمغرب
العربيين .

وبعد ، فقد رأينا كيف أن شعراء غربي أفريقيا قد تناولوا
معظم أغراض الشعر العربي التقليدية كالمدح والثناء والغزل والوصف
والشكوى والحنين وشعر المناسبات والشعر التعليمي .. وترفعوا
عن الهجاء إلا فيما ندر ، والسبب في ذلك تغلغل الروح الدينية في وجداناتهم
وسيطرت عليها على شاعرهم .. ومن هذا النادر قول ابن المقداد يهجو
ابن عمه الحاج بكاءى سك عندما أهدى القوم إليه " فنال " (١) فردهم
حتى حنين فلما بلغ الشاعر ذلك قال :

رد هذا الفتى " فنالا " فنالا

كل عار إذ رد ذاك الفنالا

ترك العرض نهب كل لسان

وانثنى نحو ماله ثم مالا

فالفتى من يصون عرضا بمال

ما الفتى من يصون بالعرض مالا

وللقاضى مجخت كل يهجو بعض خصومه هـذ

الآبيات :

يا من درى أنه مخصص أشعارى

لما حوت من صفات الذم والعار

كفاك ذلك ذلا فلتخذه كما

في السجن قد نقته طورا من أطوار

(١) " فنال " هيكل يصنع من الخشب على شكل سيارة أو طائرة يضعه

أهل ساندلوى في الأعياد ويقدمونه إلى أحد وجهاء البلاد كهدية
وتهنئة للعيد ..

وصوت " ألكات " لا تتكر ولطمتمته
(١)
بين الأزقة من دار إلى دار
فاغتم حيث القوافي سوف يحرسه
عن العرائس كلب عندنا ضار
هل تدعى العلم من جهل ومن حق
وأنت منذ دهور بائع سار
وفي الفخر يقول ذو النون :
مالي أخاف عيون النجل ان نظرت
وانسى لا أخاف الفارس البطلا
جماعة الشعرا يوما اذا اجتمعوا
فانما علمي فيهم أنا ابن جلا
كم منكسر رام نقبي حين يسمع بي
لما رأيته إليه مقبلا قبلا
ولا أرى من عدو شاتم سفها
الا وذل بعون الله وانسفا
ولا أبالي اذا ما الهول يطرقني
لطارق طار فوق الجو أنزلا
ويقول في قصيدة أخرى :
وقائنا مثل الرعود على العدى
وأوجهننا مثل البروق اذا لحننا

(١) ألكات هو الشرطي باللغة الولفية.

وانا ملوك العشق بل امراؤهم

قد استخلفونا في البلاد وهاهنا

هذا وقد رأينا أن شعراء العربية بغربي أفريقيا قد اتكأوا في

صورهم الغنية في كثير من الأغراض التقليدية على القديم ، وقليل خروجهم

عن ذلك . . كما التزموا نهج القصيدة العربية في أغلب قصائدهم

في تلك الأغراض . . على أنهم قد وشّحوا تلك الأغراض بوشاح الدين ،

فظلت الأصداء الدينية تلازم قصائدهم في جميع أغراضها الشعرية

وستظهر لنا تلك الأصداء بصورة أوضح في الفصول القادمة ان شاء الله

تعالى . .

الباب الثاني شعراء غزني افريقيا

وبشمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : شعراء السنغال .

الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .

الفصل الثالث : الملاحح المميزة للشعراء غزني
في غزني افريقيا .

الفصل الأول :
شراء السفال .

يونس ذوالنون له :

هو يونس بن محمد ، من ذرية ألهمام يوسف سر ديه له . .

ولد في قرية تسمى " حابه " سنة ١٢٩٨ هـ - ١٨٧٧ م . .

تعلم القرآن ومبادئ القراءة والكتابة في ككتائب القرية ، ثم سافر لطلب العلم الى كل من " فوت تور " و " موريتانيا " بعد أن طرّ شاربه ، وظل يتنقل من هنا وهناك طالبا للعلم . . وأخيرا ألقى عصا التسيار فسي رحلاته العلمية في مدينة " سان لوس " حيث تتلمذ على الشيخ أحمد أنجنك^(١) وكانت تربطه مع علماء عصره ورجال الدين عموما علاقات جيدة ، فمدح كثيرا منهم ورثى أغلب من مات منهم ، مثل الشيخ الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال أحمد بمبه البكي ، وابنه " الحاج محمد الفاضل البكي " و " ممر جاره بى " و " بل بى " و " محمد ابن ألهمام عبد القادر " و " الحاج أحمد أنجاي آن " و " الشيخ ابراهيم جوب الاثدرى " و " فودي كبه " المجاهد الأكبر ، و " الشيخ سعد أبيه " و " محمد بن المختار اليدالي " وغيرهم .

توفي ذوالنون في مدينة " جيس " سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م تاركا

وراءه ديوانا ضخما يضم معظم أشعاره .^(٢)

(١) الأديب السنغالي العربي ج ١ ص ٢٣٧ بتصرف .
(٢) يوجد هذا الديوان في " ايفان " المعهد الأساسي الأفريقي بالسنغال .

ويعتبر ذو النون من أكثر شعراء العربية بالسفنال أصالة في الشعر . .

ويمتاز أسلوبه بالجزالة وجودة السبك وحسن النظم ، ونجده في
المديح خاصة وبقية الأغراض عامة يمتاز بالتدفق والسماحة والسهولة
وابراز علاقة الود بينه وبين الممدوح . . ويقف على الأطلال ويركب النياق
ويقطع الهواجل ويأتي في ذلك بمتوعر الألفاظ ما يدل على سعة معرفته
بأوايد اللغة وكثرة محفوظاته من الشعر العربي القديم ومدى تأثره بهذا
الشعر القديم الكلاسيكي . .

مختارات من شعره :

.. في مدح الشيخ الخديم أحمد بمبه البكي :

مغنى سعاد عفته هوج العشير
وسقته واكفة الغمام المطرر
والعين ترفل في مراقد حورها
ترنو الرياض بكل طرف أحور
وترى مهاها البيض ترعى روضة
مطلولة نمصت ببطن محسّر
أطفالها يرحن في أطلالها
فكأنها في الشعب شعب العرعر
أوعالها تستن في أوعارها
ترعى خزامها وغض الأزهـر
وترى قلائص في تياثر آلها
فكأنهن سفائن في أبهر

غزلانها تقفو مدى ظلماتها
ان راعها صباحا زئير غضنفر
فالشوق لوزار الخلي أقله
نالت منه كسرة لم تجبر
فالشوق سهم للمشوق وسمه
لومس آساد الشرى لم تزار
قد كنت مبتدأ وغيري في الهوى
خبري ومعرفة غدت لم تنكر
أنا والهوى صبان حالت بيننا
محن تترجم حالة لم تسطر
من لي بروية من أحب وحالتي
أدهى فعلا من لقاء الفيقر
أعرض فواءى هيض عن طلل عفا
لم يبق فيه سوى المهي والجوذر
ونذر الربوع ومن بها قد حل من
غيد عليها كل ثوب أخضر
فتفوق أوجهها البدور وتزدرى
نفحاتهن بكل مسك أذفر
مهاشدا شاد أملن قدودها
كفصون بان غب ربح صرصر
وكرن شان يستبيك كشادن
قد حف بالمزار ثم المزهر

فالحمد منى يستهل غيومه
من يومنا هذا ليوم المحشر
فالشكر منى دائما يزاد ما از
دات عطاياه التي لم تحصر
لله رب العرش جل جلاله
سيحانه من واحد متكبر
من حيث أطلقني وقيد في الهوى
غيرى وصير أبهى لم تعب

كونوا معي في مدح هذا المرتضى
شمس الفضائل ذى المقام الأكبر
ان شئت ذكره وأنت غيره
شتان بين مؤنث ومذكر
تلقى السرى ان جئت ساحة داره
والقوم بين مهلل ومكبر
فالمادحون على جلاله قدرهم
لم يدركوا مضمار هذا الأشهر
طولت في مدحي وهم قد قصروا
شتان بين مطول ومقصّر
قد كان عهدى عن جناب أخى الندى
الشيخ أحمد بمب عدة أشهر

فيمينه قد عمت في الجود حنتـ

ي لم يميز يعمر من جمفر

وله حماسة ضيفم ومروءة

فاقت مروءة كل ندب خيـ

أما يتيم عند هذا الشيخ لم

يقهر وسائل جوده لم ينهـ

محنى غدت منحا اذا عاينتـ

أحبب به من عارف متبحـ

ما مثله كسرى علا ومهابـ

بل دون ماواه جلاله قيـ

فبنات نعش دون شمع نعالـ

بل دون رتبته السهى والمشتـ

بل لم يجي خبر بأدنى فضلـ

ان راح يزهر رقه من محبـ

هذا كلام صادر من كاتـ

قد قام للفصحاء فوق المنبـ

يطوى وينشر في ميادين اللغـ

ما راق عيني منجد أومغـ

يا ناسجا ثوب المديح وناظمـ

فقر الثنا فانظم لقولي وانشر

وأنخ قلوصلك في فنائي واستفـ

منى وراقب سر قولي الأزهـ

من لم يدن لي جال في تيه الهوى
 حتى يموت وذنبه لم يففر
 كم زيد عن حوض الهوى من عقى
 فالشوق من عرضي يطن وجوهري
 فتريك أقالمي بقاعا روضها
 يفتر بين مدرهم ومدن^در
 نظما ونثرا يعجبان لمن غدا
 يتلوها في مورد أو مصد^ر
 ما حاك مثل ثياب مدحي حائك
 في رقة المعنى وحسن المنظر
 بل ما حكى حاك بديعا مثله
 بل لم يعنن في مرال^أعصر
 وترى فوائد في ظروف حروفه
 تبدى ثنايا بائع أو مشترى
 نفحات معناه ونسج بيان^ه
 كبصيص در أووب^يض العنب^ر
 ألفاظه طنانة تغنيك عن
 بدر غدت مكنوزة أو بم^ر
 فلسان حال الشيخ أعلن أنه
 يهني لها لعائل ولموس^ر
 فالدهر يعلم أنه هو فرد^ه
 وعلى حقائقه النهى لم تمش^ر

أراني بقائي بعد غوصي في الفنا
تعلق معنى كل أصل بفضلــــه
بنفسي أددى نور ذات سهدتــــه
يشير الى باب الشهور وفصلــــه
تجلى لطور النفس حرفا فدكها
كلا شي* من اسم الجمال وفعلــــه
ونكر حال الدهر قلبا وقالبــــا
وكلفني ما لا أطيق بحطــــه
وقل للذى خلق الهوى لهوانــــه
ألا انما عز الهوى بعد ذلــــه
فصم صدى من لم ير العز والهوى
ويصفى الى نصح الخلي وعذله
فن لفتى أودى بمهجتــــه الأســــى
وقاض قضاة الشوق أفتى بقتلــــه
ولو نال كل الخلق بعض غرامــــه
لهاموا وما بعض الغرام ككــــه
فتى قد سقاء الدهر في طي صرفــــه
جوى وكساه خلعة المتولــــه
الى شطر هذا الشيخ وجهك ولــــه
وسنّ حسام المدح من بعد سلــــه
ودع عنك أيام الصبا وادكــــاره
ودع ذكر حقي بالعذيب وأثلــــه

ورض طرف شعر للمعاني ومعج به
الى منحني حزن البيان وسهله
يمج بديعا كالجمان نفاسه
مقادا بحبل الوزن من بعد فتلته
يريك رياض رقة وجزالة
على طرفي عقد الكلام وحلته
وصف جانب الأستاذان قس زمانه
سبيكة نو الغمض حزيت سبله
اذا اشتغل الاقران بالمال والفنى
تراه وجمع العلم أكبر شغلته
وكم من عدو جامد جامع الخنى
فيلّ بحلم الشيخ من دأ غلته
وعلج^(١) كمجل غلظة وفظاظة
فلاينه حتى استفاد بوصلته
أعد جحيما للعدو اذا دعى
نزال وللشأوى نعيما بنزلته
وكم ماتح وافق قليب رجائه
فأدرك ما قد سره ملاجلته

(١) علج : غليظ الطبع .

بكائية في صديقه ...

نشاطر الورق في أشجانها ففسدت
دموع أعيننا تنصبت كالقرب
ياناعيا قد نعى هذا الامام فقد
نعت صنو اللغى والنحو والادب
من للقوافي التي تحكى اذا برزت
ماسم الروض أو كأس ابنة العنكب
من للوسائل والاحسان للقربا
من للوسائل والاحكام والخطب
تبدى جزالة ألفاظ شعشمة
(١) كما ورد اذا ما شيب بالضرب
في كل معنى لطيف دق مدركه
(٢) أصفى وأعذب من لثم ابنة العرب
أست تدب دبيب الراح ان تليت
للمستهام فيكسى حلة الطرب
يجيد حل المعاني المشكلات كما
يجود بالفضة البيضاء والذهب
تراه يفصح عن حميد خالقه
ما ليس يفصح عنها ألسن السحب

(١) الضرب : العسل الأبيض .

(٢) العرب : الكثير من الماء الصافي والمراد هنا : الخمر .

تاج لتيجان أهل العصر قاطبة
سمح الخليفة حبر طاهر النسب
فكم وكم زمر أموا منازلهم
فأصبحوا لكمال الأمان في رحب
آسى لذى سقم واسى لذى يتم
كاسى لذى عدم دراكه الطلب
شاف لذى وصب كاف لذى حسب
كاف لذى قرب يا أعجب العجب
قد كان مستغرقا أوقاته أبدا
في ربه وبه استغنى عن اليلب
من للرغائب بل من للرغائب بل
من للغنون ومن للبحث في الكتب
من للصلاة لدى مختارها أبدا
وتاليها ومن للشكر حين حبس
من للسلوك الى البيت الحرام على
نجب كغلك وفلك كن كالنجب
من للصلاة على المختار من مضر
من للسوافل والأذكار والقرب
ومن يزحزح عنا الكد ان عرضت
بوائق الدهر في أعوامه الشهب
قد كان أجرا من ليث وأجود من
غيث يفيض بلا شك ولا ريب

ان جاء منزله ضيف وضيفه
يفتر عن مسم براقصة الحبس
سحائب العفوم من مولا تغمره
فضلا وتكسيه من أبرادها القشب
لو كان يفدى فديناه بأنفسنا
والأهل والآل والاخوان والنشب
قد كان يعياً بي في كلما أربى
وكان خيرأب لي بعد موت أبي
اني أعزى جميع المسلمين على
وفاة سيدنا علامة الحقب
الحاج أحمد انجاي المعتلى حسب
بقية العلماء الكمل النجب
فما لنا بعده الا الرضى بقضنا
والله يرحمه فضلا ويستغفره
بحرمة العرش والكرسي والحجب
وبالملائكة الغر الكرام وبسال
مختار خير الأنام الهاشم العرب

صبايئة ..

لنم باللوى والرقمتين مغانني
عفاها سحاب دائم الهميان
مغان بها القينات يلهي كرانها
مثالها مشفوعة بمشيان
فرقرقن أجانا وأرقن أعينا
وأنزلن كل الشوق كل جنان
معاذفها تشجي القلوب رنينها
فتهتزأغصانا قدود غوان
ودمعي قبيل اليوم أبيض ناصع
ولكنه في اليوم أحمر قان
يقولون لي نر من هويت فاننني
وربي مالي في السلو يبدان
ذوات الوجوه البيض والأعين التي
أشد بقلبي من وقوع سنان
يقول عذولي حين رق لحالتني
ودمعا من عينيه ينهميلان
هوى قد رأينا هوانا بعينه
وما الشوق الا في هوى وهوان
هونا فهنا حين بانوا وانهم
قد استوطنوا مني أعز مكان
رأيت فوادى دائم الخفقان
ودمع جفوني دائم السيلان

رأينا الهوى عين الهوان فأصبحنا
قد اتحدا في الوصف والسريان
وما ضم مثلي في الصباية والهوى
ظروف مكان أو ظروف زمان
وما الشوق الا من معاني حقيقتي
وما العشق الا من بديع بيان
أنا واحد الآحاد في كل مشهد
يصان من الا شواق والهيمان
فشوء بوب حالي دائم الفيضان
وخيل علوى دائم الـذلان
دمسى ثم دمعي يجريان صباية
وسرى كمثل البرق في البرقان
أيا من يباريني ولم يدر حالتي
فاني شامي وأنت يمانني
وما أنا الا الشمس في عالم الهوى
ويعلم قاص ما أقول ودان
مغان غدت تظهي قلوب ذوي النهى
تريك ابتسا ما باهر اللعان
تراهم سكارى ان ذكرت خصائصي
بغير كؤوس صفت ودنان
هم القوم لا زالوا بحورا لسائل
فشأوهم قد كل عنه لسانني

لقد وقعت منى فنون هواهم
وقوع سنان في حنان جنان
أفاض علينا الله جل جلاله
بهم غيث ايمان وغيث أمان

أطلال ..

عفت لسعاد من يهرين دور
على أطلالها أسفا نــــدور
وقد كنا بها والعيش صــــساف
وكسأت الهوى كنا نديــــر
تجيب الصاهلات كران شــــاد
يرن لنا كما يتلى الزبــــور
وعهدى عن مساكنها الخوالــــى
لها حجب وتلوها شــــهور
فأسى الربيع لم يوه نس مــــسا
به الا نثيم أو زئيــــر
ولم يسمع لذي الأطلال الا
عواد أوبخام أوصفــــر
يقول لسان حالي حين بانوا
ولم يبق الشفاء ولا الهريــــر
فأين هنود هاتيك الغنا، بل
و أين أولئك الجم الغفير

كأن الدمع مذ غابوا وغننا
لفرط الحزن بير أو غدير
بعيد ورودهم صدروا وكم من
ورود بعده يتلو الصددور
رعى الله الأُحبة حيث كانوا
فيسقى جمعهم ماءً نبيـر
لقد نظموا قصائد هم عقودا
فدان لهم فرزدق أو جرير
أرى روادها الوارد روضا
أريضا ضمه مرعى مطير
لقد طابوا نفوسا حين كنا
لهم ندما وخارونا وخيروا
نرى الأُيام أعيادا تريننا
هنا لم ينله أردشـير
لقد آروت مرابع تن المغاني
روابعها فأشرقت القصـور
فمالت في خمائلها غصـون
وغنت في جوانبها الطيور
وأرسلت السماء مشعـجرات
فتبسم من حواليتها الزهور
فمن لي بالوصول الى غـوان
كأن وجوهن سنا بدور

بدور في الخدور وكم بسدور
تروق العيسن ضمتها الخدور
شعور كالشعور اذا تدلست
لقليل اذن شعار أم شعور؟
وكننت اذا ذكرن اسمي كأنني
ملك أو أمير أو وزير
عسى أن يجمع المولى تعالى
جماعتنا هو المولى القديم
عسير مثل ما نرجوا ولكن
عسير عند مولانا يسير
فسوف تفي مواعدها جبار
فتطوى لي السهول وكذا الوعر
فتبتهج القلوب اذا وصلنا
أما كننا فتغتر الشغور
فتركض في الغيافي والموامي
وتندك الجنادل والصخور
وانجاز الوعود غدا فروضنا
لعيس لا يغيبها الفتور
كأن البید لما أن رحلنا
قراطيس وهن لها سطور
لقد خاضت سفائننا غمارا
(١)
فساعدها الجنوب أو الدهور

ويطوون المراحل في الصحارى
فتذرع دوها^(١) غير فعيـر
تراها كالموامع ان ركبنا
ذراها فانحنى منها الظهور
ولا تشكو ولو طالت وجاهنا
وأعمت مقلة الحربا الهجير
فتاتي لورأتنا يوم بنا
لتعلم أنني الجلد الصبور
تسامرنى أمور في هواهنا
تكلل له القوافي والبحور
لقد لفظت بي البعد البوالي
فها هي لا تزور ولا تـزار
فتاة غضة لو كنت زيرا
لزرت جنابها مع من يزور
فها هي من نفور قد تولت
وعادات الحسان هي النفور
رأتني غير مأسوف عليـه
فخامر خاطري أمر خطير
أروح كأنني من فرط حزن
أسير أو كسير أو أجير
أيا ابنة مالك اني مشوق
اليك وأنت للعينين نور

(١) الدو : الغلاة المستوية .

صحابي لا تقيسوني بغيري
أحسب من يطهر كمن يسيـر
يسير بشوقه قيس وانـي
على علات أشواقـي أطـيـر
وكم ليل تظل به نجـوم
وتحت ذيوله مطر غزيـر
يضل سواد عينك في رجاها
فلا يهدي اذا ضل الخفيـر
أشق ثياب غيبه كأنـي
على حافاته شرر يطـيـر
فتاتي انني لك جد صـب
عشوق والعليم به خبيـر
ويعلم ما أقول الخلق طـرا
ويعلم ما أقول سعيد نـور
لقد قاسيت بعدك من شجون
يذوب لخوف وطئتها ثيـر
سأمنح قادم منكم الينـا
جواهر لا يجود بها البحـور
سفائن جئن منك لهن منـي
نفائس دونها الروض النضيـر
أيمن لي العبور على بحـور
عراض ليس يقطعها العبـور

أقول وعينك الحورا عبرى
أهذى عبرة أم ذاعبى
أما والراقصات الى المعلنى
وما حوت المباسم والخصور
وما للغيد من وصل مـ روم
وصد دونه يعنى البصير
لأنت حياة روحى دون ريب
وذكرى القلب ان أزف المسير
سمي أبى لديك فحاذرى أن
تخاشنه الأذى ان تطير
اذا رخت نونا من هوانى
يكون هوى فيحصل لي السرور
اذا ما القينة الشباء غنت
غدت أوتارها شجني تشير
بأيدى فتية قد أنستنى
فأنستنى الخطوب اذا تدور
فأيام اللقاء لنا جنان
وأيام الفراق لنا سعي
بدا فتيانهم وهم أسود
تصيد وهذه الفتيات حور
على لباتهن عقود در
حرائر جل كسو تنها حريـ

حماسة ..

مالي أخاف العيون النجل ان نظرت
وانني لا أخاف الفارس البطولا
جماعة الشعرا يوما ان اجتمعوا
فانما علمي فيهم أنا ابن جلا
كم منكر رام نقصي حين يسمع بي
لما رأيته اليه مقبلا قبلا
ولا أرى من عدو شاتم سفها
الا وذل بمون الله وانسفا
ولا أبالي اذا ما الهول يطرقني
لطارق طارفوق الجو أو نـزلا

ذات القوافي ..

شبابك فر وشيبك قـر
وعمرك مر فأين المـر
ذيولا تجر كأنك عـر
وعيشك صبر وخيرك ضـر
تهيم ليكر لدى أنت بـدر
وريقك خمر وثغـر
للهو تخـر ومالك فكـر
وحلوك مر كأنك غـر
فعامك شهر وقلبك صـر
وذنبها تسر وسرك شر

فطورا تغیر کأنک هـ
وطورا تضر ککلب بهـ
وانت تسر لا مر بهـ
ولست تقر لهذا العـ
ولا تستقر لهذا المـ
ویکفی لحر شعیر وبـ
ومن هو حر جمیل السـ
لکان یفر لهول سقـ
أدر قلب بر بوجه أـ
هوی قلب فر عنی فی صـ
دموعا تدر لحزن یتـ
کصخر أهر أرتنی العـ
بروضی بهر سحاب مـ
به ما یسر لا هل الفـ
فطورا أجر وفی السر حمـ
وفی القلب حر کوخز الـ
جدید کطهر ونظم کنـ
وترب کتبر لقوم غـ
وحبر کبهر وسر کجـ
وطی کنثر لمن یدکـ
ازل کل کبر ونزه وکبـ
إلهک واشکر لتالی الخـ

وهندی کمر و پسر کمر
 ونهی کامر لمن قد کفر
 ومن یکفر داما کفر
 کن یقشعر أسی للقد
 یضر مضر وفي القلب مکر
 ولم یک أمر لمن قد غدر
 وکن من یفر لما فیہ وزر
 وذل وفقر شعار المص
 شیابک طهر وذا الرجز فاجر
 ورافق وشمز قیل السف
 وبحر کبر ولیل کفج
 لمن هو حیربدا أو حض
 داما ندر صلاة تق
 وعینا تمر لخير البش
 وآل نسر بهم ویسدر
 لنا کل بر و صحب و صبر
 تقاصیر شکر موائد بر
 برائد نصر لمن یا تم
 ویردی طمر مکر مفر
 بکل أبر علیه غدر
 مدارس سر ججاج غر
 فله درهم من در

کواکب زهر موارد فخر

مصادر ذکر من العتسدر

لهم کل برله طیب نشر

به یستمر لکل البشسر

القاضي مجخت كل :

ولد مكل بن موسى الذى اشتهر فيما بعد بالقاضي "مجخت كل" في قرية "كرمكل" وقد نزحت أسرته من "انجامير" واستقروا في القرية المذكورة .

نشأ وترعرع في كنف والده ، وتثقف عليه ويعتبر والده هو شيخه الوحيد .

وكان والده أول من أتى بعلم النحو الى "باكل" . (١)
وبعد أن طرشاربه انتقل من قرية جده "كرمكل" وأسس قرية سماها "عين ماضي" وكانت بينه وبين ملوك السنغال علاقات وطيدة مثل الملك "دميل لتجورجوب" الذى عينه قاضيا في بلاطه ، وقد أظهر في هذا المنصب براعة نادرة . وكذا الملك "علبرى انجاي" و "بُورِسْتَن" .

كما تربطه مع شيوخ وعلماء عصره الاكابر علاقات ودية . مثل الشيخ أحمد بمبه تلميذه والشيخ الحاج مالك سه وأمام قابه جـنـخ والشيخ أحمد شيخو التجانى المجاهد الباسل والحاج ماجور سسه وكذا الاكابر المستعمرون .

(١) الاكابر السنغالي العربي ج ٢ ص ٤٨ .

القاضي والقضا :

يقال ان سبب تولية " لتجور " له القضا هو أنه دعاه في بعض حوائجه ، فاستجاب الله لدعوة القاضي ، فأراد " لتجور " تقريبه اليه وجعله من خاصته فسأواه القضا .

ومن أشهر أعماله القضائية فتواه بوجوب دفع الزكوات الى " لتجور " وذلك عقب عودته من " سالم " بعد وفاة الملك " تفسير مابه جنح " واعلانه نفسه أميرا للمو منين في " كجور " فامتنع كبار العلماء عن دفع الزكوات اليه فقاضهم الى القاضي " مكل جخت " وكان قضاؤه أن قال :

" اني قرأت في الكتب أن الزكاة تدفع للامام " .

ومن أبرز مواقفه القضائية التي تتم عن قوة شخصيته امتناعه عن دفع الزكاة الى الملك " ديب وارسل " فقد أرسل اليه ذات يوم جابيا لجمع الزكوات فقال القاضي للجابي : قل لديب وار لا أوتي الزكاة واني لساع في منع النهب والسلب باسم الزكاة . وفي ذلك نظم قصيدة عربية وَلَغِيَّةٌ مطلعها :

يا حاجبا ساكنا حيث الامر سكن

وَقَلَمَ تَوْبَ فَبُورِبَ تَيْبٍ أَكْسَبَكُنْ (١)

ثم ذهب بالقصيدة الى الحاكم الفرنسي في " سان لوى " فمنع هذا النوع من السلب وأكد في المنع. (٢)

(١)

(٢) الأُدب السنځالي العربي ج٢ ص ٤٩ .

ومن مواقفه القضائية ما ذكر من أنه ^(١) : "ترافع اليه رجلان ذات يوم فأقام أحدهما الدعوى على الآخر قائلاً : فإن لي ديناً على صاحبى هذا وفي وقت كذا تحت ظل شجرة كذا ، والآن أنكر عليّ الدين . فقال القاضي لصاحب الدعوى :

اذهب الى هذه الشجرة وارجع إليّ بفحص منها ، أما أنت الذى أنكر هذا الدين امكث هنا وابق وانتظر ، ولما خرج صاحب الدعوى خطماً القاضي معه بعض الخطوات ورجع الى مجلسه . وقبل رجوعه الى مجلسه همس صاحب الدعوى " لا تذهب بل انتح زاوية وانتظر ، ولما طال الانتظار قال القاضي بغتة :

ان صاحب الدعوى لبطي* لم يرجع الى الآن ، فقال من بقي فسي المجلس : لأن الشجرة لبعيدة جداً ، فصاح القاضي نحوه " قد اعترفت بالدين وأقررت بأن صاحبك صدق في اتهامه اياك وأن له ديناً عليك انعقد أمام شاهدين ، الله والشجرة ، ثم دعا بصاحب الدعوة فقال له :

" لقد صدقت فالدين لك " . ^(٢)

ويمتاز القاضي بالذكاء الحاد والشجاعة الأدبية ، والجرأة والفصاحة وحضور البديهة وصفاً الذهن والعقلية القضائية والحرية العقلية والاعتداد بشخصيته العلمية والأدبية ، وكان يحب التحرش بالعلماء ومناظرتهم ومساجلة الشعراء . وكان نابغة زمانه في العلم والأدب والقضاة .

(١)

(٢) الأثر السندغالي ج ٢ ص ٨٣ .

وقد عاش القاضي في بيئة تعج بالقضايا السياسية التوسعية التي أدت الى حروب بين الطوك السنغاليين من جهة وبينهم وبين الشيوخ المجاهدين من جهة أخرى وبين المجاهدين والمستعمرين من جهة ثالثة : مثل جهاد " ألصام ما به جخ " وجهاد " أحمد شيخو " الذي حارب المستعمرين وقا تلهم قتالا مستميتا ، وكذا غزوات " دميل لتجور " التي كان الكثير منها من وحي القاضي الى هذا الطك الذي أولاه القضاء وجعله وزيرا وكاتبا ومستشارا له .

وقد أوحى اليه القاضي بحروبه تلك لهديه الى الاسلام ، وكان " لتجور " مدينا للقاضي في أغلب انتصاراته .

ويبدو أن القاضي قد خاب ظنه في لتجور وخيب أمله في اتجاهه الوجهة الاسلامية المطلوبة . لذلك فقد رأينا القاضي المستشار يسمت بلتجور عندما هزم من قبل الجيش الاستعماري بقصيدة رائية مطلعها :

أصدق في ادعاء الدين " لتجور "

أم انما هم في ذاك " كجور "

وما أن سمع " لتجور " بهذه القصيدة التي تفضحه حتى توعد وهدد وعرض القاضي للقتل . ولم يكن القاضي من ينقصهم الذكاء حتى يقع في شرك " لتجور " فقد شفع قصيدته تلك بقصيدة أخرى أشاد فيها ببطولة " لتجور " وجعله ناصرا لدين الله في " كجور " وهازما لجيوش أعدائه ، فقال في مطلع القصيدة :

بشرى لقد شاد دين الله لتجور

فأحيي اليوم بالاسلام " كجور "

ولما قتل " لتجور " طلب القاضي من الأُمير الفرنسي العودة الى
" كجور " . وفي ذلك يقول أحد الباحثين : " كان " مجتكل " الشيخ
الشهير مستشارا حكيما للتجور وشيطانا مهلكا " .

وقيل انه لما قبل القضاء من " لتجور " كان يريد أن يجعل ظلم
" جيدو " وقسا وتهم وهمجيتهم بعيدة من حدود الله ومبادئ العدل
والمساواة والاخاء الاسلامية ، وان سعي القاضي في الرجوع بـ " لتجور "
الى اقامة حدود الله قد لا م المستعمرين لأسباب أمنية وتجارية . (١)

القاضي والولاة المستعمرين :

حذر المستعمرون من ذرابة لسان القاضي وتأثير قريحته التي طالما
أيد بها ملوك البلاد مثل " لتجور " و " طبرى انجاي " بمدائحهم لهم
وساهمته الفعالة في الحروب التي دارت رحاها بينهم وبين الفسزة
المستعمرين .

وقد عدوه زعيما دينيا ذا مكانة عالية وكلمة مسموعة ، وهم من جربوا
مرارة القتال مع رجال الدين في هذه المنطقة ، ما جعلهم يضطهدون كل
زعيم ديني .

وقد حاول الفرنسيون اكتساب ولاء القاضي فعينوه قاضيا فخاب
مسعاهم . فاستدعي القاضي الى " سان لوى " وهناك حددت اقامته ،
فاحتج على ذلك بقصيدة ، الشطر الأول من كل بيت باللغة العربية

(١) الأُدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٥٧ .

والشطر الثاني باللغة الولفية ، وألقى القصيدة أمام الحاكم الفرنسي . يقول
في مطلع القصيدة :

هل من سبيل الى دارى وساكنه

يُولَا دَوْخَ وَيَمَهْ يَوْمَ فِتْلِ كُونِيَهْ

وقد عثر في الوثائق الوطنية السنغالية على خطاب القاضي الى
امير "أندر" في ١٤ من شهر تشرين الثاني سنة ١٨٨٦م يقول فيها :
لم تمنعني عن الرجوع الى دارى ؟ عشت عابدا الله وحده معلما
تلاميذى وأولادى حارثا حقولي . . طلب مني " لتجور " أن أكتب
رسالاته الى والي "أندر" ورسمت كل ما ألقى علي بلا زيادة ولا نقصان .
لا فعلت سوى ذلك فلم أك مرتكبا شيئا من السلب أو السرقة وما ظلمت
أحدًا ، وانما أنا قاض بين الناس بالعدل لا غير" . (١)

ولم نطلع على جواب من أمير "أندر" على هذا الخطاب .

ومهما يكن من أمر فإن القاضي لم يكن منعزلا عن أحداث مجتمعه
السياسية . . والاجتماعية والثقافية .

لقد عرف القاضي بسعة علمه وعلوكعبه في الفقه والأدب والتصوف .
ولم يأخذ عنه العلم الا قليل من طلبه العلم ذوى الهمم العوالي
والعزم الأكيد ، لما عرف عنه من تشديد في سلوكه التربوي والتعليمي
الشاق ذى ثلاث شعب .

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٦٢ .

فهو يمتني بالطالب من الناحية العقلية والنفسية والدينية ،
وقلَّ من بين طلبة العلم من يتحمل هذا السلك المثلث في التربية والتعليم ،
وخاصة اذا علمنا أن هذا المنهج التربوي الجيد يخالف ما درج عليه
معاصروه من العلماء الذين يهتمون فقط بإلقاء الدروس على الطالب ويهملون
ما سوى ذلك ، ولذا لم يكثر تلامذته غير أن القليل الذين تحملوا أعباء
منهجه كانوا جميعا من الشخصيات البارزة في مجال الأخلاق والعلم
والزهد والتربية ، ويكفيه فخرا أن من تلاميذه الشيخ الخديم أحمد بصة
الزعيم الروحي للطائفة المريدية في السنغال ، والذي عرف عنه السذود
عن حمى الدين والذي أقضى وجوده مضجع المستعمرين رغم أنه لم يكن
مجاهدا بالسيف .

وقد خلف القاضي لنا آثار علمية ، منها كتابه في علم اللغة والذي
سماه " العين " ، وقد ضاع هذا الكتاب في مدينة " جيس " السنغالية .
كما ترك لنا منظومة عروضية تتألف من أربعة وثمانين وثلاثمائة بيت على
بحر الرجز سماها : " مبین الاشكال " ذكرنا نبذة من أبياتها في الشعر
التعليمي .

كما خلف لنا ديوانا سماه " ملكية " ويحتوى على خمسين قصيدة
وهو الآن عند العلماء الموريتانيين ، كما ترك لنا قصائد ولفية وأخرى
عربية ولفية . (١)

(١) راجع كتاب الأُدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٥١ .

ويمتاز القاضي بشاعرية نادرة ، كما يتسم شعره بالتدفق والانسياب
والتعبير التلقائي السهل ، كما تتسم ألفاظه بالسهولة والرقّة والبعد عن
الاعراب والتكلف مع سلامة التراكيب وجودة النظم .

مختارات من شعره :

" كشف النقاب "

أصادق في ادعاء الدين لتجسور
أم انما همة في ذاك " كجور "
مروه يذعن ويخضع للملوك معا
وهل يراز النصارى البيض مقدر
ما اهتم منذ شب الا باحتساء طلا
حتى مضى يومه المعروف في " لور "
ان جاء ، عسكر " افليز " ^(١) قائد هم
فيهم " كندا " و " كيتين " و " دكتور "
وهم ينادى بأسماء المجوس الـ
أن جاء " لستر " و " دركن " ثم " ماجور "
حتى اذا اجتمعوا طرا رموا فرموا
بكس ^(٢) فافترقوا والجيش مكسور

(١) افليز : اسم قائد فرنسي .

(٢) كن : مدفعية فرنسية .

وهم يقولون ماذا الرعد حل بنا
 حيث الرصاص مع البارود منشور
 وأننا لا نرى الا هزيمتنا
 فجل جيشك مقتول ومأسور
 فثم ولّوهم الاربعة ديار فانهزموا
 بالذل فادعوا الاسلام في "جور" (١)
 وظن أن له منجا ومعتجما
 ان صار "جور" له سكنى وكوور (٢)
 فجاء بالدين حلق الرأس عمدته
 هل ذو حلاق بخير الحج مأجور
 حتى لقوه لدى يوم الخميس ضحى
 في "لوك" (٣) أيضا كلا اليومين مشهور
 مثلا بمثل فقد حل الغدير لهم
 من بعد تحريمه إياه والبيـر
 فللنصارى شئون من عجائبهم
 فلا تقل عوض ان أخبرتهم زور
 لله درهم في كل معركة
 أميرهم مستطير الشر محذور
 فهل أمير نحيه "بدو" و"جم" (٤)
 بل التحية فبنا اليوم "بنسور" (٥)

-
- (١) جور : قرية .
 (٢) كوور : قرية .
 (٣) مدينة في السنغال .
 (٤) وم وجم : كلمتا تحية بمعنى : هل أنتم بخير وعافية .
 (٥)

" في مدح " لتجور " بعد الوفاق " :

بشرى لقد شاد دين الله " لتجور "

فأحيى اليوم بالاسلام " كجور "

تففيه يأمر بالمعروف عسكره

كأنما جاءه من ربه النور

وهل ترى ناديا فيه تمر به

الا ويسمع تهليل وتكبير

يروع أفئدة الأعداء كتائبه

كأنهم غنم للأسد مذعور

فليدخل الناس طرا في طريقته

طوعا والا فسيوف الموت مشهور

علام قال النصارى " لا يزول لنا

ملك - وهل قيلهم الا أساطير

مار النسور مارا والضباع معا

منهم وهل جمع أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم

حيث الرصاص مع البارود منشور

لم يشتك الجوع من نسرو ولا ضيع

الا وهامهم في البید مجرور

أقام سبعة أعوام يبارزه

حتى رأوا أن جند الله منصور

فحاولوا السلم منه قائلين

" لك البلاد فهذا خذ " كجور "

تالله ما سلموا الا لما عهدوا
أيام لا قوك في " كونكول " وفي " لور "
و " لوك " بعد " مخ " فالسلم موجبها
لم يخف أنك يا ضرغام محذور
فلا يسوءك مدى الا زمان أنهم
فاجوك في " مخ " الثاني وفي " لور "
كم حاربوك حروبا لا تطيب لهم
نفسا وأنت قرير العين مسرور
خالوك منزعا إذ غبت ذا بعد
وإن ذاك من الأكباش تأخير
ومن " نداخ " جمعت الخيل يركبها
مرد علامتهم حلق وتقصير
مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد
غاطوا وفاروا كما قد فارتنور
يبادرون حياض الموت قاطبة
شم العرانيين أبطال مشاهير
ينازعون جيادا في أمنتها
ترنو إليهم نساء الجنة الحور
يمشى المشاة أمام الركب واحتفلوا
أقدامهم تشتكيها التل والغور
لهم غبار يكاد الجو ممتلئا
منه اذا قلت فيهم آمرا " سيروا "

سيرتهم فأجدوا سيرهم واتى
بهم سرى ثم إصعاد وتهجير
يقودهم عمك المختار محتزماً
كالليث ذى اللبد الشاكي أظاير
وقد طفاك بالتأثير أهل نهى
إذا مقال النصارى "مري لتجور"
لله درك من جمع قوائمه
باقى الشناء ليوم الدين مذكور
هل تغضبن لقصيد قلته وجلا
عند العدى إن ذا الأوجال معذور
لم أدر هل أنا تيس في السباع إذا
أم أننى في يد الصبيان عصفور
والله يعلم أننى لم أكن أبدا
أهوى أناسا أحبيهم "بيونور"
وما "كمنك" و"كبتين" لذي ولا
"سرسان" ولا "كولونل" إلا اليعافير
ولا "التلايور" ولا "السندرم" معهم
"كبلار" قائدهم الا خنازير
وهم جحاش أتان بيننا نهقت
از أحدقوا لتداويهم بـ "دكتور"
حمدا إذا ما النصارى أخرجوا فلنا
من بعدهم لديار الدين تعمير

أخرجتهم بحروب ذكرها أبدا
باق بقاء جبال الأرض مشهور

*

" تحذير من الاختلاط والبدع " :

فتب الى الله توبا خالصا حسنا
لازم حياتك يا باغي الهدى السننا
ومن أتى غير مسنون فقربته
مردودة شَرَرٌ كَمَا عَلَّمْنَا
فصار ذا الدهر من لم يأت من بدع
فهم يقولون هذا المرء قد رعننا
وان أشرت الى ترك ابتداعهم
تكن لهم صدقا اياك والحزننا
هر الكلاب فلم يولف له ضرر
والله حافظ من يهدى لما حسنا
نعوذ بالله من عبد يحلل ما
قد حرم الله مكر الله قد أنما
وباعدوا بين أنفاس الرجال وأن
غاس النساء كلام صدقه متنا
تالله دين أتى رفع الخرائد من
أصواتهن بمندوب لقد زمننا
من بعد ما كان في الفروض مستعنا
ان الشياطين يوحى بعضهم فتنا

فما الدليل لمن يأتي الجواز بهذا
الا التمرد والاتباع من شطننا
لأن تحريم ذاك الرفع أظهر من
شمس الضحى كل آفاق فلا تنها
لنا الا دلة لا يحصى لها عدد
آى حديث واجماع ذروا الفتنة
ان الشريعة ما ترضى وما قبلت
بشاهد وامام أهله أذننا
الى الخروج لهذا غير معتذر
وراجعن كتب الاعلام والامنا
اهانة الشرع والتعظيم ما اجتماعا
خافوا اهانة هذا الدين يا فطنا
بدا غريبا كما قال النبي به
وعود غربته قد كان معتلنا
كفى من القبح ان لم يأت فعلهم
دين النصارى يهود فتركوا الدنا
لولم يكن غير تحقير الا جانب من
طوائف ديننا يكفى لنا الوهنا
وهم يظنون جهلا أن يشبههم
مولاهم وهؤلاءك الجمع قد لعنا
بالله والله تالله العظيم فمن
أعانهم نال ما للعن مفتتنا

وكل من سكتوا في ذا وقد قدروا
تغيير اثمهم في الشرع ما كمننا
ثم الصلاة وتسليم الاله على
هادى الخلائق آل صبيه الخدنا

أحمد عيان سه :

ولد "بأندر" في ١٢ من شهر نيسان سنة ١٩١٣ م .
وأبوه عثمان سه وأمه السيدة آمنة جلو . .

وقد تشقف على والده في علوم الدين ، كما درس على المعلم "مودآج"
كثيرا من علوم الدين ، ثم درس التصوف على والده وأخذ منه الورد التجاني .
وقد درس الشعر والعروض على يد السيد محمد عبدالله بن فقا الدو* لي
الموريتاني . (١)

ويعتبر شاعرا من فحول شعراء العربية المعاصرين في السنغال ،
ويكاد يقف شعره على المديح النبوي والمديح عموما ثم الرثاء* فالقضايا
الوطنية والاجتماعية .

ويمتاز شعره بالتدفق والسلاسة وجودة السبك وحسن النظم
وحيوية التجربة وصدق العاطفة بعيدا عن التكلف والتقليد .

*

مختارات من شعره :

* مسطرة نبوية * :

مالي غزال لحظ الغسزال
أخو الدلال برح الخيال
رد السلامنا لنا وقامنا
بيدي ابتساما مثل الهلال
لكن جفانسي لما رآنسي
في الحب عاني بادي اهتلال

صبرى تهنأوى عن وصل آوى
فلن أساوى منها بحال
مثل الكتيب مثل الخطيب
وللحيب بلا نسوال
مهدى الأيادى دأبا بدادى
مغنى الأعادى يوم النزال
على المنار باد الفخار
مثل النهار وقت الزوال
من يدن منه لم يسئل عنه
اذ فيه كنه أسنى الخلال
بدر البدور فخر الدهور
مجرى الأمور على اعتدال
ذاك الأمين الكنز الشمين
ذاك المكين بلا جدال
ذاك الرسول البر الوصول
الهادى الجليل عين الكمال
هو الرؤف البر العطوف
له زخوف على التسوال
أصحاب طه بهم يباهى
لهم تنهى كل الكمال
أسرى الاله به اصطفاه
على سواء مدى الليال

يا مصطفى يا خير البرايا
كن ناصري يا بدر المعسـال
الى الطباق على البسراق
بلا شقاق ولا جـدال
أسرى فحلا قرب المحلا
جبريل ولي دون المنـال
فلا أنبياء منه استضاءوا
اليه جاءوا في كل حال
صلى اما بهم اماما
ثم استقاما لذي الجلال
فنال فيه من مصطفىه
ما يشتهي من الكمـال
أتى بخمس لكل نفس
تضحى وتمسى مثل الزلال
قاله الأعلى للذكر الأعلى
بالليل يتلى وبالزوال
له الكتاب المستطاب
فيه الصواب لكل تسال
هو المراد لمن أرادوا
هدى وحادوا عن الضلال
هو السلام هو الامام
فيه الحرام مع الحسنال

فيه الحقائق فيه الدقائق

فيه الرقائق لذى المعال

فيه العجائب فيه الغرائب

فيه الرغائب لذى السوال

هو المبين الحبل المتين

به الامين أخو المحال

هو المنير عذب نـمـيـر

به أسير بلا كلال

به عنيت به رويست

به أنيت أخا النصال

به سقيت من اعتيست

به جنيت أهل الدوال

به اكتفيت به احتيست

صاخشيت من الرجسـال

به أفوق قومي أروف

به الوثوق عند النضال

بسر فزت لما عجزت

لذاك حزت أطي الكمال

بمدح هادي كل العباد

أرجو الأيادي مع النوال

اني فقير ذنبي كشيـر

أنت القدير على امثـال

يا ذا الجلال يا ذا الجمال
يا ذا المعال زيبين فعال
ربي تعالى أرجو اتصالا
منه بما لا يغني بمسال

حقق مرادى وأملأ فؤادى
بسر صيادى خير الرجسال
أفنى علينا مما اشتبهينسا
فيضا يرينا أعلى امشال
وصل ربي على المربس
وذاك حبي طسه والآل

*

"حنين الى كولخ " :

ربيع ليلى بقنة الريحسان
عم صباحا سقاك كل يمانسى
ما سلونا ربوع ليلسى ولكن
طال عهدي بأهل تلك المغانى
لست أنسى ظبا " كولخ " فيها
وظبا القنا وعين عمسان (١)

وشهروا بها كشهر ربيعــــــــــــــــع
وسنينا كقرة النيســــــــــــــــان
وبدورا بها فتن عــــــــــــــــولا
ولحاظا بها رمين جنانــــــــــــــــي
وظبيما بها أغن كــــــــــــــــيلا
فاتنا فاطر الجفون سبانــــــــــــــــي
فتن القلب دله فشجــــــــــــــــاء
يا لقلبي من ذلك الفتــــــــــــــــان
لا تسلي عن غيرها فهوــــــــــــــــاهــــــــــــــــا
بلغ الحد في الهوى والهــــــــــــــــوان
وقريض من الحبيب أــــــــــــــــانــــــــــــــــي
كمقود الجمال والعقــــــــــــــــان
خلته للسبيوط قدما جليــــــــــــــــسا
رونق الشعر من بديع المعانــــــــــــــــي
طالما قد شغفت مني قريــــــــــــــــضا
جر ذيلا على قريض الزمــــــــــــــــان
ان نسج القريض طوع جنانــــــــــــــــي
ولساني وكاغدى وبنانــــــــــــــــي
وخفيف القريض عندي خفــــــــــــــــيف
وطويل القريض طوع لسانــــــــــــــــي
أخذ الشعر من طريق جرــــــــــــــــير
وجميل وعروة وأبــــــــــــــــان

وسهيل ومعمرو يزييد

وأبي طيب وشعر الأغانسي

هاكها بنت يومها قد تبدت

ربعة القد من رياض البيان

*

" هفتات الى أهل السنغال " :

يا أهل " سنغال " لاعاد اكمل الزمن

لم لا تسير بكم نحو العلوق سفن

فلتشرعوا ساحرة الأعداء رماحكم

فلتختلن منهم الأذقان والوتن

برهفات كلون الملح ساعدها

في طعنها ساعد ما مسه وهن

جيوشكم يكشف الألباس طالعها

وكل قلب عراء خوفها حزن

يكفي مقدمة الحساد طالعها

ان لاح سيف صفت مرآته حسن

خلاصة سرها الوهاج زورقها

فيها النجاح وفيها الأمان واليمن

مسالك أنبتت وردا ولاح بهما

وشي ألح عليه العارض الهتن

ينبوع نيلكم تشفى مواهبه

وعقد جواهركم ماشائه درن

وانما الاُحر الكهريت وصلكم
فعنه ما أن تصان الروح والبدن
وما سامركم يبغى به بسدا
وليس في أمره بخس ولا غبن
فلتتفوا درر العليا لنخبتم
نصيحة كلٍّ عن أمثالها لسنن
فعلكم فيه ما يكفيكم ولكم
في أرضكم مستقر واسع حسن
فلتقرّوا علمكم ولتعمروا بلادا
قد طاب فيه على سكانه المدن
وفيكم كل ندب طبعه سلس
تجلى بطلعته الضراء والشجن
وفيكم خرد بيض عوارضها
سود الغدائر في أصواتها الغنن
والناس في كل فج لا تزال لكم
تحدى بهم راقصات العيس والسفن
وعندكم كل شيء في حضارتكم
وفي بداوتكم ما مسكم أفسن
فلتجمعوا شملكم لله دركم
للمجد حتى تقرأ العيمن والأذن
ولا تكونوا عباد الله أزلقة
شتى فتخط جبرا منكم الفنن

ماذا التدبير والاسلام يجمعكم
والطبع واللون والانساب والوطن
فلا يطب في سوى العليا مقامكم
ولا يطب في سوى العليا لكم ظعن
صلوا عقود حبال الوصل بينكم
ولا تكن بينكم يا قومنا الاحن

*

"عمارة الأرض" :

الى الأرض أوبوا بالهنا وتقدموا
لاصلاحها فهو المهم المقدم
ألا فابذروا الأرض الكريمة واعمروا
منازلها ماشئتم وتنعموا
فبالبذر تحي شهبكم وصفاركم
وينضم فيه شملكم وينظم
ومهما تركتم بذركم تتبددوا
وتضعف قواكم هاهناكم وتندموا
ولا تجعلوا سقيا مذاربها دما
فمن حقها أن لا يراق بهياد
أرى الأرض لم تخلق لسفك دمائكم
فان الهى بالبرية أرحم
ولا تتركوها للأجانب فرصة
فللحر رأي في المواطن أحزم

فحق لاوطان الفتى أن يصونها
ويبني فيها ما غدا يتهدم
ويصلح فيها ما يخاف فساده
ويلقي فيها بذره ويمسك
فأوطانكم فيها دوا ما تنافسوا
ولا تزهدوا فيها ولا تتعشموا
أليست من الأشياء طرا بلادكم
أهم إليكم والمهم المقدم
فقيمة كل الناس ما كان عاملا
فيصفر فيها تارة أو يحظم

*

* رسالة الشاعر :

ان أغمدت حارثات الدهر بتاري
فسوف أعمل أقلامى وأسطارى
فسوف تسمع أو فسوف تبصر ما
يلقيه مجدى لأسماع وأبصار
ان ألبس الشعر أقوامى بمحمدة
فسوف تلبسنى بالحمد أشعارى
انى أحب بلادا كن لي وطننا
عصر الصبا وأفديها بأخطارى
ان لان سبي فما أن لنت عن خور
كلا ولكن سبي في العدا جبار

والشعر ما بعته بالخس معتمدا
لكن قصدت به ايقاظ أنظار
فما أخذت به فلما أريد به
نفعا فيزداد بالأشعار اضراري
فاربأ بنفسك عن جهل وعن سفه
وعن عداوة ذي جهل وذي عار
يا موطننا عاش فيه الحرذا نسب
قد هاج ذكرك لي الأشواق كالنار
قل للعدو مللنا من ولايتكم
لا نرتضيك وصيا بين أعصار

*

" دموع على الشيخين " :

وقال يرثى الشيخين الطالعين في الأفق الاسلامي طلوع
النيرين ، ابراهيم جوب وأحمد كي رحمهما الله :
أنا عرضت بسلع دارس الطلل
أجريت ما كان في عينيك من بلل
وقفت في الدار محزونا تسائلهما
عن ساكنيهما فلم تسمع ولم تقل
وأجهل الناس من يبغى الجواب لدى
ربيع محيل بعيد العهد بالحلل
يظل فيه سوام الريح منجفلا
بعد الأوانس والألحاط والكلسل

كأنني لم أبت فيها بمنتـزـه
سامرافتية شما ذوى جـدـل
كالشيخ أحمد من بفضلـه شـهـدـت
معاصروه من الأـصـحاب والخـوـل
وذى المدارس ابراهيم من صـدـرت
(١) منه بحور علوم لسن كالوشـل
هو الامام الذى عمت دراسـته
كل البلاد بعلم غير متـنـذـل
قد كان بدرا منيرا نستضـى به
وسط الدجنات من حاف ومنتـعـل
فليبكه كل ندب كان علمـه
بالنعت والعطف والتوكيد والبـدـل
تبكي العلوم التي قد كان يدرسها
(٢) للواردين من الاشراق للطفـل
الفقه يبكي ويبكي النحو مجتهدا
يبكى الحديث مع التفسير بالمـقـل
جازاه ربي عن الاسلام قاطبـة
خيرا وحياء في الفردوس بالحـلـل
قد كان للدين ابراهيم منتـصـرا
والشيخ أحمد معونا لذى أـمـل
وقد قضى الله في وقت حمامـها
والله يغفر منهم جملة الزلـل

(١) الوشل : الماء القليل +

(٢) الطفل : بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب .

قد شط قرن لموت السيدين كما
يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل
السيدان الكريمان اللذان هما
في الصالحين كخير الخلق في الرسل
هما امامان كانا في الظلام سننا
وفي الهواجر بين الناس كالظلل
هما اللذان أعاد الله نفعهما
لساكني " سانلوي " في العلم والعمل
لولاهما لغدت أبناء هجما
لا يهتدون نهارا واضح السبيل
لولاهما كانت الجهال غالبة
أهل العلوم مع العادات والحييل
يا أهلهم أبشروا من بعد صبركم
برحمة الله تفشاكم على مهمل
ومن على الأرض فان لا بقاء له
ولو تمطى الى الجوزاء أوزحل
أين الملوك التي من قبلنا سلفت
وأين أصحاب ذاك الملك والبدول
أبادهم صرف دهر سوف يلحقنا
بهم غدا فلتكن منه على وجل
ثم الصلاة على المختار من مضر
والآل والصحب أهل العلم والعمل

* تحسر على موت الصديق * :

وقال يرثي حبيبته وصديقه الشيخ الأمام السيد الخليفة رحمه الله .

مات الامام وكل الناس في حزن

فلتكنه مقلّة الاسلام والوطن

ما زال مذ هو في فجر الشباب فتى

يبنى المكارم في سرّ وفي علن

حتى بنى لبني دنياه مكرمة

لا تنقضي بانقضاء الجيل والزمن

له عوارف أسرار لو اجتمعت

في قنة الطود خرا الطود ذا قن

ان جئته جئت شيخا عالما فطنا

يفنيك عن كل شيخ عالم فطن

فلتكنه كتب التاريخ يكتبها

وليكنه مجمل القرآن والسنن

وليكنه النحو والتوحيد معتقدا

وليكنه الفقه من فرض ومن سنن

لا لوعة تترك الاكباد سالمة

وفیضة الدمع فوق الخد في هتن

نار الاسى أحرقت قلبي فواشجني

لو كان يطغثها في القلب واشجني

لو كان يقبل هذا الدهر فديته

لكنت أول فاد منه بالبـ

ان المنازل في وحش لما ازدهرت
بك البرازخ اذ لففت في الكفن
كأن نعشك شمس اذ تسير به
ضيغا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن
يخال نعش حسين في بكا وأسى
بكر بلا بين مكبود ومتهــــن
أعواد نعشك مذ مستك لو علمت
لاؤقت فوق هام الناس كالغفن
شماثل مثل ضوء البدر لو مزجت
طبع الدجى لم يبت يشكوه ذو فتن
دقائق لك في الأخرى زجرت بها
قلوب من عظموا الدنيا بلا ثمن
باتت تسائلنا في كل مشكــــة
عنك المسائل اذ غادرت وأحزاني
لو يبتغي الكون شيئا مفردا علما
لكنت للكون شيئا مفرد الزمــــن
أو يبتغي الميت في الأعضاء مقبرة
دفنت في القلب والعينين والأذن
أولم يخل عدد الرسل الكرام لنا
لكنت ذا عزم منهم وذا رــــمن
رثيت في الذكر والأسفار لو سبقت
حياتك الخير أحييت نسمة الوسن

يا راحلا تحت ظل الله مستترا
ومكرم الضيف أسمى ضيف مؤتمن
هذا مقامك عند الله معتمدا
فارق إلى الله محتازا بكل هنى
تسألوا من جنان قد نزلت بهما
مأوى نزلت أم الفردوس في القنن
في عليين مكان الرسل منزلكم
ترى هناك جمال الله أنت فنى
قالوا رأوك طليق الوجه مضطربا
كالطير ينقل من غصن إلى غصن
وان علا زاد في الأبرار عافية
وان هوى فرج الأشرار عن فتن
فليعمل العامل الراجى لطائفه
لمثل ذا كنت في الدنيا على السنن
جاورت ربك في الفردوس مهتسما
وجئت قومك في الفردوس بالقرن
أبكى عليك ولم أبرح ببحر أسى
إلى اللقاء غدا في جنة عدن
وانني لك رات بالقريض فما
يقضي القريض لعمري حقكم زمنى
لولا مغالبة الأشجان في خلدى
لقلت فيك رثا في الدهر لم يكن

روحي فداؤك يا من روحه طلعت
لحضرة الله حيث النور في علو
في روضة ذات أنهار وأبنية
من رحمة الله فاسكن غير متمحـن
يهاب سوء لك لولا حكمة سبقـت
ملائك الله كم قدمت من حسن
في نعمة الله نم للحشر مفتطـا
فرحمة الله تغشى الروح بالمنن

*

* وداعا يا تلامذتي * :
وقال يودع تلامذته الدّكاريين :
إذا ما الركب شمر للذهاب
وأذن للمواطن بالإياب
فودّع ما استطعت وحي ناسا
نزلت لدى بيوتهم الرحاب
أناس في دكار * لهم عطايا
(١) وأحلام من العجب العجـاب
وكلهم له كرم ومجد
ومعرفة بعاقبة الصواب

(١) دكار عاصمة السنغال.

إذا وضع الثقاب رأيت حــــرا
جميلا وجهه تحت النقبــــاب
فمن دار السلام لهم نســــيم
يشاهد في ابتعاد واقتــــراب
فما منهم يرى الا رجــــال
يرى نور الجمال بلا سحــــاب
إذا نزل الغريب بهم تــــراه
وما أن يشتكي ألم اغتــــراب
لهم في ساعة العلم اقتــــراب
وليسوا للسقاء ذوى اقتــــراب
وشغلهم كتاب الله دأبــــا
وقد ألقوا سواء من كتــــاب
تراهم قارئين بكــــل آن
جميع العلم من باب لبــــاب
وقل للسائلين هناك عنــــهم
وعن أخبارهم طرا كفى بــــي
ولم يك فيهم الا ظرــــيف
خبير باللغات وبالحســــاب
أديب من أديب من أديــــب
عباب من عباب من عبــــاب
جواد من جواد من جــــواد
سحاب من سحاب من سحــــاب

أريب من أريب من أريب
لباب من لباب من لباب
وقاهم ربهم شر الأعداء
وكان جنابهم خير الجناب
ويجمع شملهم ويصون منهم
نفوسا لا تسير إلى المعاب
وبؤانا الاله بلا حساب
غدا جناته وبلا عقاب
رعى الله دكار وساكنيه
من الاخوان فيها والصحاب
وصلى الله لمحبة كل بشرق
على المختار مفتاح كل باب
وما أن قال مشتاق غريب
إذا ما الركب شمر للذهاب

*

"لقاء بعد طول افتراق".

وقال يرحب بالتلاميذ عند مقدمهم اليه في "سان لوى".
بشرى لنا فلهال السعد قد لاحا
والبشر عنا أزاح الغم وانزاحا
والجوطاب وريج النصر جارية
والروض من عرفه الوردى قد فاحا

وأصبح الماء عذبا سائغا وبدا
للقلب ما يشتهي فازداد أفراسا
والدهر أصبح يزهو في غلائله
يجر أردانه في الأرض مرتاحا
بشرى بمقدم سادات علوا همما
فكلهم لاكتساب المجد قد لاحا
بالبذل قد عرفوا قدما ولو سئلوا
أرواحهم بذلوا في الحين أرواحا
قد رجعت " سنلويسا " روحه وزها
وسرّسور كما شئناه وارتاحا
هذي شمس " دكار " حل طالعبها
فينا فكل بما يخفيه قد باحها
أهلا بها من شمس كلما طلعت
طاب الهوى واستنار البدر وانصاحا
من مد راحا الى إدراك سميعهم
قد أتعب الروح في سعاها والراحا
هذا ولا زال رب العرش يكلوهم
ما يخافون أساء واصباحا

*

" حد الحب "

الحب شيء عجيب لا حياء له
يسعى بلا دعوة نحو الأحياء

يسقى القلوب كوؤسا من صبايته

فيها الشفاء وفيها لاجع الداء

*

"سلطان الهوى " :

أرى شوقي عليّ بكل حال

أميرا أو بمنزلة الأمير

كتمت هوى سعاد فتم دمعي

بما قد كنت أكتم في ضميري

*

" لا تجمع بين القبيحين " :

انظر لوجهك في المرأة معتبرا

وان يكن حسنا فافعل مناسبه

وحيث كان قبيحا افعلن حسنا

ان جمع قبحين حق أن تجانبه

الشيخ الهادي توري :

هو محمد الهادي توري المشهور بشيخ هادي توري .
ولد سنة ١٣١٥ هـ - ١٨٩٤ م في " فاس " وهي قرية أسسها والده
شيث ، حفظ القرآن الكريم على يد والده ، ثم ذهب الى " تاون " حيث
قرأ على الشيخ الحاج مالك سه رحمة الله عليه علوم الدين والدنيا
مثل الفقه والتفسير واللغة والأدب العربي والرياضيات والفلك .
وكان فلاحاً معلماً وعالماً شاعراً زاهداً وفلكياً بارعاً صنع ساعة
تأخرت بخمس وأربعين دقيقة بالنسبة الى الساعة الرسمية . (١)
وكان له مؤلفات في الفلك والحساب منها :
" تحقيق المقال على ظل الزوال " و " كشف جلياب اللباس عن
أوقات الصلوات الخمس " وكتاب " تبصرة الطلاب بمبادئ الحساب " .
وكان له ديوان يضم ثمان وخمسين قصيدة . وقد ضاع مع حقيبه
له في سفره الى الحج وكان يريد أن يطعمه في الحجاز . (٢)
وقد عثرنا على بعض أشعاره في " ايفان " بالسنگال وان كان
أغلبها أجوبة الى خاله مرصا صم ابن القاضي مجخت كل وتلبية لندائه
الى الاخذ في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره .
وقد جمع شعره بين وعورة الألفاظ ومتانة النسيج وجودة النظم
وأعرابية الأسلوب قلباً وقالبا .

(١) الأدب السنغالي العربي ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٠ .

مختارات من شعره :

" حب على طريقة القدماء " :

لمعان برق الليل نحو المشرق
أبدى هوى قلبي بنور مشرق
أه على أطلال دار أحبة
لي البرق خيلها كروء يا المخفق
فتخيلت لي دار عزة والربى
ب وفرتني والكسل كالمحقق
فوقفت أبكيها ولا كبكاء خنـ
سأ على صخر ولا كالخرنق
أبكي عليهم بالدموع ويـزدرى
صوب الدموع حيا السحاب الدفق
أفلا أبكي فتية غرا كـرا
ما مرفرى اللفغان عند العلق
أفلا أبكي فتية أهل القرى
ومزودى الضيفان عند تغـرق
أبكي عليهم في الحياة وإن أمت
قسم البكاء على جميع العشـق
أبكي عليهم ما حييت وإن أمت
وكت من يبكي بدمع مطـبق
والعيش أحسن عجوة ومياههم
كالسبيل فضيفهم كالموهـق

والنخل باسقة لها طلع نضيد
خدرزق كل موء مل مسترزق
أعوامها مثل الشهور شهورها
مثل الليالي ليها كالمبـرق
ونساوها حورحسان خـرد
ظبيات وجرة كاملات الرونـق
فلئن رنن فذاك أقتل للفتـى
من ضرب أسياف ورمي البنـدق
ان قن أوهمت الخصور بأنها
أشال أحفاف بدعص أمـبق
يقتلن بالغنج المليح مخاطبا
وفتور أعينهن عند المرهـسق
رق الخصور وراق دمعي دهشة
وكفلت بالكفلات زيد المخـرق
يتركن أفكارا ريب بحيرة
ويملن قلب المتقى للمعـسق
فحذارهن فهن عين الغول لو
لاهن لا يلفى الجنون بمطـبق
يا راكبا وجناء مرقا لامـتى
أرعى الزمام لها سواها تبـسق
بسرائها مثل الرماح وعينـها
مثل الزجاج ورأسها كالمطـرق

تختال في رمل التلاع وتوقد الـ
خيران في حزن أمام الأينق
أرخص الزمام لها وأوب دائماً
ونذر البطالة فهي شر معسوق
وإذا وصلت الحي فاسأل دارهد
من ولفن عني أمانة معشوق
راد (١) تخجل فيه بيوها (٢) وجهها
بدل السراج لدى الدجى للطرق
لا علم لي أبقد ها أم خدها
أم جيدها أم قولها المتفرق
تسبى العقول وتسترق قلوب جند
سبي غير أني كالأسير الموثق
والقد غصن واللهيب كخدها
والجيد جيد الريم عند المطرق
لونال نوسقم بغيها قلعة
كان الشفاء له بدون ترنق
كنت السعيد بلهوها ودلالها
وغدت تباعدني فالآن أنا الشق
لرهقتني يا ذا الزمان بفقد ها
فجزاك ربك يا زمان برهق

(١) ناعمة غير طوافة.

(٢) البيوح : الشمس .

أنا بعدها ما بين جوف سهامه
وتجاوب لصياح كل مطـوق

*

"مناجاة الحمامة" :

فأقول عند سماع نوح حمامة
يا جارتى ماذا دعاك لأُـمـق
ما تشتكين أتفدين معيشة
أم خلة وأخا يموت فتشـهـقـي
ذا ساق حرّموا نساك مخلصا
لك وده ماذا طلاك فانطقـي
وتنزهى بين الرياض وبخترى
بين الحياض وغردى وتمشـدقـي
أما البكاء فلم تكونى أهـلـه
فدعى البكاء لذى الفؤاد المحرق
فلو ابتليت بما ابتليت بمثـلـه
لذريت دمعاً كالحميم المذعق
فقفى نبك ولا نمل ولا نـمـي
مل للائم وثياب ريشك شقـقـي
نبكى على ليلى وما يدريك مـن
ليلى فلو تدرينها لم تطـرق
مهما تذكرت المسامرة التـسـي
جادت بهالى بالبكاء اشـرورق

مغامرة عربن أبي ربيعة الأفرقي :

فلرب ليل مثل ابهام القطا

(١) بتناه فوق سريرها في عيهق

لا سيما ليل طرقت خباها

(٢) وهنا وبتنا في تمام المأنق

فكان بردى من مباشرتي لها

من بعد فرقنا لطيف الزئبق

حتى اذا استبدلت نكهة ثغرها

من أذفر السك الذكي المعبق

نبج الكلاب وصاح ديك الحي وان

تشر الضياء فبابنا كمصفق

قلقت وقامت تشتكي غير الرقيـ

ب ووجهها متغير للمقلـ

قالت لاشفاق الهلاك علي يا

هذا ألا تحت السرير اخربق

كشر الرجال على الطريق وكلهم

يطل غيور رمحـ ذو مسـرق

فأجبتها والله لست بفاعـل

وستعلمين بأنني لم أخفـق

(١) عيهق : سرور.

(٢) المأنق : تمام السرور.

أما القتال اذا تعرض لي فلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقـــــــــى
علم القرون بسالتي وتقدمـــــــــي
في الحرب مثل الخادر المستمزيق
فليعلمن بأنني أسد لـــــــــه
ناب وأظفار سراع المرشـــــــــق
بكسي عليهم ما استطعت فانهمـــــــــ
همد بهم حد البكاء استفرقي
ان كان فيهم والد لك أو أخ
فعليهما اظن ثيابك شقـــــــــي
وسللت سيفاً مثل برق دقـــــــــة
وتلا لواء الحيد من سم سقـــــــــي
عضب اذا وقف الذباب بحســـــــــده
قطع الذباب فياله من محذـــــــــق
فحديده من خالص الكبريت بالـــــــــ
قدر المواتى من صفى الزئبق
ما بالكثير ولا القليل تجاذبـــــــــا
كـــــــــي لا يكون كأنك أو مخـــــــــرق (١)
بل قدر كل منهما متوســـــــــم
فلذاك ليس بمخصر أو مزلـــــــــق
فاذا تجســـــــــد في الظلام ترى له
ألا كنور البارق المتألـــــــــق

(١) الآنك هو الأشرب وهو الرصاص الأبيض .

ذاك السلاح اذا تمكن في يدي
فسلاح غير مثل عود الخربسق
وفتحت باب البيت بعد تزودي
منها بقلبة ساقب عن مفروق
وبرزت من بين الكماة كهنيس
يأتي بظلم ثم غيظ محنق
فصرخت فيهم صيحة جزعت بها ال
أطفال من مخس ومن مستزهبق
لقلقت فيهم كي يصيخوا كلهم
قولي وقد فعلوا بغير تفروق
حتى أراني كالامام بخطبة
يوم العروبة للمنابر مرتقى
قلنا لهم والقول حق بعضكم
بي كان يسمع وهو غير محقق
من كان يعرفني فذاك أنا ومن
لا فليصغ رجلا فصيح المنطق
اني امام أسود بيشة كلها
والأسد ان رأت الصفوف تمزق
صعب مصارعتي ومرصري
سل ذائقني يخبرك بالمتحقق
لا ينكر الا قران بطشي في الوغى
بل بعضهم عني ببعض يتقى

من ذاقني يوم الطعان يمجنى
اذ حنظل ان ذقت مر الطمع
سيفي خفير الموت وهو رأيتمو
ه مسزق الاشخاص كل مسزق
يبتل من دهن الدماغ بعيدا
قيد لترس كان فوق المفارق
فلربما بارزت وحدي فتية
كعديكم بطعان رمح مرزق
وأثرت فيهم قسطلا متراكما
طاشت به ألباب ذاك الفيلق
حتى تبدل ليلة ذاك النهـ
ر وما النجوم سوى السيوف البرق
أطلقت فيهم صائحا شبه الشبه
بأوالعيرير عنان طرف أبلق
يجرى فتفلق الأوجة والقوا
رير العلية من دوى المصدق
حتى اذا استصدرت في غاب الوغى
ومعي خفير الموت نير مألـق
فحملت حلة ساخط متسلط
فتك قتول مهمد مسترهبـق
جلنا به فيهم وطل دماؤهم
وأملت شوكتهم فظيع تدهق

فتفرقوا ما بين مقتول لقـــــــــــــــــى
ومعبد وأخي الفرار لمرهق
وغدا الجواد مطأطئا نحو اليميد
من مع اليسار برأسه من مأنق
أذناه مثل يراعتين براهما ال
كتاب ناوى أن يشي في مهرب
كرار أعداء الجحافل هيكل
مخلوق عرد نقي الســـــــــزرق
رديانه طيران باشق باشق
يكفيك عن جرى لسبق المطلق
ومطاه يهرب حابيا متطـــــــــــــــــاولا
أعلى نرى نيق الجبال الشهبى
فكأنما وقع السنايك في الكدى
زند المقدح أوحايب مخفق
فاذا تمطاه الخفيف هوى وقب
(١)
ل سقوطه ميلا يجوب بمسحق
ضخم السنايك معرق أرساغه
(٢)
مهما يجار بخلبة يدرنبيق
فهو المجلل والمصلل معسرق
عكس له فلمشيل ذالم يعسرق
ساط أقيدز لا أحق ولا شـــــــــــــــــئ
ت مجمع بحر وليس بأفسرق

(١) المسحق : الجرى السريع .

(٢) يدرنبيق : يقدم .

واذا وقفت به الورا^١ لحاجة
عرضت يجاذبني اللجام ويطرق
يشكونا بلسان حال أنني
كفته خجلا دها^(١) بمخرق
ويموم من بين الخيول وان جرت
طلقا أمام جميعها يستسبق
فلذا لكم يوم اللقاء ركوبتي
ولرجلتي أيضا كصاب مذعوق
عرفتكم نفسي وما فاجئتكم
فعليكم الأسياف حتى نلتق
لما دعوا مني الكلام وأيقنوا
أن الطلاس من قساور قد تق
وتأملوا سيفي وليس مشابها
لسيوفهم والحد داهي الحيلق
قالوا جميعا مالنا من طاقسة
ببراز مثلك فهو ليس بأليق
ان الشجاع وأنت ذاك اذا رأى
مترحما يرش الغوار ويشفق
ان اللثيم ولم تكنه هو السذي
لا سلم يقبل عند نيل المصدق
أغمد خفير الموت يا هذا الهما
م ولا ترق بدمائنا وترفق

(١) المخرق : الحيا^٢

أنت الأُمير وأنا كنا هنا
مثل الرعية والعيال الرفُـق
فاحكم بنا ما أنت تحكم اننا
بك لوذ وبك النوائب نتقـى
فرجعت عنهم دون فتك رحمة
ورضى بقول سالم مترفـق
هذا فخارى لو عُنيت به لنا
أُفـيتي الا كمثل الصيـد
هذا فخارى هل عثرت بمثلـه
لسواى في جيلي فقل لا تصدق
ونسر بالجففات ضيفنا واردا
والمعتفين قريض لحم الخردق
ونميح للمتاح مهما جاء لنا
بجزيل مال للجزالة مخدق
يأوى إلينا الجار عند شدائد
حلت به فنجيره من مخفـق
عهد العفاة ديارنا لا سيمنا
دارى لكون مؤملي لم يخفق
بذال مالي للرفيق وغيره
بل لست زاجر باسط عن مشق
ولذا حديثي لا يمل لأنني
عذب الدعاب ومرفق المسترفق

" زهو على طريقة المتنبي " :

وأقول شعرا لا وجود بمثلـــــــــــــــــه
أفكار غيرى من جميع الحـــــــــــــــــذق
أنا شاعريا صاح لا متشاعـــــــــــــــــر
شتان ما بين العبي والاشـــــــــــــــــدق
أتى بنظم دونه وشي البـــــــــــــــــرو
د ولا يرى مثل له لـــــــــــــــــرزق
بقصيدة طنانة رنانــــــــــــــــة
(١) حسانة تتسبك زينة ديســــــــــــــــق
أكسى القصائد بالبديع ملايســــــــــــــــا
فوق الحرير فتزدهى للروــــــــــــــــنق
قول الهجاء واننى لقلــــــــــــــــلــــــــــــــــه
أفرى به عنق المهاجى الاــــــــــــــــجــــــــــــــــوق
فاذا هجوت أخا العلا غادرتــــــــــــــــه
(٢) كالقرد ان رام السمو يتفتــــــــــــــــق
فتراه فى خجل وذل قائــــــــــــــــلا
ان البلاء موكل بالمنطــــــــــــــــق
هذا ومدحى للعليل شفــــــــــــــــاؤه
(٣) طيبا وحلوا واحتسلا ب المشــــــــــــــــشق

(١) الديسق : الغضة.

(٢) تفتق يتفتق : اذا صعد على مرمى أُمس فزلت قدمه للملاسة.

(٣) المشمشق : النشاط .

ما كان ترياق الضريب مروّقسا
بالقند مزوجا بما السيق
ساقته الأريام من أفق السما
تديته فزعاته للمشـرق
حتى اذا التأم الجميع غامة
سوداء حالكه ببرق مشـرق
سحرا وأرعد تحتها رعد حـدا
فسخت لها حبك بوبل مطبق
حادث بوابلها وريق صوبها
شهب الشراب به بكأس مشـرق
تسقيه راد على ظمـالدى
وسط الرياض وتحت سرح مورق
يوما بأحلى من مديحى الفائق الـ
زارى جمان خريدة في المـخـنـق
لكنما الكرماء قلّوا في الزمـا
ن لذاك لست الى الثنا بشمـق
(١) لم يبق الا باخلون وعندهم
جود الجواد كمثل حمق الا حمق
قوم اذا وعدوا الفياث لخلهم
(٢) يحتج بذاك الى سجايا البروق

(١) أى بنشيط .

(٢) البروق شجرة تخضر بمجرد السحاب والرعد ولا تحتاج الى مطر
وربما ماتت للمطر .

والمدح أغلى ما يباح فضنه لا
 تسمح به فتكون مثل الأومق
 من كان يعقل لا يرى يثنى على
 كفوه له غير الجواد المرفق
 عقل الفتى مثل القلب وانما
 مسباره لفظات فيه بمنطق
 فمقاله لا بد اما أن يبيد
 من يفضله أو عيبه المستغرق
 لا سيما شعريجاب به بلا
 د الله للمغضى والمستغرق
 سبحان ربك من يروض لعبده
 (١) نظم القريض وصوغ شعرعسنى
 ان القوافي والبحور جميعها
 (٢) ذلل المطايا لي فلم تتصفق
 علم الطويل بأنه طرفى الطوي
 مل وان ركبت مجاريا لم أسبق
 أما المديد فهل يمددنى به
 كريب غير يلندد وزبعسنى
 أما البسيط اذا بسطت له يدى
 فيد المنازع ذات كسر مصلق

(١) العسنى الحسن من كل شيء .

(٢) أى لم تنفلق .

واذا ركبت لدى التفاخر وافرا
وفر المحاسن لي وكنت كصيدق
ولطالما سرجت كاهل كامــــل
(١)
وشننت غارات بسيفي الأشــــدق
وفريت أعناق المهاجرين الألسى
جهلوا بتوكيل البلاء لمنطقــــق
سل كاملا عن ذا وهاهو حاضر
كلا فانك ان سألت يصــــدق
هزج الفناء وهكذا رجز البــــرا
ز مطيئى لدى السرور ومذعــــق
طورا يكون ركوبتي رمل لــــه
(٢)
رمل يقرب لي نواى كزيلقــــق
وكذا السريع كذاك منسرح فكل
ل كان لي طرفا سريع السحــــق
ولدى التنزه فالخفيف ركوبتــــي
بخ بخ به بخفيف سير ترفــــق
أما المضارع فهو ليس مضــــارع
لي فيه وهو مضارع للحيلــــق
وكذاك مقتضب ومجتث كــــذا
متقارب ما شئت منها أنتقــــى

(١) الأشدق الفصيح النطق البليغ القول .

(٢) الزيلق الريح السريعة .

فإذا أردت الشعر بأواكاميلا

مثل الجمان وفوقها في العشيق

فَأَمَّا الَّذِي آتَىٰ بِذَلِكَ مَرِغَمًا

أنف العدو ومفرحا لصديق

وَأَغْوَصَ فِي لَجَجِ الْبَيَانِ وَأَنْتَقَى

فيقال نعم المنتقى والمنتقى

فاذا ترى متعلما سحر الكلام

م فدا له داری لبابل یر تقی

أنا ساحر ومعلم سحرا وأعلم

(١)
نن بالقرىض وبالبيان المـسـرق

فقصائدی موشیة ورسائلہ

مكسية حلل البديع العشنق (٢)

فاذا تلوت قصيدتي في محفل

صزت الكريم عن اللئيم المصمق (٣)

فَكَلَامَ زَا فِي كُلِّ بَيْتٍ قُلْتُ—

لله درك من بليغ مغلـق

وَكأن تقول لذاك عند تلفظ

بالدرة البيضاء منه لا تنطبق

(١) المبرق : المحبر .

(٢) المشنق : المزيل .

(٣) المصمق : الكثير التكبر والحمد .

فتراء يطرق مثل مشتوم به
(١) ويرم من حسد بقلب محرق
ويغيط بي أبدا ولست بظالم
مالي وما للحاسد المترهق
والله يكثر حاسدي فإنهم
أفشى لفضلي من حبيبي الأشفق
ان الدليل على المكارم كثرة ال
(٢) أعداء فهي علامة المتبسق
يكفي الأريب من الهوان خلوه
عن حاسد يبدى العلا يتحرق
واذا فنيت وصار جسمي ثاويا
تحت التراب فذاك شعري قد بقى
واذا رأى الأولاد والأسياط ذا
(٣) علموا بأن الجد ليس برُمسق
ولعلمهم يدعون لي بدعيقة
تمحو الذنوب وبني السلام ترتقى

(١) يرم : يسكت.

(٢) المتبسق : الرفيع القدر.

(٣) الرمق : الرجل الضعيف الحقير الذي لا بال له.

لكن ذلك لا يفيد سوى الفشو
(١) و بوصفه في جيله بالخبث^١
لو كان مال المرء يحس عن ردى
لحيي الغنى فرعون عند المفسق
ولكان نمرود بن كنعان الذى
جمع النفائس سالما من مزهق
ولكان عاد أو ثمود وصالحا
للموت عن روح بدفع الأ^٢ ينق
دار ابن دارا فيه عبرة خاشع
لله وهو بدثره لم ينفق
أولم يكن قارون ذا وفرو صا
ر بخسفه في الأرض عبرة متق
هامان مثلهم الى ما ليس يح
صيه سوى الله القديم الصيدق
ورأيت أن الجود ليس بناقص
رزقا وربك رازق للمنفق
والبخل ليس يزيد رزقا لا ولا
يجدى سوى العارات للمتحمق
من كان يعقل ولتكنه أخس^٢ لا
يبخل بمال للتراب مصمق

(١) الخبث : البخيل .

(٢) المتحمق : البخيل .

الفصل الثاني :
شعراء نيجيريا .

عبدالله بن فودي الوزير :

هو الأستاذ عبدالله بن محمد الملقب بفودي بن عثمان بن صالح ابن هارون بن محمد الملقب بغيرد بن جت بن محمد سنيوين أيوب بن ماسران بن يوب بن باب بن موسى جكل ، وأمه حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال .

وقد نزلت قبيلته من " فَوْتُ تُوْر " غربي بلاد نيجيريا الى بلاد الهوسا . ولد سنة ألف ومائة وتسعة وسبعين هجرية ، وتوفي وهو ابن ست وستين وذلك في أوائل سنة خمس وأربعين ومائتين بعد ألف من الهجرة النبوية (١) ، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وقد نشأ عبدالله وترعرع في بيت علم وصلاح حيث قرأ القرآن على أبيه و شقف أول ما شقف على أخيه الشيخ المجدد عثمان بن فودي ، كما شقف على والدته حواء بنت محمد بن عثمان بن حم بن عال ، وعلى جدته رقية بنت العالم المشهور بمحمد سعد بن لادن .

(١) ضياء التأويل في معاني التنزيل ص ٣ .

ومن شيوخه الشيخ جبريل وعمه الحاج محمد ابن راجي مُودِبُ
ابن حَمَّ بن عال وابن خاله محمد بن محمد الذي قرأ عليه مقامات الحريري
وغيره ، وخاله عبدالله بن محمد ابن الحاج الحسن بن حَمَّ بن عال الذي
قرأ عليه قطر الندى وشرحه للمارديني وشذور الذهب وشرحه بلوغ الأرب
وخلاصة ابن مالك مع شرحه البهجة المرضية للسيوطي وغيرها من كتب
النحو .

وأخذ عن الشيخ ابراهيم البرنوي من كتب العربية التحفة
الوردية والخلاصة وبعض شروحها كالمنهج السالك للأشْمُونِي . ومن
شيوخه محمد تَنَبُّ ومحمد بن عبدالله الذي قرأ عليه الفريدة للسيوطي ،
وابراهيم المنذري الذي أخذ منه الدرر اللوامع والرامزة في علم العروض
والقوافي والترياق في علم الأوقاف . . ومن أخذ عنهم ابن خالته وعمه
محمد الْخَزْبَرِيُّ الذي قرأ عليه المنطق والورقات لإمام الحرمين والشيخ
أحمد بن أبي بكر بن عال الذي قرأ عليه البلاغة حيث درس عنده
التلخيص والنقاية وغيرهما ومنهم ابن عمه المصطفى بن الحاج عثمان
ابن محمد . قرأ عليه الكوكب الساطع ، ومنهم خاله وعمه الحاج محمد
ابن راج قرأ عليه صحيح البخاري ، وأجازه جميع مروياته ، ومنهم عمه
محمد المعروف بِبَيْتَغٍ قرأ عليه ألفية الأثر للسيوطي وأجازه جميع
مروياته . ومنهم شيخ شيوخه محمد المَقُور قرأ عليه المختصر .

ومنهم الشيخ محمود الزَنْفَرِيُّ الطُّوْرِيُّ أخذ منه علم القراءات
كمنظومة ابن البري والقصيدة الشاطبية .

وقد أخذ عن جمع غفير من العلماء لا يسع المكان لذكرهم .

وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الشرق فاستفاد منه وكم عالم أو طالب علم أتاهم من الغرب فاستفاد منه ما لا يحصىه. (١)

الا أن شاعرنا لم يترك فنا من فنون المعرفة المعروفة وقتئذٍ إلا وخاض غماره ونال منه أوفر النصيب وألف فيه أبداع التأليف، وقد ترك لنا مؤلفات تربو على المائة . نشر قليل منها ولا يزال أكثرها مخطوطا رهين الصناديق ورفوف المكتبات على أنه كان يتم بالجد والاجتهاد في العلم والتأليف والجهاد وكثرة التهجيد .

وكان يكتب بالدواة التي تأخذ وقتا طويلا قبل أن تجف، فإذا كتب الصفحة تركها وانتحى ناحية من بيته لينفخ الكبر ويصنع سهما من سهام جهاده أو رمحا أو فأسا، فإذا مضى وقت كاف لجفاف الدواة على الورقة رجع إلى الكتابة من جديد وهكذا دواليك .

وكان يملك مكتبة ضخمة متنقلة نظرا لظروف الجهاد التي كانت لا تقيهم في مكان بعينه . فلربما جاء نذير الحرب بخبرها وهو في أثناء الكتابة أو المطالعة . وعندئذ يكون أول ما يفعله استنهاض هم المبيد لربط كتبه وحملها على الجمل وكان يأكل من عرق جبينه وعمل يده، فقد كان وراقا يستنسخ الكتب ويبيعها لطلبة العلم.

مؤلفاته :

أ - الفقه والحديث والتصوف والتفسير وعلومه :

١ - ضياء الأئمة في أدلة الأئمة .

٢ - اللؤلؤ المصون .

- ٣ - كتاب الترهيب .
- ٤ - ضوء المصلي .
- ٥ - ضياء السند .
- ٦ - مصالح الانسان .
- ٧ - من الننان لمن أراد شعب الايمان .
- ٨ - مطية الزاد الى المعاد .
- ٩ - ضياء السياسات .
- ١٠ - ضياء الحكام فيما لهم وعليهم من الاحكام .
- ١١ - كتاب النصائح في أهم المصالح .
- ١٢ - ضياء الانام في الحلال والحرام .
- ١٣ - سراج الجامع للبخارى .
- ١٤ - ضياء السلطان .
- ١٥ - ضياء الامراء .
- ١٦ - ضياء الامة .
- ١٧ - ضياء القواعد ونشر الفوائد .
- ١٨ - ضياء الاحتساب .
- ١٩ - ضياء المجاهدين .
- ٢٠ - ضياء أولى الامر والمجاهدين .
- ٢١ - ضياء علوم الدين .
- ٢٢ - ضياء الخلفاء ومن دونهم من الاقوياء والضعفاء .
- ٢٣ - ضياء الامام .
- ٢٤ - ضياء أهل الرشاد .

- ٢٥- طريق الصالحين .
- ٢٦- طريق الجادة .
- ٢٧- خلاصة الأصول .
- ٢٨- درر الحكم .
- ٢٩- دواء الوسواس .
- ٣٠- درء الكيئة .
- ٣١- ألفية الأصول .
- ٣٢- اصلاح الزاد .
- ٣٣- ألفية النكاح .
- ٣٤- آداب المعاشرة .
- ٣٥- آداب العبادات .
- ٣٦- اصلاح العمل .
- ٣٧- النيات في أمور الديانات والمعاملات .
- ٣٨- التبيان لحقوق الاخوان .
- ٣٩- النصيحة بتقريب ما يجب على كل عامة الأمة .
- ٤٠- مفتاح التفسير منظوم .
- ٤١- ضياء التأويل في معاني التنزيل .
- ٤٢- كفاية ضعفاء أهل السودان في بيان تفسير القرآن .
- ٤٣- الفوائد الجليلة وسائط الفوائد الجميلة .
- ٤٤- ايضاح زاد المعاد .
- ٤٥- التقريب .
- ٤٦- أخلاق المصطفى .

- ٤٧- المفتاح للتبصير .
- ٤٨- بذل النصيحة .
- ٤٩- تقريب الضروري من علوم الدين .
- ٥٠- تعليم الأنام .
- ٥١- تعليم الأوصياء .
- ٥٢- تمييز أهل السنة .
- ٥٣- تهذيب الإنسان .
- ٥٤- حصن الحصين .
- ٥٥- خلاصة الأصول .
- ٥٦- درر الحكام .
- ٥٧- دواة الوسواس .
- ٥٨- سلالة المفتاح .
- ٥٩- سبيل النجاة .
- ٦٠- سبيل أهل الصلاح .
- ٦١- سبيل الصلوات .
- ٦٢- سبيل العين شرح مرشد المعين .
- ٦٣- سبيل السعادة .
- ٦٤- شفاء الناس من داء الغفلة .
- ٦٥- شفاء الناس من داء الوسواس .
- ٦٦- شكر الاحسان .
- ٦٧- ضياء القواعد .
- ٦٨- الفرائد الجليلة .

- ٦٩ - فتح البصير في علم التبصير .
- ٧٠ - فتح المنان في جميع ما ورد من الفاظ الشيخ عثمان .
- ٧١ - فضائل أفاضل الأئكار .
- ٧٢ - كتاب النسب .
- ٧٣ - كتاب النصيحة .
- ٧٤ - كتاب النيات .
- ٧٥ - كفاية الطلاب في النكاح .
- ٧٦ - كتاب عمل اليوم والليلة .
- ٧٧ - لمع البرق .
- ٧٨ - لباب احيا علوم الدين .
- ٧٩ - لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل .
- ٨٠ - مصباح التراوى .
- ٨١ - نضائح الأمة .
- ٨٢ - نظم الوسطى .
- ٨٣ - نيل المأمول .
- ٨٤ - نيل العرام في شيم الكرام .
- ٨٥ - نظم الدرر في مصطلحات البخارى .
- ٨٦ - نظم تلخيص الموطأ . (١)

(١) من املاء الشيخ محمد المنتقى الكوماسي الكشفافى . والثقافة
العربية في نيجيريا ص

ب : النحو والتصريف واللغة والأدب والعروض والقوافي :

- ١ - البحر المحيط (في النحو) .
- ٢ - الحصن الرصين (في الصرف) .
- ٣ - فتح اللطيف الوافي لعلمي العروض والقوافي .
- ٤ - تزيين الورقات بجمع بعض مالي من الأبيات .
- ٥ - روض العاشق في مدح سيد العباد .
- ٦ - البحر في علوم النحو والتصريف .
- ٧ - النفحات البشرية في شرح القصائد العشرينات .
- ٨ - الدالية .
- ٩ - التعريب .
- ١٠ - المنظوم في أصول النحو .
- ١١ - تخميس العشرينيات .

وكان شاعرا مجيدا أدبيا أريبا نحويا لغويا فقيها محدثا
مفسرا ومقرا ، ويمتاز شعره في المدح بالجزالة ووعورة الألفاظ وجودة
النظم وأعرابية الأسلوب ، وقد يجمع بين الجزالة والسهولة اذا كانت
القصيدة تحمل رسالة الى الناس جميعا الخاصة والدهما ، كما رأينا
في الحائية التي وجهها الى قومه الفلانيين ليستنهض همهم لنصرة دين
الله بالجهاد بالسيف ضد ملوك الهوسا الوثنيين ، كما يزاوج بين
الجزالة والسهولة في الرثاء وشعر الجهاد الذي يسجل فيه انتصارات
جيشهم ضد جيوش الوثنيين ، أما في شعره التعليمي فيجنى الى السهولة
والرقة حتى يسهل اىصال المراد الى السامع .

مختارات من شعره :

"ألحان أعرابية " :

عج نحوأضواج الأُحبة من "مج "

(١)
واشرب من الانشاج ماء الزعبيج

شجّ الدموع على منازلهم بهيـا

(٢)
واشف الجنان من الهوم الدمج

قف عندها سل من بها فمضى تجب

(٣)
حوجاء أولوجاء ترضى من شجسى

(١) مج يفتح الميم وكسر الجيم المخففة واد ، واضواج جمع زوج وهو

منعطف الوادى ، وأنشاج جمع نشيج أو نشج وهو مسيل الماء
والزعبيج الغيم الأبيض أو السحاب الرقيق .

(٢) شج : أى صب الدموع صبا كثيرا ، الدمج : المستحكمة المستترة .

(٣) الحوجاء : الحاجة ويقال مافى صدرى به حوجاء ولا لوجاء بمعنى
واحد .

- واذا مرتت "مرت" هي حبيبهم
(١)
وانشر عليهم لو* لو* ا وزبـردج
- كم لي أخابأته فيهم وكم
(٢)
خلما* لم أك بينهم بمزلق
ومدارس أضنى بحب شهورها
فيها نجاح حوائج المتحـوج
وجحاجح علما* يحلب ردهم
(٣)
كل كبجع في العطاس متموج
ولهم ككان ومبتدا في جارهم
عمل لغيرهم كم أو في يج
ولربما عملوا كما من كف من
يعدو وتقوية الضعيف الطتجـي
ومواطن أشجى لفقد روايهـا
(٤)
ليست سخارج في هوا* سـجـج
دع عنك ذاعد للذى منع الكرى
(٥)
لابن السرى لا تسر سير الدعلج

-
- (١) مرت : موضع .
(٢) بأبأته : أى قلت له بأبي وأمي . خلما* : جمع خلم بالكسر وهو الصديق الخالص أو الرجل العظيم . المزلق : هو الناقص أو الملق بالقوم وليس منهم .
(٣) جحاجح : جمع الجحاجح وهو السيد الكريم .
(٤) سخارج : صحارى ، وسجـج : واسع .
(٥) الدعلج : الذى يمشى في غير حاجة والدعلجة ضرب من المشي .

وادرع دلاص العزم فوق قلاصه

(١) بمزاد صبر في المواسي مطـج

بسرى وادلج معا وتهجـر

وتأوب حتى تزيل شجى الشجى

بزيارة اللذ زار طيبة بعد أن

قد زار مكة في وفود الحجـج

من قد سبا قلبي فتاه بحبه

فتوى لديه فلا أسير ولا يجسـ

شمس الضحى بزغت بخرب فانتحت

للشرق تشرق في قريش وخزرج

متفنن متبحر في علمـه

(٢) متعطف متطف للمعـجـج

سجج طليق الوجه هين لين

(٣) للمسلمين ومزدر للعـمـهـجـج

شجر اذا نزلت عليه سيفـة

(٤) لم ترتحل عنه لفقد الخرفـجـج

من جاءه يشكو العوائص ينثنـى

عنه بقلب ذى انشراح مثـجـج

(١) الدلاص : درع دلاص ، براءة لينة .

(٢) المعفج : الاحمق الذى لا يضبط العمل والكلام .

(٣) العمهـجـج : الضخم السمين والسجج : لين الخد .

(٤) الخرفـجـج : أحسن الفذا .

ولسوف يروى منه كأساسا ثغفا

(١) أصفى وأحلى من كؤوس السمعج

شيخ الشيوخ فريد دهرظا هــ

فوق المارز بالعلوم متـوج

جبريل من جبرالاله به لنا

دينا حنيفا مستقيم المنهج

وافى وحزب ضلالة في طعمة

(٢) والدين في وهد كشي بهرج

فأزاح عنه حنادس الأعلج من

(٣) عاداتهم وكساه حلة زبـرج

لم يخش في اظهار دين الله من

(٤) مستهزى أولائم متجمـج

وله شبول ناثبون منابـه

(٥) والشبل عند السبر مثل الخزرج

فغدا له نور الزمان مساعـدا

أوساعدا في فتح باب مرتج

(١) هكذا في المخطوط ولعله السمعج وهو اللبن الدسم الحلو .

(٢) التلعة : ما انهبط من الأرض . والوهد : المطمئن من الأرض .

البهرج الباطل والردى من الشىء .

(٣) الزهرج : الذهب .

(٤) المتجمج : الذى يخلط الأمور ولا يتبين .

(٥) السبر : ما عرفت به لو لم الدابة أو كرمها : والخزرج الأسد .

أظهر دين الله بين عدوه

لم يلتفت لمكذب متلجلج

عثمان من قد جاءنا في ظلمة

(١) فأزاح عنا كل أسود دجـجـج

ودعا إلى دين الله ولم يخف

(٢) في ذاك لومة لائم أوفـجـجـج

فانصت خلق حين صات لصوته

وعلا له صيت فوق الأبرج

بشرى لأمة أحمد ببلادنا السو

دان في هذا الزمان المبهـجـج

كم سدة أحييتها وضلالة

أخذتها جمرا ذكي بتأجـجـج

وظلعت في أرض عوائدها عدت

وتخالفت سنن النبي الأبهـجـج

استعظمتها أهلها فاستأسدت

وصدت دين الدين باب الولـجـج

فاستسرت بغثانها وتتمـرت

(٣) جردانها ترمى بنصل سلـجـج

من راد دين الله يمحو عزها

(٤) فقمعتها قمع القوى الأعـجـج

(١) الدجـجـج : الأسود من كل شيء * ليلة دجـجـج شديدة الظلمة.

(٢) الفجـجـج : كثير الكلام والفخر بما ليس عنده .

(٣) السلـجـج : يقال للنصال المحددة أي القاطع .

(٤) الأعـجـج : شديد القوة .

فقصمتها بالبيض من آياتـــــــــــــــــه

وأسنة سنن النبي الأـــــــــــــــــدعج

صلى عليه الله ما هز الصبـــــــــــــــــا

(١) عذبات غصن في الرياض خربــــــــج

ولكل فرعون طففي موسى سطا

(٢) وقضية عاصت على تنفــــــــــــــــج

فابيض وجه الدين بعد محاقه

(٣) واسود وجه الكفر بعد تبلــــــــج

والدين في عز ونهج منهج

(٤) والكفر في ذل ونهج منهــــــــج

والسنة الغراء صبح ينجلــــــــي

والبدعة السوداء ليل يدجــــــــي

طمست معالمها وأخلق ثوبها

والدين في درع يمس مدبــــــــج

وتفجرت للدين من بركاتـــــــــه

(٥) عين الحياة تذلل ماء الحشــــــــرج

فجرى المذائب للمشارب أفهقت

(٦) ماء يقول صفاؤه هل من يجــــــــي

(١) الخبرج : هكذا في المخطوط و لعله خبرنج بمعنى الناعم.

(٢) الانفاج : ابانة الاناء عن الضرع عند الحلب حتى تعلوها الرغبة
ومعنى تنفج تظهر.

(٣) التبلج : الاشراق .

(٤) المنهج : البين الواضح المنهج الذي أسرع فيه البلى .

(٥) الحشرج : الماء العذب من ماء الحسي .

(٦) المذائب : جمع مذنب وهو المسيل ، فهت ماء أى طئت ماء .

- حتى تلج مثل بدر طالع
 بليال صحو أو صباح ملج
 أروضة ضحكت بها أزهارها
 (١) تزهى بها عذبات فصن عسلج
 أو عنقر أوجنة أو أنجــــــــــــــــم
 (٢) بخيلة أوريوة أوحندج
 فأجادها جود لدى جود له
 هب الصبا من بعد مري الخزرج
 فتفرغت قضبانها وتاجعت
 أطيافها كالشاعر المتهمزج
 وتكاثفت قصباتها غلباً لها
 (٣) ضعفان من أكل حبيته سلجج
 وتباهجت فتضومت أرياحها
 بنضارة مع خضرة وتـــــــــــــــــأرج
 وكأنما أنواره بين المســــــــــــــــلا
 (٤) أنوار روض أو مائثر صولج
 سحعد الزمان بهم وزايد خيره
 فحبهم غفران ننبى أرتجى
 وبجاه من يرضى غدا الشفاعــــــــــــــــة
 (٥) كهف البرايا فهو أعظم ملجج

-
- (١) العسلج : الغصن الناعم .
 (٢) العنقر : قلب النخلة لبياضه والهندج رملة طيبة تثبت ألوانا من النبات .
 (٣) سلجج : سهل .
 (٤) الصولج : الغضة الخالصة .
 (٥) ملجج : ملاذ وملجأ .

أصداء تعليمية :

فلا يمنع الارشاد عدم قبولهم

فمدخلهم مولا هم أنت فاتح

فانك ان بلغتهم ضاع عذرهم

فساقهم الولي فانك جادح^(١)

مطيع لما قد قاله سيد السورى

بسه بلغوا عنى أته صحائـح^(٢)

وأمر معروف ونساء لنكسر

على شرطه للناس بالحق قارح^(٣)

وأمر بمعروف ونهي لنكسر

طريق من القرآن باد صادح^(٤)

وفهمهم ما يلزم المرء عقده

من الدين ما سهلته القرائح

وغسلا وضوءا أو صلاة زكاتهم

وصوما وبيعا ثم كيف يناكح

وواجبها سنونها مستحبها

ومنهيها والكل في الكتب واضح

وعلم نساء سترهن بأن ترى

على غير وجه والاكف القواسح^(٥)

(١) جادح : من جدح السوق وهو أن يحركه بالما ويخوض حتى

يستوى .

(٢) اشارة الى حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام " بلغوا عنى ولو آية " .

(٣) القارح : المخبر به .

(٤) صادح : واضح لا يجهل .

(٥) القواسح : جمع قاسح وهو الثوب الغليظ الذى لا يظهر الاكتاف

والثدى .

- وعلمهم الاحسان كيف يراقبـو
- (١) ن مولا هم ذو جدهم والصادح
- وكيف التخلى من صفات ذميمة
- وكيف التحلى بالحميدة ناصح
- وكيف تراعى نية في جميعها
- (٢) لمرعاه ذو فهم بطيعك لاتح
- بنفسك قابداً حائداً عن هوى الهوى
- (٣) لدى سوبها ترعى وانك كايح
- أضرعدو من بدارك ساكن
- (٤) مطيع لشيطان وللدين قافح
- سلامة عيب النفس عزت لما لها
- يكون خلال المنكرات المساح
- فلا تستطيع الترك عن شهواتها
- (٥) ولم تحتل ذلا كذاك السباح
- لجاو*ك بالمولى وتقليل مطعم
- (٦) دوا* لا دوا* النفوس مطحطـح
- وبالاصغرين احفظ وبالا جوفين وال
- جواسيس صن دوما تطعك الجواح

-
- (١) الصادح : الخالص من كل شيء ويقصد به هنا المزاح .
- (٢) لاتح : عاقل داهية . والمقصود هنا الذى ينقاد لك .
- (٣) كايح : أى جاذب لجامها .
- (٤) قافح : الممتنع عن الشيء أى كاره للدين .
- (٥) السباح : أيام قلة الطعام .
- (٦) مطحطح : أى كاسر أو مكسر .

تباع القرآن والنبي وصحبه

وتابعهم تريق من هو صالح

"بكائية في مجاهد ناسك" :

ان ارعواؤك از أرتك الدار

بفعالها من أنها غدار

دار يموت بها حبيبك لا ترم

فرحاً بدار صفوها كـ

لكن هذا لم يكن بدعاً بها

قد مات فيها قلبه الأخيـ

ولسوف تمضى مثلهم وتذوق ما

قد ذاقه الأخيـ والاشـرار

فالمصطفى من بيننا هو كاسمه

مرضينا وأميننا المختـ

ان الرزايا فقدنا أمثالـ

لكن رضينا ما قضى الجبار

سيحان من قد خصه بالعلم والتـ

تقوى وخلق يرتضيه الجـ

قد قام في اظهار دين محمد

بمن الورى والجرح فيه جـ

حتى بدا في الحصن من أقوالـ

وفعاله ترمى بها الأحجار

كم واجبات في الضياع أقامها
في الحى تسخره بها الفجار
ومحرمات دعنها قد صيَّرت
مثل الباح يلومه الاغمسار
وعوائد مذمومة قد زادها
يجرى بها العلماء والابرار
ما خاض لهو الجاهلية قط من
حال الصبا حتى أتى الانذار
ولقد فقدت أخا حبيبها ناصرا
في ديننا ان أعوز الانصار
خلا صدوقا لا يرميك فعله
ومقاله يختار ما تختار
فدع العيون تجود فوق حبيبها
فحربها هجم او اسمدار
لو أن عينك ساعدت لهن دما
بدل الدموع سحابها الحذار
فليبكه من كان فيه غيرة
في الدين فهو آمنه الحديار^(١)
نكبي عليه ترحما مع أننا
نرضى بما قد جاءه الاقذار

(١) الآمون : البعير الحديار المذلل أو المعين .

فسقاء من رب غفور راحم
 غيث المحبة والرضى المدرار
 سبحان من قهر الخلائق كلها
 بالموت وهو الواحد القهار
 ما ترتجي في هذه الدنيا التي
 ما تأتلي تذكو بها الأخطار
 فالدار مثل جهامة وسفاسط
 (١) أو قل سراب ريهما آوار
 أونهر طالوت الذي شرابه
 (٢) هم وضاعت منهم آصار
 وخيال طيف ستراح مسافر
 رام المقييل فصاحه جمّار
 قد شيب سبخ أريها من شريها
 (٣) فتخالطا فيخورها أبخار
 أو مرتع مستوبل حيوانه
 (٤) مستوبد موتانه دفار
 وعجوزة زلاء في مصوغه
 ثم ارتدت مخضرة مكار

-
- (١) أوار : العطش .
 (٢) آصار : جمع اصر وهو العهد .
 (٣) ابخار : جمع بخر وهو النتن وأريها : عسلها وشريها أي حنظلها .
 (٤) دفار : من الدفر وهو النتن .

حتى سبت أعمارنا بأسارها
إناهم ما ناله إناهم
أوحية جسم مليح ليين
والسم فيها نافع ضرار
وثريدة مسمومة مغموسة
في السممن ذرت حولها أبزار^(١)
شرك الردى وقتار مكر سلعة
الشیطان يغرى والهوى سمسار
وسباطة العرقين ترمي فوقها
جيف الموات كلا بها التجار^(٢)
قد آذنتنا بالفراق بحافها
ومقالها فغرابها مجهار
فالله ينجينا معاً من شرها
بمحمد فيعننا الأنوار
صلی الاله علیه مع أصحابه
ما نشتت لسلامهم أشعار

” هجرة معلم “ :

ولما مضى صبحي وضاعت مآربي
وخلفت في الأخلاق أهل الأكاذب

(١) أبزار : التوابل .

(٢) السباطة : الكناسة .

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
وليس لهم علم ولا يسألونـه
وأعجب كل رأيـه في المذاهب
وقطع أرحاما وأزى معارفـا
وآثر عن قرباء جمع الاشائب
وما همهم أمر المساجد بل ولا
مدارس علم بله أمر الكتائب
وهمتهم ملك البلاد وأهلها
لتحصيل لذات ونيل المراتب
بعادات كفار وأسماء ملكهم
وتولية الجهال اعلـى المناصب
وجمع السرارى والشباب الحسان والـ
جيايد الجوارى في القرى لا المحارب
وأكل هدايا الجاه والفسى* والرشى
وعود ومزمار وضرب الدبـسـادب
وباعة أحرار وفي السوق بعضهم
ولاة قضاة في لباس الثعالبـسـب
فرارا من القاضي وأكل الامان والـ
الموالاة للكفار خوف العواقب
فجـمـوا وقلـ الصالحون وأظهـروا
مداهنة الفساق أهل الكتائب

واعجز أهل الحل والعقد أمرهم
فجانبت الأعراب من كل جانب
وأبدت جهارا خافقاً ضبابها
ولاحت ذياب في ثياب الأرانب
وأيقنت ان لم يرجعوا عن ضلالهم
لتختلفن أسمافهم في الغوارب
وان قرين السوء يعدى قرينه
بما فيه اعداء الصالح الأجارب
وقد طار قلبي للمدينة ثاويها
سنين بها شوقا وليس بأائب
وقمى جسمي عنه ذنبي حائرا
بصدر هوا فاقد القلب دائب
صرفت عناني عنهم متوجهها
الى خير خلق الله معطي الرغائب
وصبرت نفسي في ركوب مفاوز
خلال فيول كالهبضاب قوارب
ولا أثرا في الأرض الا خفافها
ربيعا وصيفا كالهار السواقب
أسير بلا علم ولا قود قائم
ونيل سبيل في الغياي العواشب
بخسة أحرار كذاك الرقيق مع
ثلاثة أفراس كمثل الركائب

نشيم عطاشاحين حان نزولنا
ذوائباً أشجار المياه الشوارب
وكم ليلة بتنا بها نابغة
ولا نار الا نارنا في السباب
وسارنا جيراننا أقرباؤنا
بعض وحيات وجمع العقارب
خائلها والقاع أثمارها الاضاً
جدار ودار والقرى كأس شارب
أوانسنا أقواسنا وجعابنا
رماح وأسيف رفاق المضارب
وصارلنا الآثار للناس بعدما
قربنا لعمران عجيب العجائب
وأولى كلام الناس أخرى ديارهم
وأنفسهم صارت غريب الغرائب
فقلت وذا أمر يسير بجنب ما
نريد اذا ما حمَّ نهل المارب
أحادى المطايا حشها للمشارق
ولا تلتفت في سيرنا للمغارب
فان حظيت بالوصل فالله واهب
وان أخفقت فالذنب فيه لذهاب
وما خاب من أمّ الكريم لحاجة
وان كان بطاً لا خبيث المكاسب

فياخير من حِفِّ العفاة ببابه
يصوب عليهم منه عَشْرُ سحائب
أمتك مأسورا بذنبي راسفا
لألحق قلبا عندكم غير غائب
فحقق رجائي فيك يا سيد الورى
فراجبك في الدارين ليس بخائب
وفك قيودى ثم صلني اليك يا
كريم السجايا أنت بحر المواهب
فها أنا عبد الله اسما وحرفسة
لديكم فسهل لي نجاح المآرب
كما نالها منكم سوادٌ وسائل
بما سألته منكم سواد بن قارب
عليكم صلاة الله ثم سلا —
بأصحابكم والآل يا كهف هارب^(١)

" غزوة غوهر الوثنيين " :

أمن طلل خلا أم فقد قوم
ألفتهم تبيت بخير — قوم
فكم خل فقدت رض تقى
شجاع فاره سراد صوم
وكم طلل علمت بريم خال
وشمعل .. " كوكن " وعظم غلم^(٢)

(١) تزيين الورقات في بعض مالي من الأبيات ورقة ٤٦ .

(٢) ريم وشمعل وكوكن وعظم : أماكن .

- فتلك ديار "غوبر" والتـوارق
- (١) ولاية الكفر خاوية بظلم
- وكم يوم بكن لنا عليهم
- (٢) وطان غادا وغردم أي يوم
- بأيدينا هلاك جميع غوبر
- (٣) هلاك توارق برماح زرم
- غداة يقودهم للحين جهلا
- (٤) طيلهم أغنيل دون علم
- يوازره " زنافرة " وغوبر
- (٥) وأهل كيا ومع غوغا برم
- فأوردتهم بفافر حوض موت
- قفر لا هله بلباس نـوم
- وسابق حامد شيطان آدر
- وزدى قدارهم أصحاب لـوم
- ففروا عن جماعتهم وجازوا
- مسيرة خمسة في نصف يوم

-
- (١) غوبر : احدى قبائل الهوسا الوثنية .
- (٢) طان ، غادا ، وغردم : مواضع .
- (٣) زرم : قرية .
- (٤) أغنيل : قائد من قواد الوثنيين .
- (٥) زنافرة أى المنتمون الى قبيلة زنفراوا وكياوا مدينة ، صرم كذلك .

وأسر طاغوتهم قد زاد ذلهم
مقيدا بينهم في طيس العمار
يا أهل " غار " ألما يكفكم " كشنا "
والجار يسمع ما قد حل بالجار
كذا " كنو " مع " زكرك " وهي قريكم
و " زنفرا " مع " غوبر " نسل " بابار "
تلكم بيوتهم بالظلم خاوية
منهم وصاروا أحاديثا لسمار
بقدره الواحد الجبار قاهرهم
(١) فالحمد لله في جهنم وإسرار

الأُمير محمد بللو :

هو محمد بللو بن عثمان بن فودي .

ولد يوم الأربعاء في شهر ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائة بعد الألف ، في بيت دين وعلم وولاية ، فأبوه هو الشيخ المجدد عثمان بن فودي الولي المجاهد * نشأ على سيرة حسنة وحالة حميدة من طلب العلم والفطنة والحفظ والادراك التام وقوة الحفظ وحدة العارضة وفصاحة القول ونصاعة الألفاظ وسعة البلاغة ، فأدرك في يسير الزمان ما لم يدركه غيره من الأحقاب المتطاولة ، فأحرز العلوم كلها واستولى على المعاني الموفقة والحقائق .

وتضلع بالأسرار والدقائق ، ولاحظته السعادة الإلهية وأفردته التربية الربانية وسرت فيه نورانية والده الشيخ فعمته بركاته وخيراته فصار بحمد الله آية الله في أرضه فذا لا ينقض عجائبه إلى ما أوتي من الأخلاق الحميدة الكاملة والأوصاف البهية الشاملة واستبحاره في العلوم الأصلية والفرعية ومعرفة السياسات العقلية والشرعية وما جمعه من علم سير الأنبياء وآثار الأولياء وبراعة العلماء وحكم الحكماء وعدالة الخلفاء وما لا يحصى من المحاسن في الظاهر والباطن . (١)

صحب شيخه والده عثمان بن فودي ووازره وكفاه المهمات من أمره وجاهد الأعداء بالسيف والقلم فأنجع وفتح فتوحات عديدة كانت للمسلمين في الدنيا فتحا ونصرا ، ولهم في الآخرة ثوابا وذكرا . . فجزاه الله عنا خير ما يجزي إماما عن أمته وموآء منازل الرضوان والسلام .

(١) اتفاق الميسور في تاريخ التكرور ص ٢١ طبعة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

تربى في بيت علم وولاية بين أبيه الشيخ المجدد عثمان وعمه
علامة الزمان وعربي السودان عبدالله بن فودي واخوة علماء ، فلا غرابة
أن تجده أعلم ممن بعده . وأنه مع انشغاله بالحروب والسياسة والادارة
ألف كتباً عديدة ما بين الظاهر والباطن ، وفي علوم الحرف والسياسات
والادارة وفي الأديان والطب وأصوله والصيدلة وأنواعها .

وكانت خلافته بعد أبيه كخلافة أبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله
عليه وسلم . فانه رد أهل الردة الى الاسلام وكسر ملوك الكفار ومصر
البلاد وأسبغها في الله للمسلمين حتى أحبه المسلم والكافر .

توفي عشية الخميس الخامس والعشرين من رجب الفرد من شهر ر
سنة ثلاث وخمسين ومائتين بعد الألف من الهجرة الموافق ١٨٣٧م وعمره
از ذاك ثمان وخمسون سنة الاشهر .

وكانت مدة خلافته احدى وعشرين سنة وكان آخر كلامه في الدنيا :
" لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ثلاث مرات
ثم قرأ قوله تعالى : * فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون * (١) . "

وقد بنى بيتاً في ناحية من نواحي داره قبل مرضه / توفي فيه ،
يرابط فيها وكان كثيراً ما يذكر أن ذلك البيت مسكنه وأنه سينقل اليه .
ثم انه في مرضه الذي توفي فيه عين ذلك البيت بأن يدفن فيه
كما عين ثياباً يكفن فيها ، وأوصى ألا ينقل الى " صكتو " عاصمة مملكته
لأن نيته ومناه أن يقيم في موطن الرباط ويتوفى فيه ويدفن به ، لما يؤشر

أن المرباط اذا توفي في مكان رباطه ودفن فيه فإنه لا يطوى سجله
ويكتب له ما كان يكتب له حيا من الأجر والصواب الى يوم القيامة . . .
ولذلك أوصى أيضا أنه اذا توفي في " وَرَنُو " ألا ينقل الى " صكتو " .
وقد أتم الله له ما نوى وتمناه من الإقامة بموضع الرباط والمات
فيه والدفن به رضي الله عنه وغفر له وتغمده بواسع رحمته . (١)

تثقف على والده وعمه علامة الزمان وعربي السودان الشيخ عبد الله
ابن فودي كما قرأ على أخيه الكبير محمد سعد النحو والتفسير ، وقرأ على
شيخه محمد بن أبي بكر الونكري التنيكتي أصول السبكي وتسهيل ابن مالك
وتلخيص المفتاح بمختصر السعدى وشرح الجزائرية والحكم العطائية
وفرعي ابن حاجب ومنتقى الباجي وجامع معيار الونشريسي . وألفية العراقي
وصغرى السنوسي ونظم ابن مقرة والهاشمية في التنجيم مع شرحها ،
ومقدمة التاجوري ورجز المغيلي في المنطق والخزرجية في العروض بشرح
الشريف البستي وتحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها ، كما قرأ عليه تفسير
القرآن العظيم .

وقد أجاز به بخطه جميع ما يجوز له وعليه . (٢)

ومجمل القول أن صاحبنا قد قرأ جميع الكتب المقررة على طلبة
العلم في عصره كما قرأ جميع الفنون التي اشتهرت في زمانه .

(١) نقلا عن الشيخ أبوبكر غومي .

(٢) انفاق المسور ص ٢١٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦ .

وقد خلف لنا مؤلفات قيمة منها :

- ١ - افادة الاخوان .
- ٢ - القول المختصر .
- ٣ - الغيث الويل .
- ٤ - اتفاق الميسور في تاريخ التكرور .
- ٥ - الطب النبوي .
- ٦ - البدور المسفرة .
- ٧ - التحرير في قواعد التبصير .
- ٨ - القول المنشور .
- ٩ - القول السنا في الشمس بالسنا .
- ١٠ - الطب الهمين .
- ١١ - الترييح في صلاة التسبيح .
- ١٢ - السيف السلول .
- ١٣ - القول المذول في أحكام الخلول .
- ١٤ - السائل المهمة .
- ١٥ - النسر فمين بلغ سن الاربعين .
- ١٦ - الدرر الزاهية في اوراق القادرية .
- ١٧ - الترجمان في كيفية وعظ الشيخ .
- ١٨ - الدالمة .
- ١٩ - التنبيهات الواضحات .
- ٢٠ - النصيحة الواضحة .
- ٢١ - القول المنعوت .

- ٢٢- الرسالة الشافية في الأمراض .
- ٢٣- الجمل النحوية .
- ٢٤- الاعلام بما يجب على الامام من حفظ بيضة الاسلام .
- ٢٥- آداب التوسل .
- ٢٦- تخميس البردة .
- ٢٧- تنبيه الاخوان على أودية الديدان .
- ٢٨- تنبيه السامع على أحكام سقوط الجامع .
- ٢٩- تنبيه أهل العقول .
- ٣٠- تخميس بانث سعاد .
- ٣١- تنبيه الأمراء على اصطناع صالحى البرداء .
- ٣٢- تنبيه الأفهام على أن الهدى هو الختام .
- ٣٣- تنبيه ذوى العقول .
- ٣٤- بيان الأركان .
- ٣٥- تعليق وجيز في شرح القصيدة الطبية .
- ٣٦- تنبيه الأفهام .
- ٣٧- تنبيه أهل الفهم .
- ٣٨- تنبيه الجماعة على أحكام الشفاعة .
- ٣٩- تنبيه صاحب على أحكام المكاسب .
- ٤٠- تنبيه الراقد .
- ٤١- تهديد العماد فيما زاد على عمدة العباد .
- ٤٢- تنبيه الغافل في التوسل بأعظم المسائل .
- ٤٣- جلاء الصدور .

- ٤٤- جلاء الصمم .
- ٤٥- حلية البصائر في الأحكام الأربعة .
- ٤٦- ذكر المجددين .
- ٤٧- رفع الشبهة .
- ٤٨- رسالة أمير المؤمنين بل إلى جماعة المسلمين .
- ٤٩- رفع الاشتباه في التعليق بالله وأهل الله .
- ٥٠- رحلة البصائر .
- ٥١- رسالة الأمراض الشافية .
- ٥٢- سرر الكلام .
- ٥٣- شفاء الأسقام .
- ٥٤- شرح على البدع ماضي .
- ٥٥- شرح الصدور في تحرير جنابة الرقيق على الحر .
- ٥٦- شمس الظهيرة فيما يجب على الوالي من حسن السيرة .
- ٥٧- ضجالة الراكب .
- ٥٨- عمل الساعة .
- ٥٩- غيث الشؤوب في وصية يعقوب .
- ٦٠- فوائد مجملّة فيما جاء في البر والصلة .
- ٦١- فضل الفاتحة .
- ٦٢- فتح الباب في شأن الجيلي فرد الأحياء .
- ٦٣- قصيدة أمير المؤمنين إلى أهل كنت .
- ٦٤- قصيدة أمير المؤمنين بل .
- ٦٥- متاب الذكرى .

- ٦٦- كف الاخوان عن اتباع خطوات الشيطان .
- ٦٧- كتاب النقول والنواطق .
- ٦٨- كشف الغطاء .
- ٦٩- كتاب الاشاعة .
- ٧٠- كشف القناع .
- ٧١- كفاية المهتدين .
- ٧٢- كف الاخوان عن التعرض لاهل الايمان .
- ٧٣- الكواكب الدرية في مصطلحات الصوفية .
- ٧٤- مجموع الانساب .
- ٧٥- مفتاح السداد في أحكام الردة والموالاة .
- ٧٦- مفتاح السداد في ذكر الاقطاب الاربع الاقراء .
- ٧٧- مرآة القلب .
- ٧٨- مسائل الجهاد .
- ٧٩- مصوغ اللجين في أمراض العين .
- ٨٠- مطية السلامة .
- ٨١- منظومة في شأن القطب .
- ٨٢- منظوم الدرر في شرح وظيفة حزب البحر .
- ٨٣- نصح كاف وفي المقصود ان شاء الله واف .
- ٨٤- نبذة في أودية الديدان .
- ٨٥- نصح كاف وللا مراض شاف .
- ٨٦- نظم امساغوا جي في المنطق .
- ٨٧- نور الفجر .

٨٨- وثيقة أمير المؤمنين الى أبي بكر.

٨٩- وثيقة أمير المؤمنين الى جماعة المسلمين.

هذا وكان محمد بللو شاعرا مغلطا ، يميل في شعره الى نهج
الجاهليين في المدح وشعر الحماسة ، ويمزج بين السهولة والجزالة
في بقية أغراض شعره . . كما ينبض شعره الحماسي بالحياة والتدفق
وطول النفس .

مختارات من شعره :

" الى شيخه الكنتي " :

وقال يمدح شيخه المختار الكنتي :

ألم بساحة أحابي وساداتي

واشف الجنان بهم من كل اعنات

واربع عليها وشم من من عارضها

برق الوصال وادرار المسرات

وانف الهموم وأشجانا تكابدها

فقد تخلصت من وعث المعرات

هاكر الكرع من صهباء صافية

بقف لا نزق الا خلاق لـوآت

واحطط رحالك في أمن وفي دعة

فأنت آمن سرب وافر الـذات

فلا عليك فقد جاوزت ذا كرم

يحمي المجاور عن عات ومختات

ما خان عهدا ولا أزرى بجيرته
ولا اشمئز لعافي العرف صواب
تلقى المكارم فيه وهي ملقبة
كف المكارم عن طوع واخبات
فكيف لا تحتمي من كل نائبة
وقد حللت بأكناف متينات
وجاورتك الكرام العرب عن عرب
شم الانسوف جميع غير أشتات
توارثوا المجد عن فخر وأعقبهم
بالفخر عقبة فاستوفوا الكرامات^(١)
كم أسبلوا ذيل عز من أقادهم
واستحدثوا كل مجد غير فتات
وكم وفوا بمواثيق لهم وهم
من ولد وافي الحلا على المزيات
وأحرزوا خصل سبق من مفاخرهم
من كل ساع الى التقديم مصلات
ما زال سبقهم في الفضل متسقا
فيهم وفخرهم مستعلي الصات
حتى تلج صبح العز وانتشرت
أنواره منهم خير أوقاك
بأحمد القوم أخلاقا وأعرفهم
مجدا وأرفع قدرا في السياسات

(١) إشارة الى نسب الفلانيين .

وواسع القوم علما ثم معرفته
لله في الوصف والاسماء والذات
وأبلغ القوم ايقانا وأبينهم
نقية ثم أدري بالسياسات
ومن هو العلم المشهور سورته
ومن هو المورد المعسول لآلات
ومن تبلج من أضواء طلعتة
نور الهداية عن سبل الضلالات
ومن تأرج من أكناف دارته
شذا الحقيقة من تلك الحقيقات
ومن تفجر من أمواج راحتته
معارف هي تزيق الجهالات
ومن تصوب بصوب البر منه يد
تحكى هواطلها صوب الغمامات
ومن تبين من معنى عبارته
هدى الشريعة في أسنى المقامات
ومن تألف من معنى اشارته
يرى الحقيقة فتحا للبصيرات
ومن هدت منه أروار توظفها
أهل السلوك الى أعلى المقامات
حتى أناخوا بها في كل مركبة
عز الوصول اليها بالدلالات

واستنزلوا بهداها عن معاقلها
 عنقاء مغربة في كل مرقعات
 ذاك الامام الذي في رجب ساحة
 حططت رحلي وامست فيه حاجات
 ويستباح به في كل مأربسة
 أقصى المراد وأضعاف المشوهمات
 أعني به السيد المختار من يده
 تهمني عوارف درآت فدرات
 به تدرعت من همي وعن كرب
 تغشى فوادى ومن وسواس خنات (١)
 ومن دنهني وأوزارى ومظلمتني
 فأنني أختش منها العقوبيات
 ومن شدائد يرميني بها زمني
 ومن مكائد ذي ضغن ومن عات
 بالسيد الغوث أنت المستفات به
 فاشفع بجاهك لي في محو زلات
 ما أعظم الذنب الا أن جاهكم
 أحظى شفيح أرجى منه مرضات
 فداركوني فقد خلفت متبذرا
 دون الرفيق بعيدا عن محلات

(١) خنات : خناس .

قد جل خوفي وفي افضالكم طمع
 فيها أنا اليوم في نفسي واثبات
 ان تسعدوني بسبب من نوافلكم
 فقد تحقق لي نيل السماعات
 أو تلاحظوني بعين من رعايتكم
 فقد تهوطت في ظل الكرامات

" بكائية هزجية " :

وقال يرثى أخته :

ايا دهرنا لنا عات	تولى بالرزيات
وهت أعارها طرا	لوقع من طلمات
ولا درت ليا لينا	تبكينك بمببرات
وقد نهبت بآباء	واخوان وأخوات
وأعمام وعمات	وأخوال وخالات
و ندى قربي و ندى رحم	وجيران وجيرات
فان الموت أفناهم	فأضحوا بين أموات
فأمت دارهم وحشا	بموتات خليات
ولولا خوف آثام	قرفناها وحبوبات
ومطلع ما وراء المسوت	من هول العظيمات
لهان عليّ شوقا في	- هم صعب المنايات

لعمرك ما لنا الدنيا	بدار للمسرات
ولكن دار أكدار	وأقذار مصيبات
وما أحد من الناس	من الموت بمنجات
فطوبى لأمري* ولّى	الى الاخرى بنيات
وأعمال له صلحت	وأخلاق نقيت
أعنا ربنا في كل	ل ما يفضي لجنات
ويقصينا من النار	وأثقال شديدا
ويجمعنا وموتانا	بجنات رفيعة
فراديس عريضا	وكشبان عليا
ويحطينا بنظرات	اليه من الزيات
فحمد للذي يقضي	فيعدل في القضا
وصلى دائما أبدا	على خير البريات
وأصحاب لـه والآ	ل سادات وقادات

* جهاد المرتدين :

بانت فعز على الفؤاد سماد
أبى لمن شطت عليه فـؤاد
سعدية من آل بكر شعبها
فطن المسيل مصيفها المعتاد

وتحل في البادين تنتجع الكلا
بمنى اذا ما أجذب السرواد
حلفت على وعد بهرقة صـاد
ميعاد عرقوب لها ميعاد
دع عنك ذكراها وذكرى مريع
حلته قبل رسومه الا وتـاد
فدع العميون تجود دهره سرمد
بدموعها وتشقق الاكبـاد
حرنا على نور أضاء بأرضنا
وهو الهدى في الدين والارشاد
قل المتاع به كأن مقامه
(١)
ظماً الحمار قد انتطته ثمار
خطب جليل حل حين نعو لنا
ذاك الضياء فغاب فيه سـواد
جلت مصيبتنا لفقد حياته
فاذا المصيبة بعدها تـزاد
نجم النفاق وأشمنت لوفاته
بصحابه الكفار والحسـاد
ثارت علينا في الجوانب كلها
منهم خفافيش الورى الا وغـاد
ظنا بأن يستأصلوا أصحابه
ولهم بكل محلة أجنـاد

والله يـكـو^ن نا وينـصـر جـمـعـنـا
ولنا وقائع فيهم أشـهـر
يزجيهم للحين أبرهة الغـرـى
فتـحـزبوا وتـأهـبوا وارـتـادوا
فغدا يـمـنـيـهم أمانـي فريـة
ويقودهم فتـجـمـعوا وانـقـادوا
حتى اذا وردوا بساحة أرضنا
ضلت فراه وضلت الأجنـاد
من بعد ما وردوا حياض منية
حتى ارتووا منها وهم أكـمـاد
حمدا لمن قد ردهم وأبادهم
فضلا وربـي قادر وجـوـاد
صلى الله على الرسول محمـد
وصحابه وهم لنا القـوـاد

"انتصار" :

يا دارسلى باللوى فالـباب
قفرا لطول تراوح الأقطـاب
ولقد وقفت بها أسائل رسمها
اذ لم أجد متكلما بجـواب
ولقد عهدت بها الحلول يـزـينهم
بين الوجوه ثواقب الأـحـباب

دع عنك ذكرى خودة وديارها
وأوانس جاراتها أتسراب
واذكر بلاء معاشر من قوضنا
ساروا الى الكفار بالهيجنا
زهفوا لهم وقت العشي بجحفل
فيه الجياد لواحق الأقرباب
وجلالها وقوانس مرسومة
وصوارم في غمدها وقسراب
فيه الرماح اذا تعد سنابل
للدخن في ابانه المنتساب
وبغتيمة وردوا عليهم يومها
أشياء جن حازمين غضاب
سرنا الى * غمكي * وفر * الأسنون *
قواد أهل الشرك والأهـراب
نزلوا * كداسي * بالعتو واللبوا
أهل القرى ووادى الأعراب
لما تراءى بنا وأقبل جمعنا
جاشوا بأرماح لهم ونشاب
فاذا جماعتنا تسوق جموعهم
بقنا وكل مجرب قضاب
ولقد تركنا جمعهم بفنائهم
جزرا لطير سغب وذياب

أبلغ * لياشر * ان عرضت رسالة
منى مغلفة تغى بصواب
ان تتم بالصدق من أحوالكـ
من نصر أهل الشرك والأنصاب
وردتتم أحرارنا نقبل لكـ
واذا أبيتم فاتقوا أصحابـ
حمدا لمن أسدى إلينا نصـ
فضلا وربى سيد الأرباب
صلى الله على النبي محمد
والآل خيرتنا مع الأصحاب

* فهل بعد شيب من صبا ؟

لمن طلل عاف بذات بطاح
فأكفاف دارات فذات بطراح
وقفت به صحبي أسائل ربه
عن الحي أيا يسموا بسجـ
فدع عنك ذكراها وذكر رباعها
وهل بعد شيب من صبا ومزاج
وحتى متى لا ترعوى بمواعظ
من الدهر بالآصال أو بصباح
ولم تزل الدنيا تريك تقلبـ
بأضداد أيام بدت بمتـ

ترك اجتماعا ثم تأتي بفرقة
كجمع من صدوروا بيوم مراح
وأنت إلى الشهوات دهرك مسرع
مضيع سبيل سلامة وصلاح
مطيع هوى في أخذه عرض عرى
فيا يثس هراج الردى وطلاح
فهلا رجعت وتبت من كل وصمة
وهلا سلكت سبيل أهل صلاح
وهلا عكفت على القرآن تدبرا
ففي فهم ما هوفيه كل نجاح
وهلا حبست النفس في مشهد الرضا
لاطفاء نيران وفوز قساح
وهلا عزمتم على الجهاد بعدة
سيوف وفتيان الوغى ورماح
وهلا أقمت على الجهاد مرابطا
وهلا حرصت بها جميع سراح
وهلا صمت عن الفضول معوضا
بذكر الآله وهونيل رباح
إلى الله أشكو حال نفسي وضميرها
وقد لكشت واشتد برح احساح
فمنك أرجى توبة وصلاحها
وغفران ذنب سابق وجناح

محمد البخاري :

هو محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي .

ولد سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٩٤ م في بيت علم وولاية . . فأبوه

هو الشيخ عثمان بن فودي الولي المجاهد .

نشأ على سيرة حسنة وخصال حميدة من التقوى والزهد والورع
وجهاد في سبيل الله . . فقد كان من الذين جاهدوا في بلاد " نفا "
وابلو في ذلك بلاء حسنا .

تربى في أحضان والده وعمه الشيخ عبد الله بن فودي . . وأخذ
عنهما وعن بعض أخوته العلم فبرع في علوم عصره ، وكان لعمه عبد الله
ابن فودي اليد الطولى في تثقيفه وتربيته تربية روحية .

توفي سنة ١٢٥٥ هـ - ١٨٤٩ م وهو ابن خمس وخمسين سنة ،
بعد حياة مفعمة بأعمال جليلة مثلة في الجهاد بالسيف والقلم واللسان . .
وكان محمد البخاري شاعرا رقيقا مرهف الاحساس ، يمتاز شعره
بالعذوبة والسهولة والركة والتدفق والانسياب وحرارة العاطفة . .

مختارات من شعره :

" بالأسياف لا بالدفوف " :

الا أبلغ عتيقا من أخيه

ومحض النصح ينفع من يعيه

أتقصد بالفجور أخا كريمة

يدافع عن حماك وتزدر يسره

وتغرى كل ذى سغه عليه
 معاذ الله من سغه وتيه
 فان تطمع بذلك نيل طـ
 يطيب به المعاش وترتضيـ
 فان الملك بالأسياف لا بالد
 دفوف ولا بشقشقة السفـ
 وكن كأخيك " بِلْ " تغز بطـك
 وتعلو فوق كل أخ نيمـ
 هو الكرم الذى قد كان نـورا
 لنا من بعد سيدنا أبيـ
 فان مدت حياة أبي علي
 نعيش في العز والعيش الرفيـ
 والا فالفرار الى لصـاب
 وخرق بلقع من أرض تـيه

" جهاد المرتدين " :

أمن أم محمد طـلان
 مخلولقان " بجن " ذى القيعان
 وجنب " تامي " ذى الرباعفاها
 قدم وكل أجش ذى هــلان
 أقوت ديارهما سنين فما تـرى
 فيها سوى الآرام والريـلان (١)

(١) الريلان : جمع رال وهو ولد النعام.

ولقد أطلت بها الوقوف وصحبتني
نسل الديار عن أهلها الخـلان
فأجابنا من بعد طول قائل
أنتم ومن تسلونهُ سـبيان
كيف الثواء والاصطبار بهـذه
الأوطان بعد أولئك الأعمـيان
بل من لكروان تهـدد أعقبـا
وشعالب تسطو على أسـدان
فاصبر فلسـت على الزمان بقادر
من عاش يلق عجائب الأزمـان
أبلغ لأعداءى اذا ما غرهم
حلمي وامهالي لهم وليـان
اني امروء عند الاحبة طـفـرس^(١)
حلوومر للذى عادانـي
أوما علمت انني يوم الوغـا
أروى قناتي من دم الأقران
وأطا عن البطل الكريمة نزاله
ان صد عنه الماثل الشجعان
وأزود عن قومي وعن أحسابهم
أهل النواء بشكة ولسـان
حولى أسود ضاريات من بنى
موسى وليد وجاء أهل طعمـان^(٢)

(١) طفرس : أى لين سهل .

(٢) يشير هنا الى نسب الخلائيين .

سل أهل " زعفر" (١) عنهم يوم التقوا
 " بابيت" (٢) بعد تحزب السودان
 من أهل " ياور" (٣) كلهم وكتكرو (٤)
 وسواهم من ناصرى الشيطان
 يوم استخف الرعب كل مشجع
 بطل وطارت نفس كل جبان
 سا روا الينا واثقين بطولهم
 بعمر مرم كالليل ذى أركان
 فأمدنا رب العلا بسكينه
 وكتيبة من قوة اليمين
 راجين اجدى الحسين لجمعنا
 من جنة أو نصره الرحمان
 صالوا وصلنا بالشجاع وسمرت
 نار الوغى وتناذر الجمع
 وتصابر الصفان تختطف القنا
 حيناً وأوغلناهم بطعمنا
 فأعزنا رب العباد بنصره
 وأذل أهل الكفر بالخذلان
 ولوا وخيل الله تردى وسطهم
 تسقيهم كأس الردى وهموان

(١) سبق أن أشرنا الى انها قبيلة وثنية.

(٢) ، (٣) ، (٤) مواضع .

ولقد تركنا جُلهم في معرك
جزر السباع وأسغب العقبان
هذا وكم لي من شاهد جمّة
مشهورة في سائر البلدان
كانت لنا عزاً وعند الله مـ
قد جاء وعدا منه في القرآن (١)
قله المحامد إذ حيانا نصـره
وأعزنا مع كثرة العصيان
والمه نضرع أن يديم لجمعنا
نصرا وتشريفا مدى الأزمان

• وقعة "كذاكي" :

ألا من بلغ عنى كلامي
لقومي بعد توفير السلام
بأنا قد أتينا أهل غوبـر
بجمع فيه آساد التحام
كرام من بني روم بن عيـص
وعقبة أبرأ من المـلام (٢)
بأيديهم سيوف راسيات
مترات الجماجم والبنام

(١) إشارة الى قوله تعالى * ان الله اشترى من المؤمنين .. *

(٢) يشير هنا الى نسب الغلانيين .

وتحتهم خيول ضامرات
طوال جافلات كالحمام
نقودهم بتدبير ووعظ
وتشويق الى دار السلام
الى أن قد أتينا بعد ظهر
ديار القوم في لجب لهم
وقد جمعوا توارقهم جميعا
ومن يحميهم من آل حمام
فصفوا واستعدوا ثم طاروا
علينا بالرماح وبالسهم
فشد عليهم نفر كرام
فولى عنهم جمع اللثام
فذاق الموت من بركت عليه
وبالناجين أظفار دوا
فغادرنا كماتهم وكبش
هم جزر لخامة الظلام
قتلنا منهم ما ليس يحصى
وأبنا بالغميمة والسلام

* بكائية في ابن خالته * :

أملت أيا رزء الهمام أبي بكر
لمعني دما بعد الدموع على نحري

فتى لا يزال الدهر يولى جميله
ويلقى الرماح والصوارم بالصدر
تراه اذا ما الحرب شب ضامها
يصون كضرغام هزبر أبى أجر
لنعم الفتى قد كنت للحي جنة
تذود الردى عنهم برأيك والسمر
وغوثا لمكروب وكهفا لعائذ
وغيثا على العافيسن في ساعة العسر
فما زال غيث من رضى الله رينها
يسيل على قبر "بدند" (١) مدى الدهر
أقول لنفسي أسوة وتجلدا
وقد غبضت أشجانها فضل الصبر
أقلى فان الموت حتم على الورى
وكل امرئ يوما يسير الى القبر
هنيئا له نيل المنى من شهادة
وتطهيره من كل ذنب وممن وزر
روح وريحان وأمن ورحمة
وما وعد الشهدا من الرزق والبشر
ونيل الرضى والقرب من خالق الورى
وجنات خلد والشقاة في الحشر

(١) بدند : موضع .

الوزير الجنيد :

هو محمد الجنيد بن البخاري بن أحمد بن غداد بن ليث
يفتح اللام وسكون الميم . .

ولد سنة ١٣٢٢ هـ - ٩٠٧ م في بيت دين وعلم ووزارة . .
وهو من أحفاد السيدة أسماء " نانا " بنت الشيخ عثمان بن فـودى
الشاعرة . .

نشأ في كنف والده فتشرف عليه ودرس عليه معظم العلوم
التي كانت تدرس يومئذ ثم تتلمذ أيضا على الشيخ مالم بوبى والشيخ
محمد الأول وزير زاريا مستفيدا منه ومفيدا . .

قام بعدة رحلات الى الشرق فزار من البلاد العربية مصر والعراق
وليبيا والسودان والقدس . . وقد كتب عن بعض هذه الرحلات.
له عدة كتابات ومقالات منها :

- ١ - ضبط الملتقطات .
- ٢ - افادة الطالبين ببعض قصائد امير المؤمنين محمد باللو .
- ٣ - عرف الريحان في التبرك بذكر الشيخ .
- ٤ - ديوان قصائد الوزير .
- ٥ - تغريغ النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
- ٦ - روائع الأزهار من روض الجنان .
- ٧ - متحف الاخوان لما أتى في الكشف والبيان .
- ٨ - تحفة الاخوان ببعض ما لشيخنا عثمان من كرامات .
- ٩ - تعليق وجيز .

- ١٠- تجديد ذكر السادات .
- ١١- تجديد ذكر الشيخ .
- ١٢- نسق كتاب سعد على حروف أبجد .
- ١٣- نيل المرام .
- ١٤- تأنيس الأحياء .
- ١٥- اسعاف الزائرين .
- ١٦- التحفة السنية .
- ١٧- قلائد العقيان .
- ١٨- تسلية القلوب .
- ١٩- تنبيهات أمير المؤمنين محمد بللو .
- ٢٠- مجموع الدعوات والتوسلات .
- ٢١- اتحاف الحاضر برأى المسافر .

هذا ويتمتع الوزير الجنيد بشاعرية نادرة فهو جيد الشعر، يمتاز شعره الغنائي بالتدفق والانسياب والتعبير التلقائي، مزاجاً فيه بين الجزالة والسهولة، كما يجنح في شعره التعليمي إلى الرقة والسهولة، وهو الجنس الذي أكثر منه إكثاراً..

مختارات من شعره :

"مناجاة الطلول " :

ظعن الذين عهدت في ذا النادى

ماذا وقوفك في الطلول تنادى

وعلام تبكي من بكاء حمامة
في ايكّة تشدو على التــــرداد
والدمع يجرى فوق نحرک سائلا
كالما يجرى في سيل الســــوادی
ذهبوا وغير رسم دارهم البلوال
المردی وطول تهجر وبعــــاد
حتى كان ذراهم لم يفضها
ذو حاجة من رائج أو غــــادی
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضراً وبعــــادی
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لا ئذة على الأعــــوادی
قامت تخاطبني فعز كلا مهــــا
وَلَكُمْ سَكُوتٌ معلن بمــــراد
وتدير عينيها تشير بــــذاك دو
رالدهر غير ما ترى في النــــادی
وظننت ففهمت منه ظنن الـ
أحوال في الدنيا فعز رقــــادی
لم لا أناد في الطلول وهذه الـ
أطيار فوق غصونهن شــــوادی
ألوانها ما بين أبيض ناصــــع
أو أحمر أو مشرب بــــســــوادی

تشدو وترقص في حلل أرياشها
رقص القيان بحلة الأعيان
أسفى علو طلل يمازحني متى
ناديت خالفني على المعتاد
ناديته يا أيها ذا النجاد
فأجابني يا أيها ذا النجاد
لما سكت دنت إلي حمامة
مخبرة تبدو ككون رماد
فسألتها أين الذين عهدتهم
قالت لقد بلغوا على الميعاد
قلت أخبريني من تخلف بعدهم
قالت تخلف دولة الأكابر
مالي أرى دول الكرام وضعفة
قالت علتها دولة الأغوار
فسألت ما خلق الذين تخلفوا
قالت ذوو فحش ذوو أحقاد
لا تكذبيني يا حمامة اكشفي
قالت ذوو حسد ذوو أفساد
هل يحسد الرجل الكبير صغيره
قالت فذلك عادة الأكابر
فسألتها مالي أراك هزيلة
قالت لكثرة لوعتي وسهاد

ما بال لونك مغبرا متغيرا
قالت لهست علي ثوب حسدا
ماذا وقوفك هاهنا في وحشة
قالت لا نديهم علي الا وتاد
هلا قفوت اليهم آثارهم
قالت قعدت لقلة الأزواد
رحم الاله جميع من مكثوا هنا
آمين وشئت دولة الا وغدا
وأعاد دولة من عهدت بهم هنا
أهل التقى والجود والارشاد
ثم الصلاة على النبي وآله
وصحابه أبدا الى الميعاد

"دموع علي أخت شيخه"

عظم المصاب فعزفيه عــــزا
ونعى البكاء ولا يفيد بكــــا
حار الفؤاد فليس يبصر مسلــــكا
للصبر أوبأتي اليه شفــــا
وجرى الدموع على الخدود كأنها
فواره أو مزنة هطــــلا
وبقيت مكتنبا وزادت وحشــــتى
و جزعت يوم توفيت حــــوا

لا رزء أعظم عندنا من فقد هـا
 قد أزعجت من موتها الصلحـا
 ميمونة أخلاقها مرضية
 أفعالها شهدت به النبـلا
 أحسن بها صوامـة قوامـة
 ومتينة من دينها شـمـا
 زهادة وراعة دراسـة
 القرآن قد شهدت بذى الانـا
 وتبت داعة الخشوع لربها
 ولذكـه حتى يفسى الاسـا
 ويظل ذكر الموت يزعم قلبها
 وبربها أنى يكون لقـا
 دأبا تحذر من متابعة الهوى
 علمت بذا القربا والبعدا
 ويسرها ما سر أهل الله من
 قول وفعل نفسها سمحـا
 أبدا تحاسب نفسها وتراقب
 المولى على ما تفعل الرقبـا
 وتبت باكية العيون لخوفه
 بتواضع يرض به الابدبـا
 نفاعـة للناس بالتفسير والـ
 اقرا قد شكرت لها الطلبـا

حمالة الأثقال بل حنانة

للمعتفين وكفها معطاة

ما كنت أقدر عدهاتيك الحلوى

يكفى القليل وفي القليل كفاة

فاله يرحمها ويشكر سعيها

ويعمها منه الرضى وحبها

فاله يرحمها ويوسع قبرها

بمحمد ويعم فيه ضياء

فاله يملأ بالنعيم ضريحها

ويزورها السعداء والشهداء

فاله يونسها ويذهب خوفها

وتكون حيث تبوأ الأمان

يا رب الحقها بخير الأنبياء

وبمن هم من بينهم رحمة

واغفر لها يا رب وارحمها وكن

متفضلا بها من لــــه الآلاء

كن خير كاف نسلها واحفظهم

من كل شر ما بدا الأسماء

ثم الصلاة على النبي وآله

ما أنشدت أشعارها الشعراء

يتلو السلام عليه مع أصحابه

والتابعين متى استجيب دعاء

"في طريق الى خرطوم" :

(١)
خرجنا بمعون الله في "غس" الى الـ
مطار وكنا كالطيور البواكير
فطارت بنا من "يرو" (٢) ولاجة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجر
تخوض عباب الجو عند ارتفاعها
وتعلاه من صوتها بالزواجـر
مجوفة فيها كراسي صففت
ملينة بالخيش برا لزائر
ونفعل فيها كل شي نريد
كأكل سوى تدخيننا بالسجائر
نزلنا "جنينه" للغذاء وبعد ذا
(٣)
ك طرنا ولم ننزل سوى عند "فاشر"
فعدنا اليها ثم طارت وشرقـت
وقد بعدت عنا أراض النياجر
الى أن انخناها وفازت يد النسوى
بخرطوم (٤) فانجابت هموم المسافر

(١) غس : مدينة.

(٢) يرو :

(٣) جنينه وفاشر : مدينتان .

(٤) قاصمة السودان .

وعند غروب الشمس تم نزولنا
فأقبل ليل سدول بالدياجر
فلاحت لنا بالكهرباء كأنهم
نجوم بدت أو كالبدور السوافر
فلما انتهينا واطمأنت نفوسنا
نزلنا "بلوكند" البهى المناظر
به ألف مصباح تضيء كأنهم
وجوه حسان في معالي المناظر
ظن شاطيء النيل المبارك قد رسى
نشم الصبا منه يعترف القناطر
ننتج فيه كل يوم عيوننا
بما نشتهيهِ مثلج للضامر
زوارقه تأتي وتذهب دائما
تميس على التيار ميس الحرائر

"تضرع الى الله":

يا رب أنت الذى ينجويه الناجي
من كل شرمضر في الورى فاج
ادرك بنا يا غياث المشتغيث به
انا لفي ليل حزن في الحشا داج
فرج ونفس سريعا كربنا وقتنا
شر العدى مشد منهم ومدلاج

استضعفونا وصاروا يهزون بنا
تكداد فتنتهم ترمي بأموال
يا رب رد عليهم شرهم وقنا
من بأسهم واهمنا من كل ازعاج
شتت أمورهم بدد جموعهم
وانزل عليهم ببأس منك عجاج
"قد أفسدوا الدين والدنيا لحسد هم
تري علامتها من بين أوداج"
تتبع لعيوب الناس ديدنهم
ما بين منهمك منهم وولاج
الخير ما فعلوا والشر ما تركوا
ورأيهم أخذوه خير منهم
فقد قصدك في أبطال ما صنعوا
وأنت يا رب كافق الخائف الراج
يا رب ان العدى يسمون في تلفي
ويزعمون بأنني لست بالناجي
يا رب صل صلاة لا تعد علي
من قد خصت بأسرا* ومعراج

” نصائح ” :

جهلت ولكن أذهلتك الفسواح
وكيف يطيش العقل والأمر واضح
جهلت بعيد العلم من عظم ما ترى
لذلك لا يجديك بالنصح ناصح
نسيت بما يطن عليك دروسه
زمانك قبل اليوم والزهر فاتح
وما كان يمليه الكتاب عليك من
عجائب دهر صرفه لك شراح
فلا تخش من جور الزمان وكيد
فما زال قدما بالرجال يناطح
والأفان الأولون وما بنوا
وهل بقي المرجوح منهم وراجح
كفاك اتماظا يا أخوتي فلا تكن
كمن يشتكي الاظلام والصبح واضح
ورد جميع الأمر أمرك كله
إلى الله لا يثنيك عنه الملامح
وفوض إليه الأمر يكفيك كما
عراك فان الدهر آت ورائح
وسلم إليه الأمر وارض بحكمه
ومن يعتصم بالله ذلك رابح
إلهي اكفني دنيا وأخرى برزخا
واحسن ختامي يوم تبكي الفوائح

وصل على المختار أحمد من به
نلونا ليوم عزفيه الصامح
وسلم عليه ثم بارك وآله
وصحب أولي الخيرات ما ساج ساج

" لا منجا ولا ملجأ من الله الا اليه " :

نام الخلي ولم تتم عينك
مضى الفؤاد لعظم ما يفشاكا
الذكر سلم حين شطت دارها
أم نوح ساجعة الدجى أبكاكا
أم نفسك السهوى الخبيثة سلطت
سهم المكائد باغتا فرماكا
هلا الى مولاك تبت ولذت لا
ملجأ ولا منجا سوى مولاكا
فوض اليه الأمر كلا واطلبين
منه فيكشف كل ما آذاكا
وتوسلن بمحمد خير الورى
وتشفعن به لكل دعاكا
صلو عليه الله مع أصحابه
شهب الهداية نورت أحلاككا
ربى به وبهم جميعا نجنى
وأدم لقلبي دائما ذكراككا

وأذقه لذته ومعرفة معــا
والزهد في الدنيا وحب لقاءكــا
وادفع خواطري الرديئة كلها
عني وثبت في الفؤاد هداكــا
واختم حياتي بالسعادة مؤمنـا
بك يا الهي فائزاً برضاكــا
وارحم الهي والدي وأخوتي
واغفر لهم ولكل من لباكــا
وأدم صلاتك والسلام على الذي
أخزيت شأنه بأعطيناكــا
وعلى صحابه الكرام وآله
ما فاز عبد بالحنى ناداكــا

الفصل الثالث :

الملاحح المحبزة للسعر بعزي في غربي افريقيا .

من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا ، نستطيع
أن نحدد الملامح المميزة له فنيا فيما يأتي :

١ : امتزاج الروح الدينية بمختلف أغراض أشعارهم ، كما
امتزج وصف الطبيعة في أشعار الأندلسيين بمختلف أغراضهم ..
ومن أمثلة ذلك قول عبدالله الوزير في بائيته التي وصف فيها
فساد أهل زمانه :

يقولون ما لا يفعلون وتابعوا
هواهم وطاعوا الشح في كل واجب
مستوحيا فكرته من قوله تعالى :

* يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله
أن تقولوا ما لا تفعلون * (١)
وقوله تعالى : * أفأريت من اتخذ إلهه هواه .. * الآية . (٢)

(١) سورة الصف الآية ٣ .
(٢) سورة الجاثية الآية ٢٣ .

ويظهر ذلك في قوله أيضا :

وليس لهم علم ولا يسألون عنه

وأعجب كل رأييه في العذاهب

فهو في هذا البيت يشير الى عدم امثال القوم بمبدأ الاسلام في قوله

تعالى : * .. فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * (١)

وقوله كذلك في تهاونهم بصلة الرحم :

وقطع أرحاما وأرزي معارفـا

وآثر عن قرباءه جمع الاشب

مستلھما فکرتہ من قولہ تعالیٰ :

* ... ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض

أولئك عليهم اللعنة ولهم سوء الدار. (٢)

وقوله أيضا في عدم تعميرهم للمساجد :

وما همهم أمر المساجد بل ولا

و مدارس علم بله أمر الکتائب

مشيرا الى قوله تعالى :

﴿ ٣ ﴾ * انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر . . *

(١) سورة النحل الآية ٤٣.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٥ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٨ .

ويقول الشاعر اسماعيل في الرثاء مبينا حال الدنيا التي تتفدد
ومحذرا من الاغترار بها :

الله أكبر ذى الدنا لفنا

خلقت وما خلقت أخى لبقنا

دار كثير حزنها وهمومها

ما أضحكت الأتت ببكنا

كانت على كدر ونحن نرومها

تبقى لنا بمسرة وصفنا

وهو ينظر في ذلك الى الآيات الكريمة :

* كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام * (١)

وقوله تعالى :

* ... وما الحياة الدنيا الا متاع الفرور * (٢)

ويقول الشاعر ذو النون في المدح :

أما يتيم عند هذا الشيخ لم

يقهر وسائل جوده لم ينهمر

مقتبسا من قوله تعالى :

* فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر * (٣)

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٣) سورة الضحى الآية ٩ ، ١٠ .

ويقول أيضا في الرثاء راضيا بالقضاء والقدر :

فما لنا بعده الا الرضى بقضـا

* الله باري البرايا كاشف الكسـر

والرضا بالقضاء والقدر من صميم مقاصد الاسلام بل هو من أركان

الايان الستة.

وها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرضا والصبر على القضاء

والقدر وذلك في رثائه للشيخ زين الحامدين :

يا أهل فوت نعي الناعون سيدنا

فلتصبروا فعظيم الأجر للصبر

ليس البكاء بمجد فيه خرد لـ

والصبر أجمل للمقدور والقـدر

لو كان يفدى فديناء بأنفسنا

والموت لم تتج منه شدة الحذر

وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس

والشرات وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا

اليه راجعون * (١)

وقوله تعالى : * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة * (٢)

(١) سورة البقرة الآية ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) سورة النساء الآية ٧٨ .

ويقول أيضا في فناء البشر والمخلوقات جميعا :

ومن على الأرض فان لا بقاء له

ولو تمطى الى الجوزاء* أوزحل

وهو اقتباس من آية سورة الرحمن التي سبق أن أشرنا اليها. (١)

ويقول أيضا داعيا القوم الى الاعتصام بحبل الله المتين :

ماذا التدبر والاسلام يجمعكم

والطبع واللون والانساب والوطن

صلوا عقود حبال الوصل بينكم

ولا تكن بينكم يا قومنا الاحسن

وهو في هذه الابيات يستلهم قول الله عز وجل :

* وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * (٢)

وقوله تعالى :

* واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . * (٣)

ويدعو القوم الى تعمير الأرض ونبذ الخلافات فيقول :

ولتعمروا بلدا تستوطنون به

ولتتلاقوا به بساتينا وأمنوا

بذاك فابغوا رضا الرحمن واتبعوا

مراده في بقاء الناس أجيالا

(١) وهي الآية رقم ٢٧ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

لا تغفلوا بنزاع سوف يهلككم

مستمسكين بما المولى لكم قـالا

وأحمد هيان سه في هذه الأبيات يستقي أفكاره من قول الله
جل وعز * هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها . . * ^(١) وقوله أيضا
في آية الأنفال السابقة. ^(٢)

ويقول أيضا في وصف مدينة "أندر" :

سما* صحو نجوم الأرض تكلو* ها

قد أشعلت لرجوم الجن اشعالا

فقد استوحى فكرة رجم الجن سترقي السمع بالنجوم الثواقب
من مجموع الايات الأربع من سورة الصافات من قوله تعالى :

* ان زينا السماء الدنيا بزينه الكواكب ، وحفظا من كل شيطان
مارد ، لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا
ولهم عذاب واصب ، الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب * . ^(٣)

وها هو ذا القاضي مَجَّحَتْ كل يمدح الأُمير لتجوز بقيامه
بمهمة الأُمير بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيقول :

بشرى لقد شاد دين الله "لتجوز"

فأحيي اليوم بالاسلام "كجور"

(١) سورة هود الآية ٦١ .

(٢) وهي الآية رقم ٤٦ .

(٣) من الآية ٧ الى ١١ .

تففيه بأمر بالمعروف عسكـره
كأنما جاءه من ربه النـور
وهل ترى ناديا فيه تمر بهـ
الا ويسمع تهليل وتكبيـر
وفكرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات مبادئ
الاسلام وان الخيرية التي وصفت بها أمة محمد عليه الصلاة والسلام منوطة
بالقيام بهذه المهمة على أكمل وجه .. يقول تعالى :

* كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتو منون بالله ... * (١)

ويقول الشاعر أيضا في المدح نفسه شيدا بجهاده :

أقام سبعة أعوام يبارزهم
حتى رأوا أن جند الله منصور
وهو ينظر الى قوله تعالى :

* ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون
وان جندنا لهم الغالبون * (٢)

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

حمدا اذا ما النصارى أخرجوا فلنا
من بعدهم لديار الدين تعمير

(١) سورة آل عمران الآية ١١٠ .
(٢) سورة الصافات من الآية ٧٢ - ٧٤ .

أخرجتهم بحروب ذكرها أبدا

باق بقاء جبال الأرض مشهور

مشيرا الى المطلب الأساسي لخلق الله الانسان من على هذه
الأرض وهو تعميرها بالطاعة والعبادة ونفع العباد. (١)

وتقول أسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي في رثاء صديقتها :

وذكرني موت الحبيبة من مضي

من الأخوات الصالحات العقائل

من الصالحات القانتات لربهم

من الحافظات الغيب ذات النوافل

ناظرة في صفاتها الى قوله تعالى :

* .. عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن

سلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات شيبات وأبكارا * (٢)

وقوله تعالى * ... فالصالحات قانتات حافظات للغيب

بما حفظ الله .. * (٣)

وتقول في ذلك أيضا :

واني لحكم الله راض وانما

أراعى بما قد قلت حق الأخوة

(١) : تراجع الآية السابقة من سورة هود رقم ٦١ .

(٢) : سورة التحريم الآية ٦ .

(٣) : سورة النساء الآية ٣٤ .

وأبكى عليها بالدموع ترحمًا
وشوقًا وتحنًا لصدق المسودة
ولم ينه عن هذا النبي وانصًا
نهي عن صراخات بآه وآهية
مشيرة الى ممنوع البكاء والحزن على الميت.
ويقول محمد البخاري في الجهاد مشيرًا الى وعد الله الصديق
للمجاهدين :

فأمدنا رب العلاء بسكينته
وكتيبة من قوة اليمين
راجين احدى الحسنين لجمعنا
من جنة أو نصرة الرحمن
فأعزنا رب العباد بنصره
واذل أهل الكفر بالغلل
فأفكاره في الجهاد كلها مستقاة من تعاليم الاسلام في هذا الباب ، فالله
تعالى يمد المجاهدين في سبيله بالسكينة بقوة ايمانهم به . يقول تعالى :
﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ... ﴾ الآية (١)
والمجاهدون في سبيل الله يرجون احدى الحسنين ، اما النصر
واما الشهادة وكلاهما خير للمؤمن ... فالحق تعالى يقول :
﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٢)

(١) سورة التوبة الآية ٢٣ .

(٢) سورة محمد الآية ٨ .

ويقول أيضا :

* ... والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم ، سيهديهم
ويصلح بهم ، ويدخلهم الجنة عرفها لهم * (١)

والله ناصر المؤمنين والمجاهدين ومذل الكفرة والطحدين ، يقول
تعالى :

* ... وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين * (٢)

ويقول عن الزهد في الدنيا :

وازهد عن الدنيا فان نعيمها

أضغاث أحلام وظل زائل

متأثرا بقوله تعالى :

(٣)
* وما الحياة الدنيا الا متاع الزور * .

ويقول في الرثاء :

أقلي فان الموت حتم على السورى

وكل امرئ يوما يسير الى القبر

ناظرا الى قوله تعالى :

* .. كل نفس ذائقة الموت * . (٤)

(١) سورة محمد الآية ٥٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٢٧ .

(٣) سورة الحديد الآية ٢٠ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٨٥ .

وقوله عز من قائل :

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (١)

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة .. على أن هذا الملمح ظل يلزم الشعر العربي في غربي أفريقيا في جميع أغراضه ولم يتخلف عنه لحظة من اللحظات .. ولا غرابة في ذلك ، إذ لولا الدين الاسلامي لما كان للقوم شعر باللغة العربية .

ب : الصور والأخيلة والمعاني والأسلوب ، مقتبسة غالبا من ثقافتهم الأدبية في الشعر العربي القديم ..

فمثلا عندما نقرأ شعر القوم نجدهم يعمدون الى التشبيهات القديمة المحفوظة والصور الشعرية المكرورة في الشعر العربي القديم ، فاذا شبهوا المرأة الحسنة فهي تحكى الظبي في كناسه والبدر في سماءه وهي مهابة وألحاظها سيوف باترات وقدها غصن يتثنى ونهـود الحسان كالرمان وخدودهن كالتفاح وعذوبة ريقهن كالخمر المعتقة ويتمطفن كالرماح وخصورهن كأحفاف بدعص .. الى غير ذلك من القوالب الموروثة ..

فمثلا يقول أحمد عيان سه يصف حسان " كولخ "

وبدورا بها فتن عقولا

ولحاظا بها رمين جفانــــي

(١) سورة الاسراء الآية ٢٥ .

وظبيا بها أغنى كحيــــــــــــلا

فاتنا فاطر الجفون سبــــــــاني

فتن القلب له فشجــــــــاه

يا لقلبي من ذلك الفتــــــــان

ويقول يونس ذو النون في الغزل :

فتفوق أوجهها البدور وتزدرى

نفحاتهن بكل سك أذفــــــــر

مهاشدا شاد أطن قدودها

كفصون بان غباريح صرــــــــر

ويقول في قصيدة أخرى غزلية :

معارفها تشجى القلوب رنينها

فتتهزأغصانا قدود غــــــــوان

ويقول : الهادي توري في وصف حسانه :

ونساءها حور حسان خــــــــرد

ظبيات وجرة كاملات الرونــــــــق

فلئن رنون فذاك أقتل للفتــــــــى

من ضرب أسياف ورمي البنــــــــدق

ويقول أيضا في القصيدة نفسها :

راد تخجل فيه يوحا وجهها

بدل السراج لدى الدجى للطــــــــرق

لا علم لي أبغدها أم خدهــــــــا

أم جيدها أم قولها المترفــــــــق

تسبي العقول وتسترق قلوب جند
سنى غير أنى كالأسير الموثق
والقد غصن واللهيب كخدها
والجيد جيد الرثم عند المطرق
ونجدهم يقلدون القدامى في مناجاة الحمامة عند الغزل ، فيها هو ذا
احمد عيان سه يقول في الغزل :
أنح وقد ناحت بقربي حمامة
بهيجهما نحو البكاء هديــــل
ودوني يعقوب على فقد يوسف
وترحمني وقت النواح شكــــول
ويقول في المعنى نفسه الشيخ الهادى تورى :
فأقول عند سماع نوح حمامة
يا جارتى ماذا دعاك لمأــــق
ويتابعون القدامى في وصف الليالى الوصل وأيامها بالقصر ، فيها هو الشيخ
الهادى تورى يقول :
ولرب ليل مثل ابهام القطا
بتناه فوق سريرها في عيهــــق
أعوامها مثل الشهور شهورها
مثل الليالى ليلها كالمبــــرق
وفي وصف طول ليل الهجر والصدود يقول الوزير الجنيد :
تطاول ليلي واستمرت وساوســــي
وفاضت على نحرى بحور المدامــــع

وت أراعي النجم في غيبهـب الدجى
أشير اليه تارة بالأسـابـح
وصرت أمني الصبح حتى كأنني
أبيت على جمر من النار لا ذع
ومن مظاهر متابعتهم القداس اقتباس معانيهم في شتى الأغراض فمثلا
يقول الهادي توري في وصف محبوبته :

لوناـل ذوسقم بفيها قلبـة
كان الشفاء له بدون ترفق
وهو معنى قديم سبق اليه الشاعر .
ويقول أيضا في وصف ركو به :
ومطاه يبرق حابيا متطـاـولا
اطن ذرى نيق الجبال الشهب
وكانا وقع السنايك في الكسـدى
زند المقدح أوحياحب مخفق
فوصف سنايك الخيل في القوة والصلابة وصف قديم قدم الشعر العربي ،
فها هو ذا عنتره يقول :

وحوافر الخيل العتاق على الصفا
(١)
مثل الصواعق في قفار الخدود

ويقول أيضا في مبارزة الأقران :
فلربما بارزت وحدي فتية
كمعديكم بطعمان ربح مـزرق

(١) وصف الخيل في الشعر الجاهلي ص ١٢٦ د / كامل سلامة الدقس ،
ط / دار الكتب الثقافية - الكويت .

وأثرت فيهم قسطلا متراكما
طاشت به الباب ذاك الفيلق
حتى تبدل ليلة ذاك النهي
ر وما النجوم سوى السيوف البرق
وهو مأخوذ من قول بشار بن برد :
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا
(١) وأسيفنا ليل تهاوى كواكبها
ومن اقتباسهم من معاني القدامى الفخر بالشجاعة في منازلة الأقران ،
يقول محمد البخاري :
وأطاعن البطل الكريه نزاله
ان صد عنه امثال الشجعان
فهو يأخذ عن عنقته وغيره حيث يقول :
ومدحج كره الكماة نزاله
لا سمعن حربا ولا مستسلم
جادت له كفي بعاجل طعنة

(٢) ورشاش نافذة كلون العندم
ومن ذلك أيضا ارتباط صورة القتل والجرح بالطيور والسباع والضباع

(١) ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٣١٨ شرح محمد طاهر بن عاشور ،

ط / لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة .

(٢) ديوان عنقته ص

يقول محمد البخاري :

ولقد تركنا جلهم في معسكر

جزر السباع وأسفب العقبان

ويقول في ذلك أيضا القاضي مجت كل :

ورب يوم به العقبان قد حصدت

فعل العوالى وفعل البيض والنسر

ويقول أيضا :

مارالنسور مارا والضباع معا

منهم وهل جمع "أهل الشرك مكسور

ما زال يضربهم بالبيض يطعنهم

حيث الرصاص مع البارود منشور

لم يشتك الجوع من نسر ومن ضبع

الا وهامهم في البهد مجرور

وهي صورة تكررت كثيرا عند أبي تمام والمتنبى :

ولعل أوضح مثال على محاكاة القدامى والاقتباس منهم في الصور

والمعاني وصف القاضي مجت كل لجيش " لتجور " حيث يقول :

ومن " منداخ " جمعت الخيل يركبها

مرد علامتهم حلق وتقصير

مثل الجراد بهم غص الغلاء وقد

غاظوا وفاروا كما قد فار تنور

يبادرون حياض الموت قاطبة

شم العرانيين أبطال شاهير

پنازعون جیادا فی اعنتہا

ترنوا اليهم نساء الجنة الحور

يحشى المشاة أمام الركب واحتفلوا

أقدامهم تشتكيها التل والفسور

لها غبار يكاد الجو ممتلئاً

منہ اذا قلت فیہم آمرا

سیرتہم فأجدوا سیرہم وأتقی

بہم سری شم اصعاد و تہجیر

يقودهم عمك المختار محتزما

كالليث ذى اللبد الشاكي أظاير

نعم ان شاعرنا كان في كثير من معانيه وصوره في هذا الوصف للجيش مقتبسا من محفوظاته من الشعر القديم الا أنه ساق ذلك في تدفق وانفعال . .

ويستعير الشيخ مالك سه في وصف شجاعة مددو حه معنى قديما

متشلا في اقراء العدوى بالحسام فيقول :

وَبَرَكَ الْبَرِّ الْعَادُونَ اذْ عَلِمُوا

بأن موقد نار الحرب مقتدر

از کل من عاف منهم ما تدین به

قراءه يوم التلاقي الصيام الذكر

وما يدل على شغفهم بمحاكاة القدامى واقتباس معانيهم وصورهم هذه

المغامرة الخبيثة الداعرة التي نظرفيها الشيخ الهادي توري الي كل من

امرى القيس امام هذا الغن وتلميذه النابغ عمر ابن ابي ربيعة فيقول :

فلرب ليل مثل ابهام القطـ
بتناء فوق سريرها في عيهـ
لا سيما ليل طرقت خباءهـ
وهنا وبتنا في تمام المأنـ
فكان بردى من مباشرتي لهـ
من بعد فرقتنا لطيف الزئبق
حتى اذا استبدلت نكهة ثغرها
من أذفر المسك الذكي المعبق
نبح الكلاب وصاح ديك الحى وان
تشر الضياء فباينا كمصفق
قلقت وقامت تشتكي غير الرقيبـ
ب ووجهها متغير للمقلـ
قالت لاشفاق الهلاك علي يا
هذا ألا تحت السرير اخرنسق
كشر الرجال على الطريق وكلهم
بطل غيور رمحه ذو مسـ
فأجبتها والله لست بغاءـ
وستعلمين بأنني لم أخفـ
أما القتال اذا تعرض لي فلا
أبدا أرى بمجن عمر أتقيـ
هذا ويتصل باقتباسهم من القديم ظاهرة الوقوف على الاطلال ، فها هو ذا
محمد بللوي يقول :
يا دار سلمى باللوى فالباب
قفر الطول تراوح الأقطاب

ولقد وقتت بها أسائل رسمها
 ان لم أجد متكلما بجواب
 ولقد عهدت بها الحلول يزينهم
 بمن الوجوه شواقب الأحساب
 دع عنك ذكرى خودة وديارها
 وأوانس جاراتها أتسراب
 ويقول أيضا :

لمن طلل عاف بذات بطاح
 فأكناف جارات فذات برحاح
 وقتت به صهي أسائل ربعه
 عن الحي أيا يسموا بسجساح
 فدع عنك ذكرها وذكر رباعها
 وهل بعد شيب من صبي ومزاج
 ويقول في نفس الموضوع أيضا الشيخ الهادي توري :

لمعان برق الليل نحو المشرق
 أبدا هوى قلبي بنور مشرق
 آه على أطلال دار أحبيبة
 لي البرق خيلها كروء يا المخفق
 فتخيلت لي دار عزة والربا
 ب وفرتني والكل كالمتحقق
 فوقت أبكيها ولا كبكاء خنـ
 ساء على صخر ولا كمالخر نسق

ويقول في ذلك أيضا محمد البخاري :

اصحوت أم هاجت هواك منازل
عفى معارفها البلى وهواطل
بتلاع " ثافي " أو " بجن " فما بها
الا نعام ترتعى وفراطل
دار عهدت بها الحلول وكل من
أهوى معى والعيش غضن باجل
ولقد وقت برسمها مستخبــــرا
عن أهلها والدمع مني سائــــل
لله درك هل وقوفك نافــــع
برسومها أم هل لدمعك طائــــل
فدع الديار وذكر أخدان الهسوى
وخرائد في مشيها تتمايــــل

ويقول أيضا في قصيدة أخرى :

أمن آل أم محمد طلــــلان
مخلولقان بجن ذي القيعــــان
وبجنب " ثافي " ذي الربا عفاهما
قدم وكل أجش ذي هطــــلان
أقوت ديارهما سنين فما تــــرى
فيها سوى الآرام والريــــلان
ولقد أطلت بها الوقوف وصحبــــتي
نسل الديار عن أهلها الخــــلان

فأجابنا من بعد طول قائل
أنتم ومن تسلونهُ سهران
ويقول الوزير الجنيد في نفس الموضوع أيضا :
ظعن الذين عهدت في ذا النادى
ماذا وقوفك في الطلول تنادى
وعلام تبكي من بكاء حمامة
في أيكّة تشدو على التــــرداد
والدمع يجرى فوق نحرك سائلا
كالماء يجرى في مسيل الوادى
ذهبوا وغير رسم دارهم البلى الـ
مردى وطول تهجر وبمسار
حتى كأن ذراهم لم يفشها
ذو حاجة من رائج أو غــــادى
صارت مراتع للوحوش بعيد أن
كانت مقاصد حاضر أو بــــادى
أقوت فلست ترى بها أحدا سوى
الحرباء لا ئذة على الأعــــواد
ويقول أحمد عيان سه في الاطلال أيضا :
أ ان عرضت بسلع دارس الطلل
اجريت ما كان في عينيك من بلل
وقفت في الدار محزونا تسألها
عن سا كينيها فلم تسمع ولم تقل

وأجهل الناس من يبغي الجواب لدى
ربيع محيل بعيد العهد بالحلل
يظل فيه سوام الريح منجفلا
بعد الا^١ وانس والا^٢ نماط والكلل
ويقول ذو النون في مقدمته الغزلية :

عفت لسعاد من يهرى من دور
على أطلالها أسفا ندور
وقد كنا بها والعيش صاف
وكاسات الهوى كنا ندير
تجيب الصاهلات كران شار
يرن لنا كما يطن الزبور
وعهدى عن مساكنها الخوالي
لها حجج وتلوها شهرور
فأسى الربيع لم يؤنس طمنا
به الانشيم أو زئير
ولم يسمع لذى الا^٣ طلال الا
عواد أو بغمام أو صفير

ونلاحظ أن شعراء^٤ غربي أفريقيا في وقوفهم على الا^٥ طلال قد تقمصوا
أسلوب القدماء فيه ، فوصفوها متناولين جميع عناصرها من الرياح التي بدلت
معالمها والا^٦ مطار التي عفتها والغزلان والبقر الوحشي وغيرها من الحيوانات
التي حلت بالالا^٧ طلال بعد رحيل أهل الديار . ثم اثار الديار من نو^٨ى
وانماط وكلل ..

جاء : توظيف ثقافتهم العلمية من تاريخ ونحو وصرف وفقه
وحديث وحساب وتنجيم وفلك ومنطق وغير ذلك في لغتهم الشعرية ..
فها هو ذا أحمد عيان سه يقول في الرثاء موظفا ثقافته التاريخية
عن مقتل حسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه :

كأن نعيشك شمس اذ تسير بـهـ

ضيفا الى الروضة الفيحاء ذى الحزن

تخال نعيش حسين في بكاء وأسى

بكربلا بين مكبود ومتهـنـ

ويستغل ذوالنون أيضا ثقافته التاريخية في مدح الشيخ أحمد ببـهـ
فيقول :

ما مثله كسرى علا ومهابـةـ

بل دون ماواه جلاله قيصر

ويقول أيضا موظفا ثقافته في علم الحديث :

بل ما حكى حاك بديعا مثلهـ

بل لم يعنعن في ممر الأعصر

مشيرا الى العنينة في رواية الحديث ..

ويوظف ثقافته في الأدب في احدى غزلياته فيقول :

يسير بشوقه قيس وإنـيـ

على علاش أشواقى أطهر

مشيرا الى قصة قيس بن ذريح المشهور بمجنون ليلى ..

ويوظف عبدالله بن فودي ثقافته النحوية في المدح فيقول :

ولهم ككـان ومبتدا في جارهم

عمل لغيرهم كلم أوفي يــــج

وفي ذلك يقول ذو النون في الغزل :

قد كنت مبتداً و غيري في الهوى

خبري ومعرفة غدت لم تتكــــرر

ويقول أيضا في المدح :

ان شئت ذكره وأنت غيرــــه

شتان بين مؤنث ومذكر

ويقول أيضا في الغزل :

فما ضم مثلي في الصباية والهوى

ظروف مكان أو ظروف زمــــان

ويستغل ثقافته في القراءات والنحو أيضا فيقول :

طويتم بساط الانس من بعد نشره

كما كان يطوى قارىء همز وصله

كما استغل ثقافته الفلكية في المدح حيث يقول :

فبنات نعش دون شمس نعاله

بل دون رتبته السهى والمشتري

وفي ذلك أيضا يقول أحمد عيان سه في الرثاء :

قد شط قرن الموت السيد بين كما

يأتي الكسوف ببرج الجدى والحمل

ومن على الأرض فان لا بقاء له

ولو تخطى الى الجوزاء أوزحل

ر : كثرة استعمالهم للغريب من الألفاظ في أشعارهم ،
فها هوذا عبدالله بن فودي الوزير يمدح فيأتي بالغريب ويركب متوعر
الألفاظ فيقول :

عج نحو أضواج الأحبية من "مج"

واشرب من الانشاج ماء الترعبج

شج الدموع على منازلهم بهـ

واشف الجنان من الهوم الدمج

قف عندها سل من بها فعمس تجب

حوجاء أولوجاء ترضى من شجـ

وهي قصيدة طويلة يصعب على القارى فهمها بدون أن يستعين بالمعاجم
اللغوية .. ويعتبر عبدالله بن فودي أكثر شعراء العربية شغفا بهذه
الظاهرة ..

وها هوذا محمد بللو أيضا يتناصر بالغريب في مدح شيوخه

فيقول في بعض أبياته :

يا دارسلم بقو اوبخيف منى

اقوت كأن لم تكن صارت لها وطنا

.. خلت كأن بها خيط النعام ضحى

كوم تروت وأمت في الضحى عطنا

وحين لم ألف الفا في معاهدها
سليت نفسي بصعب ان جرى أرنا
فحل سبيل أنيق عوهن ثقف
كأنه قارب أمواجه السفنــــــــــــا
كأن رحلي بذى ضال ودارتها
على أقب بجزع يبتغي أتنا
سحج فارح ستأنس وحيد
ما تعاوره الكلاب في ضجنا
فأفردوه فأضحى لا يوالفــــــــــــه
عين ولا مسجل البهي لذا مزنا
فذاك يبلغني دارا بها نزلت
سحابة العلم تهوى لم تزل زنا...
هذا ، ونكتفي بهذين المثالين لظاهرة الغريب من الألفاظ
في شعر هذه المنطقة ، على أنها ظاهرة ملموسة من جميع شعراء هذه
البلاد ...

هـ : ذكر كثير من الأمكنة في أشعارهم من حصون وحياض
وأنهار ومدن ، وخاصة تلك التي كانت تدور حولها رعى الحرب ..
فها هو ذا عبدالله بن فودي في غزوة " غوبر " يقول :

وكم طلل علمت " بريم " خال
و " شَمْل " كَو " كَن " و " ظم ظم "
وكم يوم " بكن " لنا عليهم
و " طان غادا " و " غردم " أي يوم

فأورد هم " بخافرا " حوض موت

ففر لأهله بلباس نسوم

ويقول في غزوة " غار " :

يا أهل " غار " ألما يكفكم " كشنا "

والجار يسمع ما قد حل بالجار

كذا " كنو " مع " زكوك " وهي قريبكم

و " زنفرا " مع " غوير " نسل " بابار "

ويقول محمد بللو في انتصارهم على الوثنيين :

سرنا الى " عُمكي " وفر " الأسيون "

قواد أهل الشرك والأحزاب

نزلوا " كذابي " بالعتو وألبوا

أهل القرى ووادى الأعراب

ويقول أيضا في غزوة " كنو " :

سائلوا عنا وعن أعدائنا

يوم دار الحرب في " كنو " الحفر

.. لكم كربه فرساننا

في صناديد " كياوا " المنكسر

ويقول أيضا في إحدى جهادياته :

فحزنا ياتوارك أهل " أزيبن "

ففروا كي يخلصكم فرار

ويذكر عبد الله الوزير الحصون التي فتحوها في إحدى غزواتهم فيقول :

فتحنا حصونا بين " كُنْد " و " كُنْدَكَا "

تزيد على عشرين بالقهر والقوى

ويقول محمد البخارى في الانتصار على البغاة :

سل أهل " زَنْغَر " عنهم يوم التقوا

" بَأَيْت " بعد تحزب السودان

من أهل " يَاور " كلهم و " كَتَكُرُو "

وسواهم من ناصرى الشيطان

ويقول القاضي مجت كل في وصف بسالة " لتجور "

تالله ما سالموا الا لما عهدوا

أيام لا قوك في " كُولِكُول " وفي " لور "

و " يوك " بعد " مخ " فالسلم موجبها

لم يخف أنك يا ضرغام محذور

ويقول في قصيدة أخرى :

وظن أن له منجا ومعتجما

ان صار " جُور " له سكنى و " كُور "

ويقول أيضا :

أصدق في ادعاء الدين " لتجور "

أم انما هم في ذاك " كجور "

.. فثم ولوهم الأديار فانهزوا

بالذل فادعوا الاسلام في " جور "

ويقول أحمد عيان سه في الوصف :

قد رجعت " سَانْلُويسَا " روحه وزهى

وسر سور كما شئناه وارتاحنا

هذى شمس " دكار " حل طالما
فينا فكل بما يخفيه قد باحسا
ويقول في الحنين الى " كولخ " :
لست أنسى ظباء " كولخ " فيها
وظباء القنا وعين عممان
ويقول أيضا في شعره الاجتماعي :
يا أهل " سنغال " لا عاداكم الزمن
لم لا تسير بكم نحو العلى سفن
ويقول الوزير الجنيد في الحنين الى بلده :
لي في المعاهد صبوة لكنها
ليست تعاشر صبوتي في " يولا "
ويقول في وصف رحلته الى السودان أيضا :
خرجنا بعون الله من " غلس " الى ال
مطار وكنا كالطيور البواكير
فطارت بنا في الجوالحة الهوا
تدافع أمواج الهوا في الهواجير
هذا ، وقد أعطت هذه الأماكن والحياض والأنهار والحصون والمدن
الشعر العربي في غربي أفريقيا نكهة أفريقية مميزة وأضفت عليه طابعا
اقليميا مميذا انفرد به غصنه من بين أغصان روحة الشعر العربي
أو الأرب العربي عموما ..

و : بعد شعرهم عن التعقيدات الفلسفية والعمق الذهني ،
واعتمادهم على العفوية والبساطة وعدم التكلف . . ونجد أنفسنا في غنى
عن ذكر الأمثلة في ذلك فكل بيت من أبيات شعرهم تقريبا يقوم مثالا
ودليلا على ما قلناه .

ز : موسيقا أشعارهم تدور في البحور الرحبة غالبا و قليلا
ما تخرج عنها ، فإذا تناولت شعرهم الغنائي بصفة عامة تجد أن الأوزان الاثيرة
عندهم تأتي من حيث الكثرة على النحو التالي :

البسيط ثم الطويل فالكامل ثم الوافر فالخفيف و قليل جدا
خروجهم عن هذه البحور الخمسة . . ولا غرابة في أن تستأثر هــ
الأوزان أو البحور بمعظم أشعارهم ، فقدما كانت الأوزان الاثيرة عند
الفحول . .

يقول أبو العلاء المعري : " والبسيط والطويل ليس في الشعر
أشرف منهما وزنا ، وعليهما جمهور شعر العرب . وإذا اعترضت الديوان
من دواوين الفحول كان أكثر ما فيه طويلا وبسيطا . . والأوزان التي تتقدم
في الشعر كله خمسة : ثلاثة هي ضروب الطويل بأسرها ، والضربان الآخران
من البسيط .

. . . يلي هذه الخمسة في القوة ثلاثة أوزان وهي الوافر الآخر
. . . والكامل الآخر . . . والكامل الثاني . . . " (١)

(١) الفصول والغايات ص ٢١٢ - ٢١٤ لابي العلاء المعري ط/ المكتب
التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت .

لَا تَعْلَمُ

بِوَلَدِ

خاتمة

تبين لنا من خلال دراستنا للشعر العربي في غربي أفريقيا الحقائق الآتية :

أن دخول الاسلام الى هذه المنطقة قديم ، فقد كانت الاشرقة الأولى للاسلام على هذه البلاد في أواخر العصر الهجري الأول ، وهي الحقيقة التي تثبتها وتؤكدها حقائق تاريخية تمثلت في قدم العلاقة بين هذه المنطقة وبين بعض البلاد الاسلامية كمصر وأفريقية ، وهي علاقات كانت في بدايتها تجارية .. وما أن أشرق الاسلام بنوره على الجزيرة العربية ومن ثم على مصر وأفريقية ، حتى تحولت الى علاقات دينية في الدرجة الأولى ..

وأن اللغة العربية واكبت خطوات الاسلام وظلت تتطور حتى أصبحت لغة الادارة الرسمية في شتى ممالك المنطقة .. ونحن على ذكر بما ذكره البكري من استعانة ملك " غانة " .. قبل اسلامه بخبراء الادارة والتراجمة من المسلمين .. كما رأينا دولة " مالي " أيضا تتخذ العربية لغة رسمية ، وكذا دولة " صنعاني " و " دولة الغلاني التي أسسها الزعيم الروحي الشيخ عثمان بن فودي في نيجيريا ..

وأن الغربة الاستعمارية التي تزعم أن حضارة غربي أفريقيا مرتبطة بالغرب مزيفة منقوضة ، ذلك أن الاسلام هو العامل الأول والأخير في صبح هذه المنطقة بالحضارة الحقيقية والرقى السلوكي .. ويوثق هذه الحقيقة أن القوم كان لهم واقعهم المادي المتمثل في النظم السياسية والعسكرية والاقتصادية .. ونحن على ذكر بما قرره عنها المؤرخون

والجغرافيون العرب المسلمون ، أمثال ابن الفقيه والغزاري وابن حوقل والعمري والبكري وابن خلدون الذي يقول في أهل " غانة " :
" كانت أعظم أمة ولها أضخم ملك " وقد جعل القلقشندي سلطانها من بين سلاطين الدنيا الأربعة .. ثم جاء الاسلام فانتشلها من هذا الواقع المادي الى حضارتها التي تجمع في نسيجها بين الرقي المادي والرقي الروحي الذي استشعر الانسان الافريقي تحت ظله كرامته البشرية كما وجد فيه ضالته الروحية .

وأن الشعر العربي القديم كان له الأثر الأقوى على ملكاتهم الغنية فيما انتجوه من أشعار ، وربما كان يرجع ذلك الى تشابه البيئة التي هي أقرب الى البداوة ..

وأن النخبة الدينية قد غلب على معظم أغراض شعرهم كما غلبت النخبة الحماسية على أشعار الجهاد ضد الوثنيين أولا ومقاومة الاستعمار ثانيا ..

وأن لغة أشعارهم في شتى الأغراض الغنائية قد اتسمت بالجزالة ووعورة الألفاظ أحيانا ، كما اتسمت أشعارهم التعليمية بلغة شعبية سهلة شديدة القرب من أفهام العامة ..

وأنه لم يتح لأغلب شعراء غربي أفريقيا الاطلاع المنظم على دواوين الشعر العربي القديم في جميع عصوره ، فيما عدا القوائد الست للشعراء الجاهليين .. وانما استقوا ثقافتهم الأدبية من كتب تستشهد بهذه الأشعار ، ولذلك قل الابتكار والتجديد عند الكثرة الكثيرة منهم .. كما أنه لم تبلغهم بشائر النهضة للشعر العربي الحديث .

وأخيرا ، فاني أتقدم بدعوة جامعات الدول العربية بصفة خاصة
والعالم الاسلامي بصفة عامة ، الى العناية بتراث منطقة غربي أفريقيا
العربي الاسلامي ، وبعثه من غياهب خزائن مكتبات فرنسا وبريطانيا
وجامعات غربي أفريقيا . . . وصرف جهود طلاب الدراسات العليا العربية
والشرعية والتاريخية والحضارية نحو تحقيق ودراسة هذا التراث الثمين
الذي يسهم بنصيب وافرفي اثراء مكتبة التراث العربي الاسلامي . .
هذا ما نرجوه . . والله الموفق ،،،

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون . . . ،

فَهْرَسُ الدُّصَاوِرِ وَالْمُرَاجِعِ

المصادر والمراجع

أولا : المخطوطات :

- ابراهيم نياس ،
مجموعة قصائد .
- أبوبكر بن احمد (المسكين) ،
ديوان شعره المسمى (جامع الامثال والحكم الفائقة المثال) .
- أبوبكر بن محمود غني ،
ديوان أبي بكر غني .
- احمد بن عبد البكي (الشيخ الخديم) ،
مجموعة أشعار .
- أحمد عيان سه ،
ديوان شعره .
- أسماء بنت عثمان بن فودي (نانا) ،
مجموعة أشعار .
- اسماعيل بن محمد ،
مجموعة أشعار .
- ابن العربي ، له
قصيدة في المدح .
- الجنيد بن محمد البخاري (الوزير) ،
ديوان قصائد الوزير .
- ضبط الملتقطات .
- إفادة الطالبين ببعض قصائد أمير المؤمنين محمد بن علي .

- اتحاف الحاضر برأى المسافر .
- تفريج النفس بذكر زيارة العراق والقدس .
- مجموعات الدعوات والتوسلات .
- روائع الأ^{*}زهار من روض الجنان .
- الرحلة المتعة الى ليبيا والسودان والجمهورية العربية المتحدة .
- عبد الله بن فودي (الشيخ الوزير) ،
 - تزيين الورقات .
 - البحر المحيط - .
 - الحصن الرصين (الحصن الرصين)
 - مجموعة قصائد .
 - فتح اللطيف الوافي في علمي الخليل والقوافي .
- عبد الرحيم ،
 - مجموعة أشعار .
- عمر ابراهيم (القاضي) ،
 - ديوانه " حديقة الأ^{*}زهار " .
- مالك سه الشيخ ،
 - مجموعة أشعار .
- مجخت كل (القاضي) ،
 - محمد الأ^{*}مين بن الزبير ،
 - مجموعة أشعار .
- محمد البخاري بن عثمان ،
 - الميل على حب النساء .

- محمد بللوين عثمان (السلطان) ،
مجموعة قصائد .
مرثية عمه عبدالله .
تخميس بانة سعاد .
مجموعة أشعار .
- محمد أنياس (الشيخ) ،
مجموعة أشعار .
- محمد سنبو بن أبي بكر (الوالي) ،
ديوان شعره .
- محمد الناصر (الشيخ الكبرى) ،
النفحات الناصرية في الطريقة القادرية .
- محي الدين كشمه (الشيخ) ،
مجموعة أشعار .
- الهادي توري (الشيخ) ،
القافية المطولة .
مجموعة أشعار .

ثانياً : المطبوعات :

١ - العربية :

- ابن بطوطة ،
رحلة ابن بطوطة (دار صادر ودار بيروت) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ،
العبر وديوان المبتدأ والخبر (دار الكتاب اللبناني) .
- ابن رشيق القيرواني ،
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده (طبعة دار الرشاد
الحديثة - الدار البيضاء) .
- ابن عذاري المراكشي ،
البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب ،
تحقيق ج . س كولان وأ . ليفي بروفشال ، دار الثقافة بيروت .
- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي ،
الشعر والشعراء (دار الكتب العلمية) .
- أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ،
الفصول والغايات في تمجيد الله والمواعظ (المكتب التجاري
للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت) .
- الإدريسي محمد بن عبد العزيز الشريف العلوي ،
المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس (ليدن) ٨٩٤ .
- الفع محمد كعت (القاضي) ،
تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (هوداس)
باريس ١٩٦٤ م .

- البكري أبو عبيد الله بن عبد العزيز ،
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (دى سيلان ، باريس ١٩٦٥ م)
- بهاء الدين العاطلي ،
- الكشكول تحقيق الطاهر أحمد الزاوي (دار احيا الكتب العربية) .
- الحريري ،
- شرح المقامات الحريري للشريسي ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم
- (المؤسسه العربية الحديثه) .
- الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاشي ،
- فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور (دار الغرب الاسلامي بيروت) .
- عبد الرحمن السعدي ،
- تاريخ السودان (هوداس ، باريس ١٨٩٨) .
- عبدالله فودي ،
- ضياء التأويل في معاني التنزيل .
- القلقشندي ، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي .
- صبح الأعشى في صناعة الانشا (المؤسسه المصرية العامة) .
- محمد بن سلام الجمحي ،
- طبقات فحول الشعراء ، تحقيق محمود محمد شاكر (دار المعارف) .
- المقرئ ، تقي الدين أحمد بن علي .
- الذهب السبوك (لجنة التأليف والترجمة والنشر) .
- الوزير الغرناطي ،
- تاريخ المغرب في العصر الوسيط .
- ياقوت الحموي ، لسان الدين ابن الخطيب ،
- معجم الأديباء ، (دار المأمون) .

دواوين الشعر :

- شرح ديوان امرى القيس ،
دار صادر وداربيروت.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ،
محي الدين عبد الحميد (مطبعة المدني القاهرة) .
- ديوان أبي نواس ، دار صادر وداربيروت.
- ديوان بشار بن برد ، شرح محمد طاهر عاشور ، ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر
- ديوان الخنساء ، دار صادر وداربيروت .
القاهرة .
- ديوان الخنساء ، دار صادر وداربيروت .
- ديوان طرفة بن العبد ،
شرح الأعلام الشنتمرى ، مجمع اللغة العربية بدمشق .
- ديوان عنتره ،
تحقيق محمد سعيد مولوى (المكتب الاسلامي) .
- ديوان المتنبي ،
شرح أبي البقاء العكبرى - مصطفى الباهي الحلبي وأولاده .
- ديوان النابغة الذبياني ،
تحقيق الدكتور شكرى فيصل (دار الفكر) .
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ،
للأعلام السنتمرى (دار الفكر) .
- شرح القصائد السبع الطوال ،
لأبي بكر بن القاسم الأنبارى (دار المعارف) .
- شرح قصيدة بانث سعاد ،
لكعب بن زهير لابن هشام تحقيق محمد حسن أبونا جى ،
(الوكالة العامة للتوزيع)

- مختار الشعر الجاهلي ، لمصطفى السقا

مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

المراجع :

- ابراهيم طرخان (الدكتور) ،

امبراطورية غانة الاسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

= = = دولة مالسي

- أحمد شيخو علاننش (الدكتور)

حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (رسالة دكتوراه) .

- أيهم عباس حمودي القيسى ،

شعراء العقيدة في عصر صدر الاسلام (مكتبة النهضة الحديثة)

- حسن ابراهيم حسن ،

انتشار الاسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ،

مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

- حسنين عيسى عبد الظاهر (الدكتور) ،

الدعوة الاسلامية في غربي أفريقيا وقيام دولة الغلاني (جامعة

الامام محمد بن سعود الاسلامية) الرياض .

- عامر صاحب (الدكتور) ،

الأدب السنغالي العربي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر)

- عبدالرحمن زكي (الدكتور) ،

تاريخ انتشار الاسلام في غربي افريقيا (دار الاتحاد العربي) .

تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا الغربية (المؤسسة

العربية الحديثة) .

- عبد القادر زبادية ،

ملكة سنغاي في عهد الأسقين (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

الجزائر) .

- عبدالله بن حامد الحامد ،

شعراء الدعوة الاسلامية .

- عبدالله كنون ،

النوع المغربي في الأدب العربي (دار الكتب للملايين) .

- علي أبوبكر (الدكتور) ،

الثقافة العربية في نيجيريا (مؤسسة عبد الحفيظ البساط بيروت) .

- عمرضا كحالة ،

معجم المؤلفين ، دار احياء التراث العربي بيروت .
- كامل سلامة الدقس (الدكتور) ، وصف الخيل في الشعر الجاهلي ، دار الكتب الثقافية ،
- محمد الربيع (الدكتور) ، الكويت .

أبو الحسن التهامي حياته وشعره (مكتبة المعارف الرياض) .

- محمد زغلول سلام (الدكتور) ،

الأدب في العصر المملوكي (دار المعارف) -

- محمد المغربي (الدكتور) ،

بداية الحكم المغربي في السودان الغربي (مؤسسة الفليح للطباعة

والنشر الكويت) .

٢ - المراجع الأجنبية :

- Encyclopedia International , New York.
- Encyclopedia Britanica, London 1938. Chicago 1978.
- Thomas Aguinas
Every man's Encyclopedia, New York Ed. Dotton Co.,
i nc. 1931-32

Eric Patridge
Short Etymotogical Dictionary of modern English
origin, Lndon.
- C.T. Lewis and C. Short,
A latin Dictionary , Oxford.
- M. Hiskett, The Development of Islam in West Africa,
Longman, London , and New York 1984.
- Bartts H., Travels and Dicoveries in north and
central Africa in the years 1809-1855, London 1858.
- P.B. Clarke ,
West Africa and Islam, Edward Arnold, London, 1982.
- Palmer H.R.,
Sudanese Memoirs Volume III, London 1920.
- Hoben S.J.,
The Muhammadan Emirates of Nigeria, London 1930.
- Trimingham J.S.
Islam in West Africa, Oxford University press, 1972.

محتوى الرسالة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
اهداء	-
كلمة شكر	-
مقدمة	٥ - ١٢
تمهيد : فجر الاسلام في غربي أفريقيا	٣ (١) - ٤٩
أ - الاشارة الاولى للدين الحنيف على هذه المنطقة .	
ب - انتشار اللغة العربية في هذه البلاد .	
ج - دعوة المسلمين من أهل المنطقة الممالك الوثنية الى الاسلام .	
د - جهاد المعاندين .	
هـ - كفاح المستعمرين .	
الباب الاول : حياة الشعر العربي في غربي أفريقيا .	٥٠ - ٢٥٦
الفصل الاول : نشأة الشعر العربي في غربي أفريقيا .	٥١ - ٦٨
أ - المناخ الثقافي الذى نشأ فيه الشعر العربي في غربي أفريقيا .	
ب - حالة اللغة العربية في تلك الفترة .	
ج - أهم الموء لغات العربية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا والخلوات .	
د - أقدم النصوص الشعرية التي كانت متداولة بين طلاب العلم .	
هـ - مراكز الاشعاع للثقافة العربية الاسلامية في المنطقة .	
الفصل الثاني : الجذور الفنية للشعر العربي في غربي أفريقيا .	٦٩ - ١٠٨
أ - أثر الجاهليين في هذا الشعر .	
ب - أثر شعراء الحضرة والاسلام .	
ج - أثر المحدثين .	
د - أثر شعراء الدول المتتابعة .	

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
<u>الفصل الثالث : فنون الشعر العربي في غربي أفريقيا .</u>	١٠٩ - ٢٥٦
أ - الشعر الغنائي (مدح - رثاء - غزل - وصف - جهاد - شكوى وحنين - مناسبات) .	
ب - الشعر التعليمي (شعر الزهد والوعظ والارشاد - منظومات علمية) .	
<u>الباب الثاني : شعراء غربي أفريقيا .</u>	٢٥٧ - ٤٣٨
<u>الفصل الأول : شعراء السنغال .</u>	٢٥٨ - ٣٣٨
أ - يونس ذو النون - مختارات من شعره	٢٥٩
ب - القاضي مجخت كل - مختارات من شعره	٢٨٣
ج - أحمد عيان سه - مختارات من شعره	٢٩٨
د - الشيخ الهادي توري - مختارات من شعره	٣١٩
<u>الفصل الثاني : شعراء نيجيريا .</u>	٣٣٩ - ٤٠٥
أ - الشيخ عبدالله بن فودي - مختارات من شعره	٣٤٠
ب - الأمير محمد بللو - مختارات من شعره	٣٦٨
ج - محمد البخاري - مختارات من شعره	٣٨٦
د - الوزير الجنيد - مختارات من شعره	٣٩٣
<u>الفصل الثالث : الملامح المميزة للشعر العربي في غربي أفريقيا .</u>	٤٠٦ - ٤٣٨
أ - أثر الروح الدينية في أشعارهم .	٤٠٧
ب - الآفاق التي يستوحون منها معانيهم وصورهم وأخيلتهم	٤١٩
ج - أثر التكوين الثقافي في نسيج أشعارهم	٤٣١
د - كثرة استعمالهم للألفاظ الغريبة في أشعارهم	٤٣٣

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
هـ - ملامح البيئة الأفريقية في هذا الشعر .	٤٣٤
و - حفظ أفكارهم من العمق الذهني والتأمل الفلسفي	٤٣٨
ز - موسيقى الأوزان الأثرية في شعرهم	٤٣٨
<u>خاتمة .</u>	٤٤٢ - ٤٣٩
<u>المصادر والمراجع .</u>	٤٥٢ - ٤٤٣
<u>محتوى الرسالة .</u>	٤٥٥ - ٤٥٣